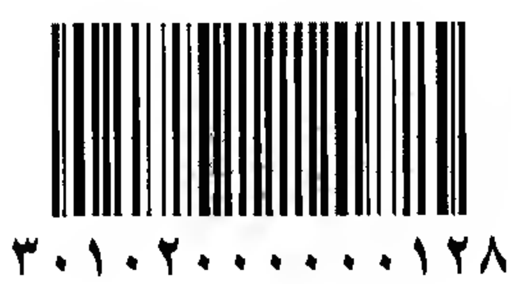
الى عمادة شؤون المكتبات عكة المكرمة
ومكتبتها المركزية / اهدى
الدكتورة اشاعى العلمى (
عبد الفتاح مقلد

جامعـــة القاهـــرة
معهـد البحـوث والدراسات الافريقيـة



سلطنة البرنو الاسلامية حتى ظهـور محمد الامين الكانمي

(رسالة ماجستير)
فى
التاريخ الاسلامى

مقدمة من الطالـب
عبد الفتـاح حسنين مقلد بكر



إشـراف
الاستـاذ الدكتور/ حسـن أحمـد محمـود

١٩٧٥م/ ١٣٩٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــــة

يستمد هذا الموضوع الذى أتناوله بالدراسة أهميته فى عدة اعتبارات سياسية وتاريخية وحضارية ، وذلك أن سلطنة برنو ، التى قامت فى السودان الاوسط ، كان لها دور هام فى نشر الاسلام فى تلك المنطقة ، فقد كانت برنو ، دارا تشبعت بروح الاسلام وطبعت بحضارته وتقاربت مع ثقافته العربية ، وذلك لانها تربت فى حجر سلطنة كانم ، السلطنة القديمة والام التى دخلها الاسلام فى القرن الحادى عشر الميلادى .

وكان لموقعها الجغرافى سببا فى جعلها حلقة اتصال بين البلاد العربية الاسلامية وبين الزنوج الافريقيين سكان الغابات الاستوائية ، فقد أعطاها هذا الموقع الجغرافى ميزة فهى تقع فى منطقة السفانا التى تحف بها الصحراء الكبرى فى الشمال والغابات الاستوائية من الجنوب ، فقد كانت تخترق الصحراء الكبرى ، طرق صحراوية ربطت السلطنة ببلاد الشمال الافريقى المطلة على البحر المتوسط ، وهى بلاد ذات حضارة اسلامية عريقة كذلك تقربها من منطقة الغابات الاستوائية ، ساعدها على أن تقوم بدورها فى نشر الاسلام بين سكان هذه الغابات ، ومن هنا كان سلطنة برنو استطاعت أن تتبوأ مكانة سياسية بين شعوب السودان ، حتى أستحقت أن تكون استاذة الحضارة فى ذلك الجزء من القارة الافريقيــة .

فاذا نظرنا الى الاعتبار السياسى ، نجد تلك الصلات الوطيدة التى ربطت سلطنة برنو بمصر ، وبلاد الشمال الافريقى ، وغرب افريقيا والسودان ، وما كان يسود هذه العلاقات من روح طيبة ووئام وأحيانا فترات من الفتور والقطيعـــة .

أما الاعتبار التاريخى فيتأتى من طبيعة الفترة التى أتناولها بالدراسة ، تلك التى تبوأت فيها شعوب المنطقة مكانة سامية سواء فى الحيز السياسى والاقتصادى والحضارى

بوجه عام وكان الباعث لهذه النهضة ارتباطها بمصر وهى فى أزهى عصورها وفى الفترة التى تقلدت فيها مصر قيادة العالم الاسلامى وزعامته .

أما الاعتبار الحضارى فهو ذلك التيار الحضارى الاسلامى العربى الذى زحف على برنو من مصر وبلاد الشمال الافريقى ، وطبع البلاد بالطابع الاسلامى ، وذلك من اثر ، انتقال العلماء المسلمين اليها واستقرارهم بهما فترة من الزمن ، وأثر قوافل الحجاج التى كانت تذهب كل عام الى الاراضى المقدسة فى الحجاز ، وانتقال الكتب الدينية وخاصة التى تعالج المذهب المالكى والمذهب المنتشر فى البلاد من بغداد ومصر والحجاز والشمال الافريقى الى هذه الديار .

وقد اعتمدت فى هذه الدراسة على بعض المصادر العربية ، والمراجع العربية والاجنبيه والتى بالاعتماد عليها استطعت أن أقدم هذا العمل العلمى المتواضع .

وكانت المصادر العربية الاتية خير عون لى فى دراستى :

١- القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، حوى هذا الكتاب نماذج للكاتبات التى كان يرسلها سلاطين مصر ، الى سلاطين برنو والتى كانت يحتفظ بها ديوان الانشاء المصرى ، وكذلك أورد نص رسالة من سلطا سلطان برنو الى السلطان المملوكى بالقاهرة ، السلطان الظاهر بوقوق

وقد القت هذه الرساله الضوء على نوع العلاقة التى كانت بين مصر وتلك البلاد وكيف كانت قوافل الحجاج تأتى كل عام وتمر بمصر فى طريقهما الى الحجاز ، وأن الرساله المذكوره حملها ابن عم السلطان وهو فى طريقه

الى الحجـــــار ، وأنه حمل الرد عليها وهو فى طريقه عودته الى بلاده .

٢ـ المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، وفيه يلقى الضوء على الـــدور الذى لعبه التجار الكاريمه والذين هم من كانم ـ برنو ـ فى أقتصاد مصـــره وكيف ساعـــدوا سلاطين مصر بالاموال فى اعداد الحملات العسكريه ، وكيـــف آمن لهم السلاطين طريق القوافل .

٣ـ ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار : يبين لنا المؤلف ، كيف قـــام أهل برنو ببناء مدرسة ابن رشيق بالقاهرة وذلك لكى يتلقى طلاب البرنـــو بهذه المدرسة العلوم الاسلامية والتفقه فى المذهب المالكى ، وأيضا كيـــف قام السلطان العادل أخو صلاح الدين الايوبى ببناء فندق الكارم للتجـــار الكاريمه على شاطىء النيل فى بولاق وذلك لكى يستقر التجار بالقاهرة .

٤ـ محمد بيلــو : انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور : وفيه يلقى الضوء على أحـــوال بلاد برنو الاسلامية وحاله المسلمين بها ، ويعطى وضعا لبلادهم وعاداتهـــم ولكن صاحب الكتاب كان متأثرا بالصراع الدائر بين أهل برنو والفلاتة ، ومـــن هنا فان المؤلف تجنى على أهل برنو بوصفهم بالكفر .

٥ـ ابن بطوطـــة : تحفه النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار : يشـــرح لنا كيف كانت القوافل تصل الى برنو باعداد كبيرة وكيف كان يحمل اليها النحاس من تكادا وعن سلطانها المسلم الذى لم يكن يكلم الناس الا من وراء حجـــاب ولا يظهر للشعب الا أيام العيدين ، ويحدثنا عن النهـــايج المعهد الـــتى كانت تصل من برنو الى بلاد الشمال الافريقى .

٦- ابن خلدون ترك كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر : يحدثنا عن أهل برنو ومن سلطانهم والعلاقات التي كانت تربط سلاطين كانم وبرنو بالسلاطين الحفصيين سلاطين تونس والهدايا المتبادلة بينهم . ومدى حرص سلاطين برنو على توثيق علاقاتهم بسلاطين تونس .

٧- السلاوى : الاستقصاء في اخبار المغرب الاقصى . وهو يشابه القلقشندى في الاحتفاظ بالرسائل المتبادلة بين سلاطين المغرب الاقصى وسلاطين برنو ويعطى مثالا على ذلك . الرسالة المتبادلة بين السلطان المنصور بالله العباسى سلطان المغرب والسلطان ادريس العرب سلطان برنو . وهذه الوثيقة تبين لنا مدى عمق العلاقات بين سلاطين برنو وسلاطين المغرب الاقصى .

وغير هذه المصادر المذكوره كثيرا من المصادر والمراجع العربية والاجنبيه اعتمدت عليها في اعداد هذه الرسالة . وأن كان من المراجع الاجنبيـة : بالمرفى كتابيه

1. The Bornu shara and sudan.
2. Sudanese memairs

والذى قدم كثيرا من المعلومات عن سلاطين البلاد وتواريخ حكمهم وحروبهم مع اعداء برنو وكراشيهم التى كانوا ينشرونها على الشعب . وجاءت بهما معلومات طيبة وقيمه .

وأيضا بارت :

Travels in North and central Africa.

وكان بارت قد قام برحله الى برنو وشاهد فيها مالم يشاهده احد من الرحالة والعلماء والاجانب واستطاع الحصول على عدد من المخطوطات من تاريخ برنو . ومن هنا فان كتابه حوى كثيرا من المعلومات القيمة وقد اعتمدت عليه كثيرا في هذه الرسالة .

وجاء بعد بالمر ، بارت ، أوروى فى كتابيـــه

Histieve du l'empire du Bornu, Histiove des populations du centeal.

وأن كانا أوروى قد أخذ فى كتابيه على بارت وبالمر الى أنه قدم معلومات طيبة وقيمة عن برنو وشعبها وتاريخها .

ولكن كانّ للمصادر العربية الاصيلة الدور الرئيسى فى الالمام بجوانـــب الموضوع ، اذ كانت هى العمود الفقرى للرسالة . ولقد تبين لى أن الكتاب والمؤرخين العرب كانوا اسبق من الكتاب الاوربيين فى اكتشاف هذه الاجزاء من القارة الافريقيـــة وفى ارتيادها والكتابة عنها . وأن الكتابات الغربية أخذت على هذه المصادر عنـــد الحديث عن برنو وغيرها من بلاد السودان الاوسط والغربى . وحتى الكتب الاجنبيـــة التى تصدت فى الكتابة عن برنو . أخذت مؤلفوها على مخطوطات عثروا عليها فـــى برنو اثناء رحلاتهم اليها أو العمل بها بعد وقوعها تحت الاحتلال البريطانى .

الا أننى اقول هنا أن كل هذه المراجع لم تحاول أن تلقى ضوء كافيا علـــى نظام الحكم فى السلطنة ، ولا عن احوال الشعب وظروف معيشته ولا عن الاحوال الاجتماعيه والاقتصادية والتنظيمية . ومن هنا فقد جاء الفصل الثانى من الرسالة ولم يستوفـــى حقه من حيث العمق وغزارة المادة .

وقد قسمت هذه الدراسة الى أربعة فصول . تناولتها كما يلى :

الفصل الاول : ظهور السلطنه الى حيز الوجود الافريقى . وما هى العوامـــل التى ساعدت على ظهورها . وكيف مارست دورها بعد ذلك فى القارة الافريقية وما هى المراحل السياسية التى مرت بها . ومراحل قوتها وضعفها . والسلاطين الذين مارسوا دورا بارزا فى تاريخها وساعدوا على تقدمها وعظمتها وتفوقهـــا فى القارة . وكيف أنتهت الاسرة السيفية على يد محمد الكانمى .

وتناولت في الفصل الثاني – نظام الحكم وبحثت ما هي الاسس التي كان يقوم عليها الحكم في تلك الديار ، وكيف كان السلطان والذي لقبها الماى على قمة الجهاز الحاكم في البلاد ، بمعاونة مجلس استشاري مكون من أثنى عشر شخصا يختارون من بين افراد الاسرة الحاكمة وقادة الجيش وطبقة القوم ، وما هو دور المرأة في البلاط السلطاني ، وبحثت أيضا النظام الاداري الذي كانت تسير عليه البلاد ، والنظام الحربي ، والجيش ودوره في توسيع رقعة البلاد وفي صد غارات الاعداء .

وانتقلت بعد ذلك الى الفصل الثالث وهو علاقات برنو الخارجية بالدول – الاسلامية المجاورة ، وقسم هذا الفصل الى ثلاث أقسام ، علاقات سياسية ، وعلاقات أقتصادية ، وعلاقات ثقافية ، وكان تقسيم هذا الفصل على أساس العلاقات السياسية مع مصر وبلاد المغرب العربي ، وغرب أفريقيا والسودان ، وسرت على هذا التقسيم في العلاقات الاقتصادية والثقافية ، وأوضحت الدور الذي أدته تلك العلاقات لبرنو وكيف كانت العلاقة والروابط بينها وبين تلك البلاد ، وكيف ساعدت هذه العلاقات برنو على التقدم والرقي .

وجاء بعد ذلك الفصل الرابع والاخير في الرسالة وهو الاسلام والثقافة العربية ، وبحثت في هذا الفصل كيف دخل الاسلام تلك الديار وما هو مدى انتشاره وأثره في شعب برنو وفي صنع حضارة البلاد بالصبغة الاسلامية العربية وكيف أثرت اللغة العربية في البلاد وحركة التعريب في دواوين الدولة ومؤسساتها ، وما هو دور المعاهد التعليمية والمؤسسات الثقافية والمساجد والطرق الصوفية في نشر الثقافة العربية الاسلامية في برنو .

وفي النهاية أشيد بالدور العظيم الذي قام به استاذي الدكتور / حسن أحمد محمود وكيل كلية الاداب للدراسات العليا والبحوث ، الذي تفضل على بالاشراف

على تلك الرسالة وكان لفضـــله وتوجيهاته أن خرجت هذه الرسالة الى حيـــز الوجود . وأشيد بدور وتوجيهات الدكتور / محمد محمد امـــين .

وأشكر السيد أمين جامعة القاهرة الاستاذ / محمد انور على تلك التسهيلات التى منحنى اياها . والسادة موظفى مكتبة جامعة القاهرة والجمعية الجغرافيـــة والدراســـات العربية . والدراســـات الافريقيـــة .

والله الموفـــق

الفصــــل الاولـــــ

ظهور سلطنـــــــــة برنـــــو

تقع سلطنة برنو جنوب غرب بحيرة تشـــاد ، فى وادى متسع ذو تربة خصبـــة سوداء ، وتحصل على حاجتها من المياه من نهرى وابى waabe فى الشمـــال ومن نهـــر يدسيرام Yedseram من الجنوب الشرقى ، ويعتمد الســـكان فى حياتهم الزراعية وأمورهم المعيشية على هذين النهرين ، والى الجنوب الغربـــى توجد وديان نهر لوجون وهضبة بوتشــــى وتنحدر هذه الوديان الى الغـــــرب فى اتجاه كانو Kano [1] .

وقد أختلف الباحثون فى أصل تسمية برنو ، فيرى العرب أنها مأخوذة مـــن برنوح ، لانهم يعتقدون أن سفينة نوح قد رست على هذه الارض وأنهم سموا التسمية هكذا " برنو " من أمراء كانم المطرودين من بلادهم ، والذين كانوا يقولون أنهـــم اصل بلاد نوح [2] ، ثم حذفت الحاء من " برنوح " وصار الاسم برنو [3] ، وهناك مـــا من يرى أن كلمة برنو من اصل بربرى ، ويقول بهذا الرأى بوارت معتمد فى ذلك علـى التشابه بينها وبين الكلمات بروبى أى اصل برنو ، وبربر ، ويذكر أيضا أن الفلاتـــه يقولون أن اصل برنو يرجع الى البربر ، وأن أهل أمارات الهـــوسا يطلقون على ســـكان

---

(1) Urvoy, Y.: Histiroe du l'empire du Bornu. P.11.

(2) Carbou, H. : La regiou du Tchad et du Ouadai, Tome 2.P. 20.

(3) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ، ص ٤١١ .

برنو ، اسم برى برى ، وأن ملوكهم ينحدرون من البربر التجوليين [١] ، وأن برنو بلد يسكنها قوم كثيرون منهم البربر والعرب والفلاته [٢] ، فضلا من شعوب اخرى ، منها قبائل التبو والتيدا ، التى كانت تسكن هضبة بوتشى ، والذين عرفوا بشدة البأس حتى أنهم فى القرن السادس عشر الميلادى ، كانوا عماد قوة برنو العسكرية [٣]

وظهرت برنو على أنقاض دولة " الكانم " التى تقع شمال بحيرة تشاد وقد كانت هى المقر الاول للاسرة المالكة فى برنو ، وذلك لان اسلافهم كانوا قد اقاموا ملكهم العظيم فى تلك الديار واتخذوا لهم عاصمة اسمها نجيمى ، بلغت من الشهرة مبلغا عظيما فى بلاد الشرق والشمال الافريقى ووسع سلاطينهم حدود دولتهم ، التى بدأت تدخل مرحلة من الانهيار والضعف بعد موت السلطان ، دونما دا بلمى فى عام ١٢٥٩ ١٢٥٩ م [٤] بسبب التنافس بين افراد الاسرة الحاكمة ، على تولى مقاليد الحكم فضلا عن احاطة الاعداء بها من الشرق والجنوب والمتربصين لحظة الضعف للتخلص من تفوقها ، أو القضاء عليها ففى جنوب الكانم كان يسكن شعب الصو [٥] ، الذى عمل

---

(١) Barth, H.: Travels in north and central Africa, vol. 2. P. 26.

(٢) محمد بلو : انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور ، ص ٨ .

(٣) سلجمان : السلالات البشرية فى أفريقية ، ترجمة يوسف خليل ، ص ١٣٥ .

(٤) Urvoy, Y.: Histiove des pepulations du Soudan central. P. 322.

(٥) كان هذا الشعب قد هزم ، على يد الشعوب البيضاء التى جاءت الى بلاد السودان وكانوا يشكلون وحدة متماسكه ، وكونوا لهم مملكة قديمة ، وكان لهم نظامهم الاجتماعى والسياسى وأنهم بسطوا نفوذهم ، على بعض القبائل السودانية ، وأن اسلافهم قد أنشأوا القرى وكانت لهم حضارتهم .

Urvoy, Y.: Histiove du l'empive du Bounu. P. 19.

على التخلص من سيطرة حكام الكانم ، ولذلك دخل فى صراع معهم ، وبلغ من شدة الصراع

بين شعب الصو وحكام الكانم ، أن لقى أربعة من سلاطين الكانم مصرعهم فى ميدان

القتال [1] وكان أول هؤلاء السلاطين السلطان سلما Selma بن عبدالله الذى

ولى حكم الكانم فى الفترة من ٧٤٧ ــ ٧٤٩ هـ ــ ١٣٤٦ ــ ١٣٤٩ م [2] وخلفه

فى الحكم اخوه السلطان كورى بن عبدالله الذى حكم لمدة عام واحد ٧٥١ هـ ــ ١٣٥٠

ثم لقى مصرعه فى ميدان القتال أيضا ضد الصو ، وذلك فى مدينة نجيلوا Ngelâwa [3]

ثم آلت امور البلاد الى أخيه كورى الكبير ، الذى حكم هو الاخر سنة واحدة ، ٧٥٢ هـ ــ

١٣٥١ م ، ولقى مصرعه فى نفس المكان الذى قتل فيه أخيه على يد شعب الصو [4]

وتولى السلطة وقيادة القوات من بعده أخوه محمد بن عبدالله الذى لم تطل مدة

حكمه هو الاخر من سنة واحدة ، ٧٥٣ هـ ــ ١٣٥٢ م ، فقد هزم ولقى نفس المصير [5]

وكان لهذه الهزائم المتكررة على يد شعب الصو ، فى فترة زمنية قصيرة ، والتى دلت

على مدى ضعف الدولة من الاسباب التى مهدت لرحيل الاسرة الحاكمة الى برنو ،

لكن شاء القدر أن يتولى امور البلاد بعد ذلك السلطان ادريس بن ابراهيم

٧٥٤ ــ ٧٧٨ هـ ــ ١٣٥٣ ــ ١٣٧٦ م ، والذى أن كان قد استطاع ان يكسر

---

(١) Yver.: Encyclopedia of Islam, Art. Bornu. vol.1.P. 7 751.

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P.585.

(٣) Ahmed ibn Fartu: History of the first twelve Years of the reggon of Mai Idris Alooma of Bornu. Trans. by Palmer.P.88

(٤) Palmer, R. The Bornu Sahara and Sudan. P. 42.

(٥) Barth, H. OP. Cit. P. 585.

شوكة شعب الصو ولو موقتا ، الا أنه واجه عدو آخر كان هو السبب الاساسى فى رحيل الاسرة نهائيا من – كانم – الى برنو .

الصراع ضد البلاله

البلاله شعب عرف بهذا الاسم ، نسبة الى أول زعيم لهم ، كان يدعا بـــلال أو Bamlal يبلال[1] Bilal ، وأن كلمة البلاله تعنى فى لغة الطـوارق ، الرجال الاحرار أو النبلاء[2] ، وهم ينحدرون فى نفس الفرع ، الذى انحدرت منه الاسرة القديمة الحاكمه لكانم ، أى من أصل مغوى[3] وقد نجحوا فى أقامة امبراطورية واسعـة لهم حول بحيرة فترى ، أذ أقام لهم ابوهم " جل سكوممى " بن دونامـا ديلاس مركزا قويا على حدود البحيرة ، وسيطروا على عدة قبائل فى كوكو ، ثم ظهروا كقوة سياسية فـــى بداية القرن الرابع عشر الميلادى[4] بذلك عندما أسلموا ، وحمل سلطانهم لقب مـــلك الناس ، وأن كانوا يدعون انهم من أصل عربى ، وكانت لهم علاقات طيبة مع مصـــــر وسلاطينها المماليك[5] كما أختلطوا مع أولاد حمد وبع التبو ونتج عن اختلاطهم مــــع أولاد حمد معرفتهم باللغة العربية الى حد التحدث بها[6] وفى القرن الرابع عشـــــر

---

(١) Crabou, H.: OP, Cit P. 18.

(٢) Crabou, H.: OP. Cit, P. 11.

(٣)

(٤) يذكر ماكمايكل : أن هؤلاء البلاله الذين يسيمون فى المنطقة التى تقع بين بركو Borku واجرى أنهم ينحدرون من قبيلة الازد Azd .

(٥) Macmochael, A.H.: A History of the Arabs in the Sudan, vol. 2. P. 185.

(٦) Urvoy, Y.: Histore du l'empive du Bormu.P. 50.
Crabou, H.: OP. Cit.PP. 293 - 294.
Crabou, H.: OP. Cit. P. 304.

للميلاد ، زادت قوة البلاله العسكرية ، وأرتفعت مكانتهم السياسية فى منطقة السودان الاوسط ولم يلبث أن استغلوا هذه القوة العسكرية ضد حكام كانم بسبب ما بينهم من خلافات [1] ، فقاد سلطانهم عبد الجليل قواته ضد الكانم فهب سلطان الكانم أدريس بن ابراهيم [2] (٧٥٤ - ٧٧٨ هـ - ١٣٥٣ - ١٣٧٦ م) لملاقاة العدو الزاحف من الشرق ، ويعد ادريس هذا من السلاطين الاقوياء ، الذين حكموا كانم ، فقد سبق له أن تغلب على شعب الصو ، كما قاتل البلاله ، ولكنه لم يتمكن من احراز نصر حاسم عليهم [3] .

ودفع عبء المواجهة الحاسمة مع البلاله على أخى ادريس ، وهو داود بن نكالى (٧٧٩ - ٧٨٨ هـ - ١٣٧٧ - ١٣٨٦ م) ، ولكنه لم يستطع وقف زحفهم ، وأنتهى الامر بطرده من العاصمة ، ولم يلبث أن قتل داود على يد السلطان عبد الجليل سلطان البلاله ، ولم يأت عام ١٣٨٠ م الا وكان البلاله قد سيطروا على عاصمة الكانم وأحتلوها [4] .

---

(١) Trimingham, J.S.: A history of islam in west Africa P. 115.

(٢) قام بالحج الى الاراضى المقدسه فى الحجاز ، ولا نعرف شيئا عن سنوات حكمه الا انه مات فى دمشك ، وهى أحد المعاقل القوية التى كان يتحصن بها شعب الصو ، أو ربما يكون مما زاد فى أهميتها انها المكان الذى مات فيه السلطان ادريس (Barth, H.: Op. cit, P. 586) وقد ذكره الرحالة ابن بطوطه ولقبه بملك برنو ، وقال ان النحاس يحمل من تكادا الى بلاد برنو وهى على مسيرة أربعين يوما من تكادا ، وأهلها مسلمون ولهم ملك اسمه ادريس ، لا يظهر للناس ولا يكلمهم الا من وراء حجاب (ابن بطوطه : تحفه النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ص ١٩٨)

(٣) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ، ص ٦٦ .

(٤) Murdock, G.P.: Africa, its people and theire culture history. 199.

ولكن عثمان بن داود (٧٨٩ ـ ٧٩٢ هـ ـ ١٣٨٧ ـ ١٣٩٠ م) نجح في تحقيق بعض الانتصارات على البلالة ، فأوقف زحفهم ، كما خلص العاصمة منهم ، وعاد اليها مع اسرته ، فزاد التفاف القبائل حولهم [1] .

وعندما توفى عثمان بن داود ، ولى الحكم بعده عثمان بن ادريس ، والذى لم تزد فترة حكمه عن عامين (٧٩٣ ـ ٧٩٤ هـ ـ ١٣٩١ ـ ١٣٩٢ م) وأصل خلالها الجهاد ضد البلالة ، وولى الحكم بعده ابوبكر لياتو بن داود ، في الوقت الذى أشتد فيه الصراع ضد هذا العدو ، ولم يدم حكمه ، الا تسعة شهور (٧٩٥ هـ ـ ١٣٩٢ م) فقد قتل على يد البلالة [2] ، فولى حكم البلاد عمر بن ادريس (٧٩٦ ـ ٨٠٠ هـ ـ ١٣٩٣ ـ ١٣٩٧ م) وهو آخر سلاطين اسرة سيف من كانم ، فقد أضطر الى الالتجاء الى الاراضى التى تقع الى الجنوب من كانم ، والتى تحطها المستنقعات في اقليم الصو ، ولكن اضطر الى تغيير مقر حكمه أمام مطاردات اعدائه .

ولما رأى السلطان عمر بن ادريس أنه لا قبل له بمواجهة البلالة ، جمع مجلسه المشارك له في الحكم ، وأنضم اليهم الامام الاكبر للبلاد والذى يتولى

---

(1) Barth, H., OP. Cit. P 586.

(2) Barth, H., OP. Cit. P. 586.

مقاليد الامور الدينية ، وطلب المشـــورة فأجمعوا جميعا على ضرورة مغادرة هذا المكان ، بعد أن ذهبت ايام العظمة والقـــوة لاسرة سيف ، فى هذا المكان وانه لم يعد يطيب لهم فيها المقام ، وبناء على هذه النصيحة ، جمع السلطان عمـــر بن ادريس ، ما تبقى من قواته العسكرية وحشاشيته وثروته وأنتقل الى كاجا Kaga (١) وهى فى الاراضى الجنوبية التى رحل اليها السلطان مع أسرته ، وقد مات فـــى داماجا Damagia وهى من البلاد التى تقع فى أرض الجنوب أيضـا ،

وهكذا أجبر البلاله أســـرة سيف على نقل عرش الملك الى برنو غرب بحيرة تشـــاد وقد أقام البلالـــه دولتهم بعد سيطرتهم على كانم (٢) .

أما القوم الذين التجأوا الى الجنوب ، فانهم وجدوا صعوبة فى العيش بيـــن أنهار كرتوكو Kotoko ولوجون logon ، ذلك لان بعض قبائل الكافيـــو كانت تتنقل فى الاراضى الخصبة لنهر يو Yo على الجانب الغربى للبحيـره فى الاقليم الذى عرف فيما بعد باسم برنو .

---

(١) Meek, C.K.: The Northern tribes of Nigeria. vol.2, P. 79.

(٢) هذه الدولة قد أشتد وأتسعت وزادت مواردها ، وانهم اداروا امورها من مقر حكمهم الاول ، حول بحيرة فترى ، وقد سعى السلطان عبد الجليل الى الحصول على تأييد مصر ، للاعتراف بشرعية حكمه للكانم ، وذلك لان مصر ، كان لها نفـــوذ سياسى قوى فى السودان الاوسط ، وأن نفوذها كان معترفا به فى تلك الجهـــات فى آواخر القرن الرابع عشر الميلادى ولكن هذه المحاولة للحصول على الاعتراف الرسمى والشرعى لحكمهم فى السلطنة المملوكيه فى مصر ولكنها لم تظفر بشئ (حامـــد عمار : علاقة مصر بالبلاد الافريقيه فى العصور الوسطى رسالة ماجستير ، القاهرة ، ٥٤)

وهناك دخلوا فى صراع جديد مع شعب الصو أستمر فترة طويلة [1] ، وفى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ، تم تحرك هذه القبائل وأستقرارها وفرض سيطرتها على سكان البرنو ، بعد أن قدمت اعداد كبيرة من شعب الكانمبو خلف الاسرة الحاكمة [2] ، حيث عاشوا شعبا زراعيا ، وكانت حياتهم أكثر استقرار [3] ومرور الزمن أصبحت دولة قوية ، غيرت الاحوال السياسية فى تلك المنطقة [4] .

" أستقرار الاسرة الحاكمة فى برنو "

تمتع شعب الكانمبو فى موطنه الجديد باستقلال ، بعيدا عن سيطرة البلالة ، أذ نجح فى دفع قبائل الصو الى الجنوب [5] وأختلط الشعب الزاحف من الشمال مع بقايا سكان البدائيين ، الذين لم يتحركوا جنوبا ، وبهذا الاختلاط تكون شعب الكانورى ، وقد أستخدمت هذه الكلمة وأطلقها الكانمبو ، وتعنى هذه الكلمة فى اللغة العربية ، شعب النور ، أو وطن النور ، وتدل هذه الكلمة على أن شعب الكانمبو ، هم الذين جاءوا بالاسلام الى تلك البلاد ، بعد أن كان سكانها شعب وثنى . [6] .

---

(١) Triminghem, J.S.: OP. Cit. P. 118.

(٢) Urvoy, Y.: OP. Cit. P. 61.

(٣) Shinnie, M.: Ancient African Kindgdoms, P. 70.

(٤) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Africa, P. 18.

(٥) Urvoy, Y. OP. Cit. P. 61.

(٦) Crabeu, H. OP. cit. P.P 14 - 20.

وقد تمسك شعب الكانمبو بتعاليم الاسلام[1] . ووصل شعب الكانمبو الى موطنه الجديد . مع السلطان عمر بن ادريس . ثم بعد وفاته تولى أمورهم الملك سعيد . وقد حكم سنة واحدة . (٨٠١ هـ - ١٣٩٨ م) ولم تطلق عليه الوثائق التى عثر عليها بارث أثناء رحلته الى برنو - لقب سلطان اسوة بالسلاطين من الاسرة السيفية ولكن لقب بلقب ملك . وفى عهده تخلص البلالة من كل أثر للاسرة السابقة . فى الكانم . واستمروا فى مطاردة . أسرة سيف فى مقرها الجديد . بل أنهم استطاعوا قتل الملك سعيد[2] .

وتولى الحكم بعده السلطان قاضى أفنو بن[3] ادريس وقد حكم سنة واحدة (٨٠٢ هـ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ م) وفى هذه السنة قاتل البلالة . وسقط فى ميدان المعركة وهو يقاتل اعدائه وأعداء شعبه . فآلت الامور بعده الى السلطان برى بن ادريس . الذى حكم فترة تقدر بثلاثة وثلاثين سنة (٨٠٣ - ٨٣٥ هـ - ١٤٠٠ - ١٤٣٢ م) ولم يحدث طوال هذه الفترة أى اشتباك مع البلالة . ويبدو أنهم قد كفوا عن مهاجمة الاسرة المهاجرة الى وطنها الجديد . ومع انتهاء الخطر الخارجى بدأت الحروب المدنية والصراع بين افراد الاسرة المالكة . تمرد

---

(١) Cnobou, H. OP. Cit. P. 38.

(٢) Barth, H. OP. Cit. P. 587.

(٣) عرف باسم افنو . وذلك لانه يرجع الى اسم أمه . التى ربما كانت من أهل الهوسا .

للظهور ، فقد حدث نزاع بين السلطان بري (عثمان) وكاجاما Kaghamma محمد بن دلتو ، وقد مات السلطان بري في مكان يسمى كانانتو Kanantu (١) .
وتولى الحكم بعده عثمان كالناما Kalnama بن داود ، الذي حكم تسعة شهور (٨٣٦ هـ ـ ١٤٣٢ م) وقد خضع في هذه الفترة القصيرة لنفوذ كاجاما نكالي بن ابراهيم ، والييا قاضي وعزل عن العرش وأضطر الى أن يلجأ الى الغرب حيث أستقر في كانو ، أحدى امارات الهوسا ، وهناك مات ، بل من المحتمل أن يكون قد قتل (٢) .

وتولى امور البلاد بعده دوناما بن عمر ، الذي حكم عامين (٨٣٦ ـ ٨٣٨ هـ ـ ١٤٣٣ ـ ١٨٣٤ م) وقد قتل ودفن في نجوما Ngyma (٣) .

وتولى امور البلاد بعد مقتله السلطان عبدالله ، أو ، الابن عمر وقد لقب بإسم دكوميرى وحكم ثمانية اعوام ، (٨٣٨ ـ ٨٤٦ هـ ـ ١٤٣٥ ـ ١٤٤٢ م) وقد دخل في صراع مع كاجاما عبدالله دجلويى الذي أستطاع أن يخلعه عن العرش وأن يقيم بدلا منه ، أبراهيم أبن عثمان ، سلطانا على البلاد ، ولكن الاخير

---

(١) هذا المكان يقع في أرض الجوكون وكان هؤلاء جنوب البرنو Ahmed ibn Fartua.: OP. Cit. P. 89).

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 587.

(٣) يبدو أن الاماكن هذه التي كان يقتل فيها السلاطين أو يدفنون فيها اسماء لمدن قد اندثرت وغير معروف مكانها حاليا ، وذلك لانها لم تظهر اسمائها على خرائط برنو) .(Barth, H.: OP. Cit. P. 587.

توفى ، فاضطر الكاجاما ، أن يعيد عبدالله الى العرش مرة ثانية ، وقد مات في فاميلفا Famelfa (1).

آلت أمور البلاد من بعده الى ابراهيم بن عثمان ، وحكم ثمانية أعوام (٨٤٦ – ٨٥٤ هـ – ١٤٤٥ – ١٤٥٠ م) ولم يكن راضيا عن رجال البلاط السلطاني ولكن قد قتل على يد أخيه قاضي ، وآل الحكم بعد مقتله الى أخيه قاضي بن عثمان ، الذى حكم سنة واحدة ، ولكنه عزل عن العرش ، وتولى بدلا منه دونا بن بسري ، وقد حكم هذا أربعة سنوات (٨٥٥ – ٨٥٩ هـ) – (١٤٥١ – ١٤٥٥ م) وبعد وفاته تولى الحكم محمد بن ماتالا Matala وقدحكم خمسة شهور (٨٥٩ هـ (١٤٥٥ م) ، وتولى بعده السلطان مير أو أمير Amer وقد حكم سنة واحدة ، (٨٦٠ هـ – ١٤٥٦ م) وقد كانت أمه أميرة من أميرات الاسرة الحاكمة في البلاد ، أذ كانت أبنة السلطان عثمان بن داود ، ومات في تارماتا (٢) .

وآلت امور البلاد بعد وفاته الى السلطان محمد بن قاضي ، وقد حكم اياما قليلة ، تعتبر أقصر فترة حكم في تاريخ البلاد ، وكان سلطانا قاسيا ، فظا غليظ القلب ، بل أكثر من ذلك فانه كان دمويا يحب منظر الدماء ، ومات ودفن في

---

(١) Barth, H. OP. Cit. P. 587.

(٢) Barth H.: CP. Cit. P. 588.

نيرى كبرورى Nuri - Kor - buri وتولى ادارة شئون البلاد

من بعده السلطان ، جهادى بن امالو ، وحكم خمس سنوات ٨٦١ ـ ٨٦٥هـ

(١٤٥٦ ـ ١٤٦١ م) ، وقد هزم فى معركة عسكرية كان يدافع فيها عن بلاده ،

ضد هجوم ، محمد بن عبدالله ملك البلاله [1] ، مما يدل على أن البلالـــــه

بدأ مرحلة جديدة من الصراع ضد الاسرة الحاكمة فى برنو ، بعد هدوء استمر

نحو ستين عام ، ويبدو أن الذى دفع البلاله الى الهجوم على اراضى برنو ، أن

السلطان جهاده كان يعد العده لكى يقوم بحمل عسكرى ضدهم اذ عقد عـدة

اتفاقيات مع عرب واحة قوات ، لكى يستعين بهم ضد البلالــه [2] .

وتولى مقاليد الحكم فى البلاد ، بعده السلطان عثمان بن قاضى (٨٦٦ـ

٨٧٠هـ ـ ١٤٦١ ـ ١٤٦٦م) والذى أمتاز بالصفات الطيبة والحميدة ،

فكان كريما عطوفا على شعبه كما كان حاكما قويا شجاعا ومع هذا فقد عزل عن العرش

بسبب الخلافات بين افراد الاسرة الحاكمه وقام بعزله على غازى الذى كانت له اليـد

العليا ، وأن كان لم يعرف السبب الحقيقى الذى ادى الى عزله ، ولم يتولى

على غازى مقاليد الحكم [3] وقد ذهب عثمان بن قاضى ، السلطان المخلوع بعـد

طرده من البلاد الى الشـرق حيث أستقر فى كردفان ، حيث تولى مقاليـــد

---

(١) Barth, H., Op. Cit. P. 583.

(٢) Palmer, H., Op. Cit. P. 220.

(٣) Barth, H., Op. Cit. P. 583.

الحكم وسيطر على القبائل التي تسكن تلك الجهـــــات [1] .

وتولى بعده عمر بن عبدالله لمدة عام واحد (٨٧١ هـ — ١٨٦٦ م) وكـان أختياره عن طريق علي غازي ولم يتم اختياره عن طريق الامراء . وكان رجلا ستتســا فظل يحكم في الظل . وكان سلطانا صوريا [2] ولكن في تلك الفترة أصبحت اليــد العليا في توجيه الامور في البلاد . لاميرها محمد بن محمد . والـــذي قام بقتل السلطـــان وتولى مقاليد الامور في البلاد [3] وقد حكم خمســـــة سنوات (٨٧٢ هـ — ٨٧٦ هـ — ١٤٦٢ — ١٤٧١ م) كان أميرا قويـــا . مقداما . وهو آخر طابات اسرة داود . وقد غزا الى تيبـــــق . وكان بعــــض أفراد اسرته قد فر الى كردفان . وجاء بعدهم بن ادريس . وكانوا محاربيـــــن شجعانا ورجالا اشداء [4] قادوا البلاد الى بر الامان . وأستطاعوا أن يدعمـــوا قوة برنو وأن يجعلوا منها أقوى دولة في السودان الاوسط الغربي .

---

(١) Pmaer, H.: Op. Cit. P. 220.

(٢) Palmer, H.: Op. Cit. P. 222.

(٣) Barth, H.: Op. Cit. P. 50B.

(4) Palmer, H.: Op. Cit. P. 222.

" أزدهار برنو فى عهد السلطان على غازى "

(١٤٧٢ — ١٥٠٤ م)

قام السلطان على غازى ، بطرد السلطان محمد بن محمد ، من عرش البلاد ونصب نفسه ملكا ، على البلاد ، والسلطان على غازى اسمه الحقيقى ، على بن د وناما ولكنه لقب بعلى غازى وذلك نظرا للغزوات التى كان يقوم بها ، وقد حكم ثلاثة وثلاثون عاما (٨٧٧ — ٩٠٩ هـ — ١٤٧٢ — ١٥٠٤ م) وتمثل فترة حكمه فترة ازدهار واستقرار فى برنو ، أذ يمثل عهده نهاية الحروب المدنية والمشاحنات بين افراد الاسرة الحاكمه ونهاية لفرع من اسرة سيف ، وبداية لفرع آخر هو فرع ادريس الذى أستطاع أن يجعل اسم برنو ساطعا فى سماء بلاد السودان بعد أن مزقت الحروب المدنية السلطنه لفترة طويلة [1] ، وكان أول عمل قام به ، هو القضاء على نفوذ الروءساء المحليين فى الاقاليم وأصحاب المناصب العليا ، أذ جعلهم لا يملكون حولا ولا قوة ، ولا يستطيعون اتخاذ اى قرار دون الرجوع اليه ، أذ بلغ من نفوذ هوءلاء الامراء أمثال الامير كاباشا ، وامير يرانما أن تمكنوا من عزل السلاطين وتوليه سلاطين غيرهم ، وكانت لهم اليد العليا فى ادارة البلاد ، وكان القضاء على نفوذ هوءلاء الامراء بداية لاستقرار البلاد .

---

(١) Barth, H. : OP. Cit. P. 589.

كذلك عمل السلطان على غازى ، على انشاء عاصمة جديدة للبلاد ، تكون مقرا للسلطة والادارة ، ومنها يمارس شئون الحكم والقيادة ، فحتى هذه الفترة لم تكن السلاطين برنو عاصمة سياسية ثابتة ، فكان كل سلطان يتخذ لنفسه مقرا (١) وكان السكان ، يعيشون فى خيام فى الاراضى التى سيطروا عليها أو التى كانوا يمدون نفوذهم اليها ، على الرغم من أن ناتجام Nanighem كانت مقر السلاطين السابقين له (٢) ، وكانت العاصمة التى بناها ، هى برنى Birni أونجازارجومو ، أو ، قصر ابجومو Ghasreggomo ، وكانت هذه العاصمة تحاط بسد ترابى ، ارتفاعه ٢٠ قدم ، وطوله ميل وثلاثة أرباع الميل ، ويوجد بها قصر السلطان وهو قصر كبير ضخم وبها بعض المبانى المختلفة من الطوب الاحمر ، وهذه المبانى هى عبارة عن مساكن الامراء ، وعلية القوم ، ومقر ادارة شئون البلاد ، ولكن معظم المنازل كانت عبارة ، عن أكواخ من الطين أو ، البوص ، وقليلا من آثارها ما زالت باقية ، وكان للمدينة خمس مداخل ، من خلال السور ومن المحتمل أن تكون من بينهم بوابة عظيمة وهى التى تظهر كفجوة فى الحائط (٣) وظلت برنى ، مقر السلاطين وعاصمة البلاد ، للذين حكموا من بعده لمدة تزيد عن ثلاثمائة سنة .

---

(١) Encyclopedia Britannica, Art. Kanem. vol. 13.P.205.

(٢) تقع هذه العاصمة على نهر واو Wau وهى على مسافة ثلاثة أيام من العاصمة الجديدة كوكو ، التى بناها الشيخ محمد الامين الكانمى

Hogben, J.: The Mahammaden emivtes of Nisewia: P. 37.

(٣) Shinnle, M.: OP. Cit. P. 72.

كذلك أقام السلطان علي غازي نظاماً ادارياً قوياً ، يعتبر نموذجاً جديداً للاستقرار والاستيطان ، فساد البلاد ، الامن والطمأنينة ، والرخاء وزادت شهرة البلاد وأمته نفوذها فيها ، وادخلوا بلاد نفوذ سنغاي وبسطوا نفوذهم على امارات الهوسا (١) ، وأرسلت له هذه الامارات الجزية السنوية ومن بين هذه الامارات ، امارة كانو (٢) .

وكانت للسلطان علي غازي ، قوات عسكرية مؤلفة ، مما جعل الناس يلقبونه ، بالغازي أو المحارب أو القاهر (٣) اذ بدأت ، برنو ، تستعيد قوتها ، وأصبح لهـا زمام المبادرة في بلاد السودان الاوسط والغربي (٤) من ذلك أن السلطان علي غازي ، قام بغزو بلاد ، الكوارارافا (الجوكون) جنوب برنو (٥) كذلك نرى خلال الوثائق التي عثر عليها بارث ، نعلم أن السلطان علي ارسل حملات الى كواررافا وهو أول ، سلطان من سلاطين الاسرة الحاكمة ، من كانم يفكر في اعادة تلك البلاد من البلالة (٦) ولذلك فانه طلب مساعدة سكان واحة فزان ، ويابطيها ضد البلالة وكان ذلك في عام ١٤٧٨ م (٧) كما عمل على رفع الكفاءة العسكرية لقواته بالحصول على الخيل ، لكي يستخدمها في حروبه ضد الاعداء ، فكان يبادل الخيل ، بالعبيد التي يحصل عليها من قواته ، مع تجار البربر القادمين من الشمال الافريقي والذين كانوا يحصلون على العودة باعداد كبيرة من العبيـد في مقابل الخيل العربية التي يحضرونها لبرنو ، وعمل أيضـا على [illegible] أسطـ[illegible] (٨) [illegible]

---

(١) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٢٥٨ .
(٢) Trimingham, J.: Ahistory of islam in west africa. P.121
(٣) Barth, H.: OP. Cit. P. 589.
(٤) Ahmed Ibn Fartua. OP. Cit. P. 2.
(٥) Trimingham,: OP. Cit. P. 122.
(٦) Cruben, C.P7 Cit. P. 22.
(٧) Palmer, H.: OP. Cit. P. 224.

ليبيا على أسطوله ونجح في هزيمتها قرب عاصمة كانتا وهي مدينة سورامي ولكنه لم يستطع أن يحطم قوتها نهائيا ، اذ اضطر الى العودة الى برنو ، عندما علم أن سلطان كبي " كانتا " يحشد قواته ، وعملا سار سلطان كبي خلف السلطان علي ، والتقى معه في معركة على حدود برنو الغربية ، استطاع فيها كانتا ، بفضل مساعدات سنغاى ، أن يحرز نصرا ، على سلطان برنو الا أن هذا النصر لم يكن نصرا حاسما (١) كذلك قام السلطان علي بطرد الطوارق من اير Air (٢) وهزم البلالة العدو القديم لبرنو التي كانت قد سيطرت على كانم ، كانت تقف عقبة في سبيل التوسع البرنوى ، وقد هزم السلطان علي غاوى ، الحاج ابراهيم ، اسكيا سنغاى ، ولهذا ذكر صاحب كتاب الفتاش " أن سلاطين الدنيا أربعة سلاطين ما خلا السلطان الاعظم صاحب استانبول ، سلطان بغداد ، وسلطان مصر ، وسلطان برنو ، وسلطان مللى " (٤)

ومما يدل على عظمة برنو في عهده ظهور برنو في خرائط البرتغاليين ، التي رسموها لافريقيا في عام ١٤٨٩ م (٥) .

---

(١) كانت امارة كبي ، احدى المقاطعات التي تخضع لنفوذ سلطنة سنغاى ، ولكنها استطاعت الحصول على استقلالها ، واخذت في التوسع ، وكانت تقع بين الهوسا ونهر النيجر ، وكان يحكم هذه الامارة في ذلك الوقت حاكم يدعى كانتا (Kanta) Barth, H.: Op. Cit. P. 590.

(٢) Barth, H.: Op. Cit. P. 590.

(٣) تقع اير شمال برنو ، وكان الطوارق سكانها يهددون طريق القوافل المؤدى الى برنو Bovill, E.W.: the golden trade of moors, P. 104.

(٤) التنبكتي : محمود كعت : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس ، ص ٣٨ .

(٥) Barth, H.: Op. Cit. P. 590.

وفي عهده قام الامام عمر ماسانيا بن عثمان (ت ٩١٨ هـ - ١٥١٢ م)[1] حاول أن يعلم أفراد العائلة الملكية ، والامراء والاميرات ، وحكام الاقاليم ، التعاليم الدينية الاسلامية الصحيحة ، وتخليص الاسلام ، من بدع وخرافات الافريقيين ، ولهذا كـــــان السلطان علي يذهب كل يوم الى الشيخ ، عمر بن عثمان ، لكي يستمع اليه وهو يقرأ القرآن ويفسر آياته الكريمة وأيضا وهو يقرأ الاحاديث النبوية الشريفة ، ويلقي الفتاوى الدينية ، وذلك بهدف الالمام بمعظم أوامر تعاليم الاسلام ولهذا استجاب السلطان علي للشيخ عمر ، عندما طلب منه تطبيق تعاليم الاسلام ، وأن يحتفظ فقط بأربع زوجات كحد أقصى وأن يترك جانبا زوجاته الاخريات ، كما عرفه الشيخ عمر ، أنه يمكن أن يحتفظ بأي عدد من الجواري ، كما يشاء ، كما استجاب لهذه التعاليم بعض الزعماء[2] ، وفي عهد السلطان علي ساد أنحاء السلطنة الاستقرار ، ونعم الرعايا باستقلال عاصمة كانم التي كانت تخضع للبلالة ، ولكن سلاطين برنو كانوا يعتبرون كانم جزءً من سلطنة البرنو رغم خضوعها لحكم البلالة ، كما عمل السلطان علي غازي على نشر الاسلام ، وإقامة العـــدل بين رعيته ، والحكم وفق الشريعة الاسلامية (٣) .

---

(١) الشيخ عمر ماسانيا ، هاجر من تولن الى برنو ، وأنه كان أحد الرجال الذين جاءوا من ايران أو العراق وأنه أحضر معه أفكار الشرق (Ahmed Ibn Forfud OP. Cit. PP.5)

(٢) Trimingham, J.: OP. Cit. P. 122.

(٣) علي ابيكر : الثقافة العربية في نيجيريا (رسالة دكتوراه) كلية الآداب بالقاهرة ، ص٣٣ .

استعادة الكانم من البلالة

تولى عرش سلطنة برنو ، بعد وفاة السلطان علي غاجي ، ابنه السلطان ادريس الذي لقب باسم " كتاركامبي " (Katarkambi) وظل في الحكم ثلاثة وعشرين سنة (٩١٠ – ٩٣٢ هـ – ١٥٠٤ – ١٥٢٦ م) وهو الابن القوي الشجاع للسلطان علي (١) وذلك لانه في عهده اصبحت برنو ، مركزا قويا ومنافسا بين دول السودان (٢) لقد اهتم اهتماما خاصا بتقوية الجيش فعمل على تسليحه واستخدام الخيول والدروع الواقية وذلك من اجل تحقيق حلم اسلافه في استعادة مقاطعة الكانم من يد البلالة ولم يأت عام ١٥٠٧ م حتى اصبح الحلم حقيقة ، وذلك بانتصاره على أمير البلالة ، دونما بن عبد الجليل وفتح مدينة نجيمي ، العاصمة القديمة لامبراطورية كانم وبرنو ، كما استطاعت جيوشه المنتصرة أن تطرد البلالة نهائيا من بلاد الكانم واعادتها الى حظيرة الامبراطورية ، بعد مائة واثنين وعشرين سنة ، من طرد السلطان داود منها ، ولم اعادة مدينة نجيمي ، لقد بقيت العاصمة ، برني ، التي بناها والده السلطان علي غاجي ، عاصمة الدولة الاولى ، لقد اصبحت نجيمي منذ مجيئه ومن هذا التاريخ اصبحت كانم جزء في امبراطورية برنو بعد أن كانت مقاطعة برنو جزءا

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. v.ll P. 590,

(٢) McEwan,J. M.: Africa from the early time to 1800, 49.

في امبراطورية كانم (1) وكان السلطان ادريس قد وضع على عرش كانم السلطان دوناما بن عبد الجليل ، وفرض عليه أن يدفع الجزية لبرنو ، وأن يخضع خضوعا نهائيا للادارة المركزية في العاصمة برني ، ولكن هذا مات دوناما ، فتولى أمور كانم أخيه آدام بن عبد الجليل ولذلك عاد السلطان ادريس الى كانم مرة ثانية وقتل الامير آدم ، وهكذا كانت كانم فـــترة طويلة لعدم سيطرته عليها ، وقاد الحرب ضد أقارده كيس وسلطانها كانا ... مراكز الاقاليم الغربية في البلاد .

وبهذا الانتصار يعتبر السلطان ادريس ، من أقوى السلاطين الذين حكموا برنو الا أنه لم يجرؤ أحد من السلاطين الذين سبقوه على التفكير في استعادة تلك الاراضي السليبة من أيدي البلالة ، باستثناء والده السلطان علي غاجي (2) .

وفي عهد السلطان ادريس وراء اتساع مدينة برني ، وعلت شهرتها ، وأصبحت مركزا هاما للتجارة ، وخاصة لتجارة العبيد (3) وقام بالحج الى الاماكن المقدسة في الحجاز ، وزار بيت الله الحرام وزوده بالتقوى والايمان القوي ، على يد الشيخ عمر بن عثمان ، وكان السلطان ادريس يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، في حروبه التي كان يشنها ، لانه كان يقوم بها تنفيذا لاوامر الله ، ولذلك فصلا

---

(١) علي ابوبكر : نفس المرجع ، ص ٣٢

(٢) Oliver, R.: The dawn of African history, P. 63.

(٣) Hogben , S.J.: The Muhammadan emirates of Nigria P. 37.

بما جاء في القرآن الكريم من الجهاد في سبيل الله ومحاربة الكفار ، ولهذا حارب شعب السو الوثني ، الذين كانوا دائما يغيرون على بلاد المسلمين (1) وشعب يالاما Yalama (2)

وولى حكم برنو وكانم ابنه السلطان محمد بن ادريس (٩٣٢ – ٩٥١ هـ – ١٥٢٦ – ١٥٤٥ م) وقد حكم تسعة عشر عاما ، وسار على سياسة والده ، وكان سلطانا قويا وشجاعا ، نجح في كل الميادين ، وحقق نجاحا عسكريا ساحقا في الحروب التي خاضها ، وقام بقتل قاضي بن عبد الجليل في كانم ، والذي عمل على مهاجمة السلطان محمد بعد توليته عرش برنو ، وأرغمه على التراجع فقط ، كما هاجم السلطان مملكة Kataba ، وبذلك أخضع كانم للإدارة المباشرة (3).

كما حقق عدة انتصارات في الغرب ، فاستولى على الاقاليم التي الى الشمال والغرب من كبي ، كما خضعت له كثيرا من القبائل التي كانت تسكن هذه الاقاليم ، بل أكثر من ذلك فان بعض هذه القبائل ، ادعت أن أصلها من برنو ، وهكذا عمل جيران برنو على كسب ودها ، بل ودفع الجزية سنويا (4).

وتولى ادارة شئون البلاد وحكمها ، بعد السلطان محمد ، أخوه علي بن ادريس ، والذي حكم سنة واحدة (٩٥٢ هـ – ١٥٤٥ م) وكان سلطانا عادلا لا

---

(1) Po lmer, H.: The Bornu shera and sudan, 227.

(2) Barth, H.: OP. Cit. P. 590.

(3) Barth, H.: OP. Cit. f. 590.

(4) Palmer, H.: OP. Cit. P. 228.

ويا ، وطغايا عليها مجاهدا ، ونجح في أبناء كانم مرتبطة ببرنو [1] ، وعرف السلطان على ، بأسم على حارق البلاله ، وذلك لانه سار على سياسة والده السلطان ادريس وأخيه السلطان محمد ، في قتال عصب البلاله ، وكسر شوكته [2] ولهذا فقد هـــزم سلطان البلاله عبد الرحمن (١٥٣٠ - ١٥٥٤ م) واستطاع أن يأسر ثلاثة مــــن أبنائه ، وأخذهم معه الى العاصمة بيلى ، وبعد أن قابلهم خمسة أيام عطـــف واستطاع أن يعقد عهد البلاله حتى أن بعض أبناء السلطان عبد الرحمن ، فــروا مع عصب البلاله الى الشمال ، ثم تزوج السلطان على أميرة من البلاله وهى التى أنجبت السلطان ادريس الوما وكان زواجه عام ١٥٤٥ م [3] ، ومات السلطان على وهـــو يقاتل البلاله في أرض كانم ، بالقرب من العاصمة القديمة نجيمي .

آلت أمور سلطنة برنو بعد مقتل السلطان على دوناما بن محمد بن أدريس الذى لقب باسم " جاماراس Ghamaram " وحكم لمدة عشر سنة (١٥٣ - ٩٧١ هـ - ١٥٤٦ - ١٥٦٣ م) ، والذى هزم سلطان البلاله ، عبد الجليـــل بن قاضي ، الذى ولى أمر البلاله بعد السلطان عبد الرحمن [4] واستطاع السلطـــان دوناما بن محمد ، أن يهزمه ، عندما حاول قائد البلاله عبد الجليل بن قاضي ، مهاجمة برنو ، [illegible] Berberuma ، ولكـــــن دوناما ، هزمه هزيمة بل وقهـــره

---

(1) Barth, H.: Op. Cit. vol III P. 592.

(2) Palmer, H.: Op. Cit. P. 250.

(3) Palmer, H.: Sudanese memoires, P. 1.

(4) Palmer, H.: Op. Cit. P. 231.

حتى كانم ، حيث هزمه مرة ثانية ، وإستطاع أن يبعد عدد كبير من رجالات البلاط الفار من ارض كانم ، وبذلك استقرت كانم وظلت مرتبطة ببرنو ، ولم يفكر بعد ذلك أهل هذا الاقليم في القيام بأي عمل ضد برنو ، ولم يقلل من قيمة هذا العمل حدوث مجاعة كبيرة في عهده [1] ومات السلطان ، دوناما في عاصمته برني .

وفي سلطنة برنو بعد وفاة دوناما السلطان ، عبدالله (دالا) بن دوناما والذي حكم سبعة أعوام (٩٧٢ ـ ٩٧٨هـ ـ ١٥٦٤ ـ ١٥٧٠م) فانتهز الفرصة السلطان عبدالجليل الذي كان قد عاد إلى كانم ، والذي كان لا يزال يحكم في كانم ، وقام بالاغارة على برنو ، وصحب معه في هذه الغارة عمه وأمراءه ورؤساء الاقاليم والمدن ، وإستمر في الاغارة على برنو ، ليل نهار ، كما كان يفعل في عهد السلطان دوناما بن محمد ، ولم يقلع عن عادته في الاغارة على برنو ، حتى هزمه ، وصحبه ، أخيه عبدالله ، ولم يستطع البلالة وسلطانهم الجديد الدخول في معركة مع شعب البرنو ، وسلطانه عبدالله ، بل استمروا في الاغارة على الحدود ، والسلب والنهب [2] كذلك قام السلطان عبدالله ، بعدة حملات ضد شعب التبو في الشمال

---

(١) Barth, H.: Op. Cit. P. 592.

(٢) Palmer, H.: Op. Cit. P.P. 252 - 253.

وشرقه الطوارق ، وكذلك ضد الاتين في الجنوب (الكوارارافا ؟ الجوكون (1) . وفي عهد السلطان عبد الله هذا ، بدأت قبائل الفلاته ، الاستقرار في الاقاليم الغربية من برنو ، كما حدثت مجاعة كبيرة في أيام حكمه وبات يعرف في كتابا Ketaba (2)

برنو في عصر أوج ازدهارها :

ادريس الوما (١٥٧٠ - ١٦٠٣ م)

●●●●●●●●●●●●●●●●●●●

انتقل عرش برنو بعد وفاة السلطان ، عبد الله بن دونما ، الى أعظم سلاطين برنو ، بعد مؤسسها ، ذلك هو السلطان ادريس بن علي بن أحمد بن عثمان بن الحاج ادريس ، الذي ينحدر من السلطان أومي بن عبد الجليل ، أول سلطان اعتنق الديانة الاسلامية ، في تاريخ كانم ، من سلالة سيف بن ذي يزن من سلالة حمير (3) ويسمى ادريس أماسي أو ادريس الوما ، نسبة الى المكان الذي دفن فيه وهو جزيرة الوما Alowma (4) ، وأعتقد أن الرأي الذي قال به بارث ، غير مسلم به أن الوما هي تحريف لمعلى فهو ادريس بن علي ، وقد ذكر بهذا الاسم ادريس أبو السلاوي (5) وأعتقد أن الجزيرة التي دفن فيها قد أخذت اسم الوما بعد دفنه فيها وليس قبل دفنه ، وقد حكم ثلاثة وثلاثين عامـا

---

(1) Urvoy, Y.: OP. Cit. P. 74.

(2) Barth, H. OP. Cit. P. 592.

(3) Ahmed ibn Fartua: Mai Idris a loома of Bornu. P.9.

(4) Barth, H.: OP. Cit.: Vol.3. P. 592.

(5) السلاوي ، أحمد خالد : الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى جـ٥ ، ص١٠٥ .

(٩٧٩ – ١٠١١ هـ – ١٥٧١ – ١٦٠٣ م) وتعتبر فترة حكمه وأهم فترة في تاريخ البلاد . ذلك أنه كان من حسن حظه أنه تولى العرش بعد فترة من الاضطرابات . كانت تسيطر فيها الام الملكة " الماجرا " سيطرة كاملة . على مقاليد الامور منذ أواخر عهد السلطان عبدالله . وذلك بحكم شخصيتها القوية [1] وسلطت نفوذها الواسع على برنو [2] فوظفته لان يتسلم ابنها ادريس امور البلاد وهي في قمة الهدوء والاستقرار .

نشأ ادريس الوما على حب الحرب والشجاعة . والانتصار بالاضافة الى العدل والعطف في جانب آخر [3] فقد أقامت له والدته قصر عظيم ومسجد كبير [4] . لكي يبعد ادريس بعيدا عن قرب العاصمة ومفاسدها . ولكي يختلف عن أبن عم السلطان دوناما وابنه السلطان عبدالله [5] .

فكان القصر والمسجد يقعان على نهر " يو " ٢٥ " على بعد ١٠ ميل جنوب جامبا رو Gambaroru وقد اكتملت صحيا عند الى قريته خلال حكم السلطان دوناما بن محمد والذي نجح هو وابنه في تولي عرش البلاد [6] .

---

(١) هذه الماجرا . هي ابنة السلطان محمد بن ادريس . وهي التي نصبت السلطان ادريس . على عرش البلاد وهي صغيرة السلطان العظيم ادريس الاجاري الذي نجح في دخول كانم وكسر شوكة البلاد .

(٢) Palmer, H.: OP. Cit. P. 233.

(٣) Barth, H.: OP. Cit. P. 593.

(٤) شاهد بالمر آثارهما باقية اثناء تجواله في امارة برنو .

(٥) Palmer, H.: OP. Cit. P. 233.

(٦) Ahmed Ibn Fartua. OP. Cit. P. 63.

وقام السلطان ادريس بتأمين الطرق التجارية المؤدية الى الشمال ، وقام بعدة حروب ضد الوثنيين فحارب ، سلطان أماكا Amaka وحارب سلطان كانو في الغرب كما حارب البربر في الشمال ، وشن عليهم النطاق ، ووصل في حملاته شمالا الى مدينة بلمى Bulma وعسكر هناك عدة أيام [1] ، وقام السلطان ادريس الوما بتأدية فريضة الحج ، وفي طريق عودته الى سلطنة بورنو هذا وصل الى ارض برقة — يبدو وانها كانت تقع شمال شرق بورنو وانها اندثرت لانها لم تظهر في الخرائط — وأنه قتل كل السكان الوثنيين في هذه النواحي ، كما أسر جميع المحاربين الاشداء بها [2] .

وأحضر السلطان ادريس معه الاسلحة النارية بعد تأدية فريضة الحج ، ودرب عددا كبيرا من عبيده ، على استخدامها ، وبذلك ضمن السلطان التفوق العسكري في كافة المعارك التي يدخلها ضد أعدائه ، كما ضم الى جيشه بعض الجنود والضباط ، الاتراك والطرابلسيين ، ويقال أنه اشتراهم من مصر في طريق عودته من الحج [3] .

على السلطان ادريس على وقف الحروب بين المسلمين ، والمصالحة بين القبائل ، وجعلهم أخوة في الله ، ودخل في حرب طويلة مع كل البلاد التي تجاور برنو سواء التي تقع شرقها وغربها ، أو جنوبها وشمالها .

---

(١) Ahmed ibn Farthua.: OP. Cit. P.P 10- 11.

(٢) Ahmed ibn Farthua.: I. bid. P. 12.

(٣) ابراهيم بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم — برنو ، ص ٨٩ .

وأرغم الاهالي على أن يتبعوا اصول الدين ، وأن يتحلوا بالتسامح ، والاخاء ، وليس بالتفاخر والعداء [1] وحد الطقوس والخرافات ، وذلك لكي يستخدمها الناس بالعدل والقسط ، وأن يحافظوا الذي أعمالهم [2] . كما أخضع قبائل الصو ، وغزا قبائل البربر الواقعة في اير ، وتغلب عليها ، واستولى على اراضيها ، وما يقع في شمالها من اراضي التبو ، وبذلك فتح الطريق ، بينه وبين طرابلس ، ثم غزا قبائل الماسا ماتيم ، وانتصر عليهم ، وقام باخضاع قبائل البلالة سبع مرات [3] وذلك لان السلطان عبد الجليل بن عبد الجليل ، قائد البلالة ، جاء لكي يقاتل السلطان ادريس ولكن معه عدد قليل من الجنود ولكن في منتصف النهار ، انكسرت قوات الاعداء وهربوا الى الشرق ، وتبعهم السلطان حتى أختفى لهم كل اثر [4] .

ثم بعد ذلك وجه عنايته صوب بلاد الهوسا ، فأرسل عدة حملات اليهـا ليحصل على الاستيلاء على المنطقة الواقعة غرب برنو كلها ، حتى مدينة كانو ، وقد ارتاحت مملكة سنغاي ، لهذه الانتصارات ، ولولا أنها سقطت تحت ضربات الجيش المراكشي في عام ١٥٩١ م لقام صراع عنيف بينها وبين سلطنة برنو ، وذلك لان كل منهما كانت تسعى للسيطرة على بلاد الهوسا ، كما أخضع مختلف

---

(١) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا : ص ٧٨ .

(٢) Ahmed ibn Farthua. OP. Cit. P. 13.

(٣) علي ابوبكر : نفس المرجع ، ص ٣٤ .

(٤) Ahmed ibn Furtuaa.: OP. Cit. P. 56.

المعاصر في مملكتـــه ، وذلك لانه كانت له الغلبـــة والتفوق بسبب قوة جيشـــه الذي كان يضم فرقة من حملة البنادق وأخرى من الفرسان وكانت هذه الاسلحة النارية التي يحصل عليها مجهولة في السودان الاوسط والغربي ولذلك كانـــت خطته التي يتبعها في قتاله مع عدوه هي أن يقاتله بالسلاح الابيض والاسلحـــة المستخدمة في ذلك الوقت حتى اذا حمي وطيس القتال ، أصدر الاوامر للجنـــود الحاملين للاسلحة النارية (البنادق) أن يطلقوها فيطلقوها ، طلقة رجـــل واحد ، فلا يسع العدو الا أن يولي دبره مذعورا ، مدحورا ، تاركا وراءه مئات من القتلى والجرحى [1] بالرغم من شهرة شعب البرنو ، فقد اوجدوا السلطنة حتى قواهم السلطان ادريس بطرده لهم من حصونهم وقضت عليهم [2] كذلك خضعت للسلطان ادريس القبائل العربية في الشرق والجنوب ، ومن هؤلاء عرب الشوا [3] .

---

(١) علي ابوبكر : نفس المرجـــع ، ص ٣٤ .

(٢) Ahmed Ibn Farthua. Op. Cit. P. 54.

(٣) كان عرب الشوا يعيشون شرق برنو ويكونون جزء من سكانها ولكنهم كانوا موجودة واحدة قد هاجروا ، من الشرق بعد فترة طويلة الى برنو ، وان كانت لا توجد لدينا ادلة قوية عن الزمن الذي جاءوا فيه الى البلاد ، قبل تولي السلطـــان ادريس لوما مرغ البلاد وقد هموا بخطوات وئيدة ، الى الاقاليم الشرقية من اقاليـــم البرنو ، حتى وصلوا الى هذا المكان ، في وطن برنو وذلك دون التحرك الى الغرب اكثر من ذلك ، ولهم لهجة تختلف عن لهجة اهل المغرب ، وانها تبدي كثيرا من ملامح النطق اقرب الى لهجة اهل الحجاز ، ولا سيما في طريقـــة النطق ، وأن كثيرا من عاداتهم لاتزال تحتفظ بطابعها القديم وأن هـــؤلاء الشو ، ينقسمون الى عدة بطون وأفرع ، وكان عددهم يقدر بنحو ٢٠٠ الى ٢٥٠ الف نسمة في عهد بارث ولا شك في أن عرب الشو ، هـــم الذين سهلوا الاقامة للفلاتة في برنو ، وأن كان الشوا في الشرق والفلاتـــة في الغرب هناك كثيرا من القرى في برنو ، يسيطر عليها عرب الشو مع الكانوري Barth, H.: Op. Cit. P.P. 88 - 90 وقد سمح سلاطين برنو لعرب الشوا بالاحتفاظ بشيوخهم وكان لهم شيخان يختارونهما بأنفسهم وكانت هذه المشيخة تخضع للسلطان وكان لكل قبيلة شيخ تخضع له القبيلة وكان شيخ القبيلة مسئول عن كل شـــيء يتعلق بقبيلته (ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٢٦٩ .) .

وشيد السلطان ادريس الوما ، كثيرا من المباني التي تشهد له بالعظمة والقدرة على تعمير العمران ، في أرجاء الامبراطورية ، فأمر ببناء اسوار بالمدينة ووضع الحراس على كل باب ، وأقام بها مخازن واسطبلات للجنود ، وأمر كل الرؤساء ، بأن يبنوا منازلهم بالطوب الاحمر ، وأن يكون بها مكان يخصص للخيل ، كما قام ببناء المساجد من الطين والحجارة ، بعد أن كانت تبنى من البوص ، ورأى ضرورة الاهتمام بالمساجد والعناية بها ، وعلى ذلك أعاد بناء المساجد القديمة ، وشيد مساجد جديدة ، فسيحة وعظيمة (١) .

في المجال السياسي ، لعبت بورنو دورا هاما ونشطا ، في السودان الاوسط والشرقي ، وكانت هذه الفترة ، فترة توسعها ، ومد نفوذها على أراضي واسعة ، ، فكانت تحدها من الشمال ، الامبراطورية العثمانية ، التي بسطت نفوذها على الشمال الافريقي منذ القرن السادس عشر الميلادي ، وذلك بعد أن مدت بورنو نفوذها حتى جنوب فزان ، وشرقا الى وداي ، ولما كان الطوارق أير يهددون طريق القوافل الموصل الى فزان ويقرصنون بعض القوافل ، فان السلطان ادريس كان يريد ، أن يمنع الاتراك بسط نفوذهم جنوبا وذلك باحتلال كوار ، وبلما ، وذلك ليسيطروا على الطوارق ويأمن طريق القوافل (٢) .

---

(١) Barth, H.: OP. Cit. P.P. 88 - 90.

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 234 - 235.

وكان لبرنو في عهد السلطان ادريس ، أهمية بارزة في نقل التجارة وعبر الطريق الصحراوية ، وعلى وجه الخصوص ، تصدير الرقيق واستيراد الخيول ، وقد زاد ذلك من ارتباطها مع الشمال الافريقي وكانت تجارة الرقيق تعود بمكاسب ضخمة للاسرة المالكة ومصدر قوة للجيش السلطاني (١) .

وقد أمر السلطان ، ادريس ، بنقل الفلاحين من أقليم كولو Kulu في كانم ليستقروا في برنو وذلك ليقوموا بالزراعة ، فاستقروا في جنوب شرق البحيرة الى الغرب من بحر الغزال ، كما رحل بعضهم بارادته ، ليستقر في ظل الطمأنينة والامان اللذين سادا الامبراطورية (٢) واستطاع السلطان ادريس أن يواجه المشاكل التي خلفها له سابقوه في الحكم ، وأن يقوي الامبراطوريه ، ويدعم مركزها ، ومن أجل ذلك ، اتجه الى محاربة ، الذين هربوا من سبقه من سلاطين برنو ، وظلوا يملكون مساحة واسعة من الاراضي ويحتلون أماكن هامة ، مجاورة لبرنو والذين كانوا يقومون بقطع الطرق والاغارة على القوافل والاغارة على حدود برنو قام السلطان ادريس بمهاجمة وطن هذه القبائل ، على نهر كوماد وجوبى

Kemedugwambe

---

(١) Hodgkin, T. Nigerian perspectives. P.P. 26 - 27

(٢) McEwang J.H.: Africa From the early times to 1800 P. 82.

بالقرب من عاصمتهم دلمساك Damasak ، معسكرات كبيرة وحصينة (1)
وضع فيها جزءاً كبيراً من جيشه ، ثم لم يلبث أن قام بهجوم كبير ، فدمرهم ودمر محاصيلهم
وأشجارهم وصمم على أن يستولى على عاصمتهم ، ونجح فى ذلك الى حد أنه قتل وأسر
جميع سكانها ، كما واجهت المدن الصغيرة نفس المصير ، واضطر سكان دوجوتى Dughuti
الى الفرار الى كانم ، كما هاجم سكان الغابات الكثيفة التى يسمون
اساكا التى تسكن بين جامورجو Gamurgu وماندارا ، فأسر وطائهم ، كما عمل
على ضرب القبائل الوثنية بعضها ببعض ، وذلك بتأييده بعضها ثم التخلى عنها وتأييد
فريق آخر وهكذا تمت له السيطرة على كل القبائل الوثنية ، كما سيطر على سكان
جزر بحيرة تشاد ، وأصبحت برنو كاملة السيادة وتسيطر على كل الاراضى المجاورة (2) .
ومن أجل زيادة السيطرة على جزر بحيرة تشاد ، فانه أمر بتصنيع قوارب كبيرة ، كبيرة ،
بدلا مما كان يستخدمه السكان فى عبور النهر (3) .

كان السكان يستخدمون قطعة خشب مجوفة ، وقد ركب ذلك النوع ابن فرطوه
عند عبوره النهر النيجر ، أو بحر تجهيف ، وذلك لاستخدامها فى عبور النهر ،
والوصول الى جزر البحيرة ولما رأى السلطان أن عبور النهر الى الاعداء يستغرق يومين
أو ثلاثة أيام ، فانه رأى أن مثل هذا النوع من القوارب لا يصلح لعبور اعداد كبيرة من
الجنود ، ومن هنا فانه أمر بصناعة قوارب كبيرة لكى يتم عبور الجنود باعداد كبيرة وفى
فترة قصيرة (3) .

---

(1) Ahmed ibn Fartua. OP. Cit. P. 33.

(2) Barth, H.: OP. Cit. vol. 3. P. 593.

(3) Meek, C.K.: The Northern tribes of Nigeria. vol.2 P. 80.

كان السلطان ادريس رجل قوى ومتدين ، ولذلك بذل جهوده لتدعيم الاسلام وتطبيقه في نفوس مواطنيه وعمل على ان يكون الاسلام هو الديانة الرسمية للبلاد ، كما عمل على القضاء على البدع والخرافات [1] ، وان كان افراد الشعب العادى لا زالوا يمارسون عاداتهم وتقاليدهم القديمة رغم اعتناقهم للدين الاسلامى [2] .

عمل السلطان ادريس على تشجيع شعبه في الذهاب الى الاراضى المقدسة لتأدية فريضة الحج ، ومن اجل ذلك بنى منازل لهم في مكة والمدينة وفتح التكايا ، كما احضر العلماء المسلمين من بلاد الشرق والشمال الافريقى واتبع النظم الاسلامية واستخدمها في التشريع بدلا من التقاليد الموروثة [3] .

ولم يكن للسلطان ادريس رغبة شديدة في توسيع رقعة مساحة الامبراطورية ، لذلك عمل على تأكيد السلام مع جيرانه واكتفى منهم بدفع الجزية عن الاجزاء التي يسيطر عليها . كما كان يلقى الرعب في قلوبهم باستخدام القهر ، وبذلك ضمن سلامة الامبراطورية من الهجمات الخارجية ، ولكي يضمن بقاء هذه الاماكن تحت سيطرته ، فانه جمع عددا كبيرا من الخيل والجمال للقيام بالدوريات .

وقد جاء امير ماندرا السابق يطلب مساعدته ضد عمه الذى عزله من العرش فان السلطان ادريس ، سار الى كاروا ثم الى ماندرا ، ولكن السلطان فر الى الجبال العالية التى تقع غرب المدينة واضطر السلطان ادريس ان يعود الى برنو ، دون ان يحقق اغراضه

---

(١) Trimingham,J.S: A history of islam in west Africa P. 193.

(٢) Shinnie: M: OP. Cit. P. 74.

(٣) Shinne. M.: OP. Cit. P. 75.

ولقد عاد في العام التالي وحول أحسن المجموعات العسكرية والقوات الكبيرة وعسكر تحت السور وأجبر سكان ماندرا على الاعتراف بالأمير المخلوع والاعتراف بسيادته لأن الأمير الشرعي هو صاحب الحق الشرعي (١).

ولقد كانت الحروب التي خاضها ذلك البطل الافريقي ، سببا في رخـــاء برنو ، ونموها وأيضا سببا في نمو المدن البرنوية ، ونمو اقتصادها وزيادة حركـــة التجارة بها وقد مات هذا السلطان القوي في احدى الغزوات في الجنوب عام ١٦٠٣ م بعد أن طعنه أحد الوثنيين بخنجر في صدره ، ودفن في ألا Alama في مقاطعة اداماوا Adamawa (٢) وبذلك طويت صفحة من صفحات تاريـــخ برنو كانت مليئة بالانتصارات والفتوحـــــات .

---

(١) Barth, H.: OP. Cit. P. 595.

(٢) Barth, H.: ibid. P. 598.

(بعد السلطان ادريس اليما)

آل الحكم في البلاد ، بعد مقتل السلطان ادريس ، الى ابنه الاكبر السلطان محمد بن ادريس ، الذى حكم ستة عشر عاما وسبعة اشهر (١٠١١ - ١٠٢٢ هـ - ١٦٠٢ - ١٦١٨ م) ولقب باسم محمد بوكالما راى Bukkalmarami . كان اميرا ممتازا ، حليما ، ولكنه لم يكن مقاتلا ، نجح في أحدى المعارك الكبرى ، التي كان يقود فيها قوات برنو ضد البلالا ودفن في مدينة دامسكى Damasaki في كانم[1] .

ويبدو أن الدولة قد أخذت في الضعف والانقسام ، والتدهور ، وأخذت الامور تسوء والاحوال لا تستقر[2] وهذا نتيجة لضعف السلاطين الذين لم يهتموا بمصالح الرعية ، ولم يكن لاى من هؤلاء السلاطين الذين تولوا العرش بعد السلطان ادريس شأن في تصريف وادارة أمور السلطنة[3] حتى أن السلطان محمد بن ادريس لم يقم بأى عمل يذكر طوال مدة حكمه .

أما السلطان ابراهيم بن ادريس فقد حكم سبعة اعوام وسبعة أشهر (١٠٢٢ - ١٠٣٥ هـ - ١٦١٨ - ١٦٢٥ م) وقام بتأدية فريضة الحج في

---

(1) Palmer,H.: OP. Cit. P. 244.

(٢) على ابيكر : نفس المرجع ، ص ٣٤ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٨ .

(٤) ~~Barth,H.: OP. Cit. 598.~~

عام ١٦٢٩ م [1] وأصبح بعده عادة لبهنية الحج رجلا عجيبا . ويقال أن السيف قد يمتد أنه . سرقت بقرة لسيدة عجوز . فقالت العجوز أن هذا من أعمال السلطان . ولما بلغ ذلك القول السلطان . أمر بإحضار العجوز وهددها بالقتل بأنه لا يستولى على أموال المسلمين بالقوة . ولا يأخذ أموال الأرامل . فلماذا تقول على أني شرير . فقالت له . لأنك تقضي وقتك في اللعب والهزل ولا تؤدي الصلاة ولا تتبع الدين الحق ولولا تملك هذا . لما ساد الشر السلطنة وسرقت بقرتي مني . ولأنك لم تقم بأداء واجب الله في أرضه وتحكم بالعدل والشريعة فان اللصوص سرقت بأخذوا أرضنا هذه . فسمع السلطان كلام السيدة العجوز ورجع الى حكم القرآن والشريعة الاسلامية فعم الرخاء وساد العدل [2].

ودخل السلطان ابراهيم بن ادريس عشرة حروب كبيرة ومات ودفن في العاصمة برنو قصر ابجمو Ghasreggomo [3] .

وولي بعده عرش برنو الحاج عمر بن ادريس الذي حكم تسعة عشر عاما وتسعة أشهر (١٠٣٦ - ١٠٥٥ هـ ، ١٦٢٥ - ١٦٤٠ م) وفي عهده وصل الى المرغكان في الستين . وقد زار الى برنو في عهده بعض علماء الفلاته ينتمي الشيخ الثالث ولديه الذي استوطن كانورد شمال برنو [4] .

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 589.

(٢) Palmer,H.: OP. Cit. P. 244.

(٣) Barth,H. : OP. Cit. P. 598.

(٤) وكانت هذه المدينة كواحدة لنشر الاسلام وقد تأسست في عهد الماي عمر .

وكان معه الشيخ الوالي بن الجرمي وقد قام بهداية الناس وتعليم الدين الاسلامي الصحيح الخالي من البدع والخرافات وقراءة القرآن وحاسبهم الناس بالأخذ بالتعاليم الدينية الاسلامية جميعها . وقد تاب على ايديهما بعض عمال السلطان برنو . وكان أمير البلاد وسلطانها السلطان عمر من بين هؤلاء التائبين (1) .

كان السلطان عمر يعاني من أعتلال في صحته وقد أستمر ذلك طوال فترة حكمه حتى أنه ترك العناية بمملكته لابنه الاميرة فوسام Fusam . ومات ودفن في العاصمة برني (2) .

---

(١) محمد بلو : انفاق الميسور في بلاد التكرور ص قب ٢ .

(٢) Palmer,H.: Op, Cit, P. 545.

(تدهــور الأســرة في برنــو)

ولي عرش برنو ، بعد وفاة الحاج عمر بن ادريس ، ابنه السلطان علــي ، الذي حكم ، أربعين سنة (١٠٥٥ - ١٠٩٥ هـ - ١٦٤٥ - ١٦٨٤ م) وكان رجلا تقيا ، شجاعا وذكيا ، قام بتأدية فريضة الحج ثلاث مرات في أعوام ١٠٥٨ هـ ١٦٤٨ م ، و ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٦ م ، و ١٠٧٢ هـ - ١٦٦٢ م) وهـــذا أن دل فانما يدل على مدى تمسكه بالاسلام (1) .

وعندما عاد السلطان علي من حجه الأخير ، فانه واجه ثورة عارمة في البلاد ولكنه تمكن من القضاء عليها وربما تكون هذه الثورة محاولة لخلعه من عرش البلاد . وقام بعد ذلك بحملات عسكرية ضد سلطان اير وذلك للهجوم على اغاديس .

وفي أثناء حكمه للبلاد كان قوة شعب الجوكو الوثنيين ، والذين كانوا يسكنون في اقليم جومبو Gombe جنوب برنو بدأت في الظهور (2) وقد تركت آثارها علــى مجرى الأمور السياسية في برنو (3) وكان سلاطين برنو قد عجزوا على القيام بغزو الوثنيين الذين يسكنون جنوب برنو وحول خليج بنين وذلك لنشر الاسلام بينهم ، وليس لضمهـــ

---

(1) Barth,H.: OP. Cit. P. 598.
(2) Palmer,R.: OP. Cit. P. 246.
(3) كان الفلاتة وأهالي البرنو يطلقون على شعب الجوكو اسم الكوارارافا ، وأيضا أطلق عليهم شعب برنو في الماضي هذا الاسم عليهم ، وجاء ذلك في مخطوطاتهم وأنهم من شعب الكانوري ، وجاءوا من الشرق من مصر أو من مكة كما تذكر ذلــك أساطيرهم (Meek,C.K.: A sudanese kingdom. P.P. 16-22)
وانهم تركوا وادي النيل حوالي ٦٠٠ م وهاجروا بطريق الى كردفان ثم الى بحيرة تشاد ثم الى اقليم ماندارا ثم جاءت قبائل ~~الفلاتة~~ طردتهم من هضاب ماندارا الــى اقليمهم الحالي جنوب P.P 71-72
Ahmed ibn Fartua, OP. Cit.

الرقيق كما ذكر تيمنجهام . وقد قتل السلطان ادريس الوما في احدى غزوات الجنوب في أرض شعب الجوكون .

وعندما ظهرت قوتهم فانهم اصبحوا ذو تأثير فعال في منطقة السودان الغربي حتى أن بعض امارات الهوسا . كانت تدفع لهم الجزية سنويا مثل : زاريا ، وكانو ، وكتسينا (١) .

وقاموا بحصار السلطان على بن عمر في عاصمة برنو من الجنوب . وقام الطوارق بحصار العاصمة من الشمال وحاصروا العاصمة لفترة طويلة . ولكن السلطان على . نجح في الايقاع بين الفريقين فتقاتلا حتى تحطما تحطيما شديدا . وكان ذلك لمقدرة السلطان على في ادارة الصراع من أجل الاستيلاء على بلاده . وقد عد ذلك نصرا عظيما لدرجة تغنى احد شعراء برنو " دان ماريا " في قصيدة شعرية (٢) .

ويبدو أنه بعد انتصار الطوارق على الجوكون فان السلطان على استطاع أن يقتل من الجوكون الف قتيل ، ويجيء الف ويأخذ معه الف أسير منهم (٣) وهذا يدل على حنكته السياسية وقدرته المنظمة في الاحتفاظ ببلاده ، وإدارة شئونها . وفي عهده حدثت مجاعة عظيمة في البلاد ، استمرت سبع سنوات وسميت مجاعة " دالا داما " Dala-Dama (٤) .

ويبدو أن الامور قد ساءت في البلاد وأن هذه المجاعة أثرت في الشعب

---

(١) Crowder, M.: The story of Nigeria. P.P. 43 - 44

(٢) Hodgkin, T.: OP. Cit. P. 52.

(٣) Palmer, R.: OP. Cit. P. 246.

(٤) Palmer, R.: ibid. P. 95.

فاثيرا فعالا وأدت الى عدم استقرار الامور فى البلاد وهجر الاهالى الاراضى الزراعية وتركوها بدون فلاحــة (١) .

وقد كان للحصار الذى فرضه الطوارق والجوكون على العاصمة من الاســباب القوية التى أدت الى حدوث تلك المجاعة والى عدم استقرار الامور فى البلاد ومــع هذا فان السلطان على قام بحملة عسكرية ضد طوارق اير لرفع الروح المعنوية للشعــب ولكى يثبت للطوارق كما أثبت للجوكون أن الامبراطورية ما زالت قوية ، لكن الحملــة فشلت فى تحقيق اغراضها (٢) .

بدأ الضعف والانحلال يدب فى الامبراطورية القوية لكنها بقيت على هــذه الحالة حتى القرن التاسع عشر الميلادى وكان اضطرابها بأحوال العالم الاسلامى . . وفرق شعوب السودان الغربى وأضطرابها بالاحوال فى المغرب العربى سببا فــى بقاء هذه الامبراطورية دون تمزق (٣) .

ترك السلطان على بن عمر حكم البلاد لابنه ادريس بن على منذ عام ١٦٨٠ . وبذلك يكون حكمه الحقيقى للبلاد انتهى فى هذه السنة والرسمى عام ١٦٨٤ م (٤) . مات السلطان على فى هذا العام فى مســتى ودفن فى مدينة مانان (٥) .

وآلت شئون البلاد بعد وفاته الى السلطان ادريس بن على وكان يحكم منذ عام ١٦٨٠ لكن التنصيب الرسمى لحكم البلاد لم يتم الا فى عام ١٠٩٦ هـ ـ ١٦٨٤ م

---

(١) Barth, H.: OP. Cit. P. 598.

(٢) Barth, H.: Ibid. P. 598.

(٣) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٥٤ .

(٤) Palmer, H.: OP. Cit. P. 248.

(٥) تقع مدينة مانان شمال شرق نجيمى عاصمة كانم القديمة فى الطريق الى بلمــا وتبعد وهى على مسافة ثمانية ايام من نجيمى .

واستمر يحكم البلاد عشرين عاما ١١١٠ هـ ــ ١٢٠٤ م (1) ولم تذكر الوثائق التي عثر بارث على شيء من أعماله وما جرى في البلاد في فترة حكمه الا أنه مات ودفن في كوان (2) .

وآلت أمور البلاد التي بعده الى ابنه ، دوناما بن علي ، وحكم تسعة عشر عاما (١١١٥ ــ ١١٣٤ هـ ــ ١٢٠٤ ــ ١٢٢٢ م) وكان محاربا شجاعا وسلطانا عظيما ، ولم تذكر الوثائق عنه شيئا ، الا أنه حدثت في عهده مجاعة بالمدينة في العدة استمرت سبع سنوات عجاف ، ومات ودفن في أحد أحياء العاصمة برني (3)

وآلت أمور البلاد الى ابنه السلطان حمدون الذي حكم أربعة عشر عاما (١١٣٥ ــ ١١٤٨ هـ ــ ١٢٢٣ ــ ١٢٣٦ م) وامتازت فترة حكمه بالسلام ، وظهر التدين والورع بين أفراد الشعب ، وكان سلطانا يحب العلم والعلماء ، والدراسة في كتب الفقه والدين ، والمداومة على قراءة القرآن وحده وأنه قام بتأدية فريضة الحج ، ومات في العاصمة برني ، ودفن في منزله بعد تأدية الصلاة عليه (4) .

وآلت شئون البلاد بعد وفاته الى ابنه محمد بن حمدون أرغمــــا Erghamma وحكم ستة عشر عاما (١١٤٩ ــ ١١٦٤ هـ ــ ١٢٣٧ ــ ١٢٥١ م)

---

(1) Barth,H.: OP. Cit. P. 598.

(2) Palmer,R.: OP. Cit. P. 250.

(3) Palmer,R.: ibid P. 252.

(4) Palmer,R.: ibid P. 252.

قام بعدة حروب ضد كانو ، وفي آخر حرب معها ، حاصروها سبعة أشهر ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها [1] وفي عهده ساءت البلاد بسبب الفوضى ، فقد ترك ، الامراء والحكام ، أمور البلاد وأداروا ظهورهم وعاشوا في العاصمة في عيشة الترف والرفاهية ، والامبراطورية تتمزق الى اجزاء صغيرة ولم يستطع السلطان ، أن يقاوم أي ضغط خارجي يقع على البلاد [2] حدثت في عهده مجاعة استمرت سنتين ، جعلت الشعب يئن تحت وطأة الفقر والجوع والحرمان ، ومات السلطان محمد ودفن في العاصمة برني .

وآلت امور البلاد بعد موته الى ابنه دوناما بن محمد ، وحكم سنتين وستة أشهر (١١٦٥ - ١١٦٨ هـ - ١٧٥٢ - ١٧٥٥ م) ولا نعرف شيئاً من سنوات حكمه الا أنه حدثت مجاعة شديدة أتت على الاخضر واليابس ، وشاعت بين الاهالي حالة من الجوع والحرمان [3] ومات السلطان دوناما في العاصمة برني ودفن بها .

وتولى بعده حكم البلاد السلطان علي بن دوناما وحكم اربعين سنة (١١٦٨ - ١٢٠٧ هـ - ١٧٥٥ - ١٧٩٣ م) وكانت برنو في عهده قد وصلت الى مرحلة من الضعف والانهيار حتى انها فقدت السيطرة على الطرق

---

(١) Palmer, H.: OP. Cit. P. 253.

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 599.

(٣) Barth, H.: ibid . P. 599.

الطرق الصحراوية المؤدية الى الشمال بسبب ازدياد خطورة طوارق اير .

في عهده بدأت قوة الفلاته في الظهور وأصبحوا يشكلون خطرا على أمن برنو [1] كان السلطان علي سلطانا متدينا ورعا يتقي الله في كل أموره ويحب العلم والعلماء وكان ابا لثلاثمائة طفل (٣٠٠) وكان سلطانا مغوارا يتمتع بنوع خاص من الاقدام والجسارة ويقال أنه أرسل حملات عسكرية الى اقليم ماندرا ولكن هذه الحملات لم تحقق الغرض الذي من اجله اعدت وأنه قاد أيضا بعد ذلك حملات ضد سكان بيدوى Bedde [2] حيث ثم بدأ سكان برنو يشعرون بالضعف الذي وصلت اليه امبراطوريتهم بعد هجمات الفلاته . ذلك أن الجزء الاكبر من الجيش كان قد قتل على يد سكان ماندرا وسكان بيدى ، وهاجم الفلاته العاصمة برنى .

ويبدو أن خلفاءه عانوا محنة الشيخوخة والضعف ، فلم يستطيعوا ان يدفعوا المغيرين على أطراف الامبراطورية وتركوا الاهالي تحت رحمة قطاع الطرق وعصابات اللصوص ، فأهملوا الزراعة وفلاحة الارض وفتكت بهم الاوبئة والمجاعات ودفع الفقر بالسلطان احمد بن علي ليتولى امور البلاد وقد حكم سبعة عشر عاما (١٢٠٨ - ١٢٢٥ هـ - ١٧٩٣ - ١٨١٠ م) وكانت البلاد قد وصلت الى حالة من البؤس والفوضى والاهمال [3] كان السلطان احمد ، متمسكا

---

(1) Trimingham, J.S.: A History of Islam in West Africa) P. 124.

(2) Barth, H. OP. Cit. P. 599.

(3) Barth, H.: Ibid. P. 599.

محبا للعلم والعلماء وكان له أصدقاء عديدين من العلماء ورجال الدين ، عطوفـــا على الفقراء الا أنه لم يكن رجلا شجاعا يحب القتال والحرب ولذلك فانه لم يستطيع أن ينقذ الامبراطورية من الخطر الذى يحيط بها ، بعد أن وصلت البلاد الى حالة من الانهيار والتمزق ، وزاد الحالة سوءا انتشار مرض الطاعون الذى مر فى برنو والذى حصد معه عددا كبيرا من سكان برنو واستمر ذلك المرض ثلاث سنوات (1) .

((الصـــراع ضد الفـــلاته))

استقر بعض الفلاته فى الاقاليم الغربية من برنو منذ فترة طويلة وتجمعوا فـــى اقليم جوجبا Gojeba واستطاعوا أن يكونوا قوة عسكرية وحربية هائلـــة وخرجوا على سلطة السلطان أحمد والدولة وقاموا بقتل الزعماء والرؤساء الذيـــن كان يرسلهم السلطان احمد لحكم الاقاليم الغربية فى ذلك الوقت فهم حركـــة الزعيم الدينى الفلاتى عثمان ابن فوديو والذى وضع خطة للاستيلاء على امارات الهوسا الرئيسية ، تعيين الزعيم ماضر المختار وإبراهيم زكى القلب ، ليقوموا بمهاجمة امارات الهوسا ولم يكد يصل أحد هؤلاء الزعماء الى مركز قيادته حتى انضمت اليـــه الجماعات الفقيرة ، وحشد كل واحد منهم جيشا قوامه الايمان بالله والدفاع عن العقيدة الاسلامية ونشرها .

---

(1) Barth,H.: OP. Cit. vol 3. P. 599.

ولما أحس أمير كانو ، وأمير زكزك ، ورأيا أن كل واحد منهما مهدد في عقـــر داره ، بادر كل منهم بالكتابة الى سلطان برنو يستنجده ويستعديه على هؤلاء الغزاة وذلك لانهما يدينان له بالولاء ، ويدفعان له الجزية السنوية .

ولما كانت برنو سلطنة اسلامية تميل على سلطاتها السلم ، طلبها الاميرين معاضدة الوثنية على الاسلام ، في حين أن عدم اجابة طلبهما تعمل على تقلص نفـــوذ سلطنة برنو (١) ومن هنا كان المشكلة التي واجهت السلطان أحمد مشكلة سياســـية كما هي مشكلة دينية ، ولا شك أن السلطان أطال التفكير فيها قبل أن يأخـــذ قراره النهائي ، ذلك لانه اعتبر تعسفا حاكما لبلاد الهوسا وذلك جزاء ما كان يقدم له من أموالها كجزية سنوية ، ورغم أن نفوذ برنو أخذ يتلاشى منذ أوائل القرن السابع عشر على هذه الامارات الا أنه كان لا يرضيه أبدا أن يرى حركة دينية تحت زعامة غيـــره لا سيما اذا كانت من شعب يعتبر شعبا طارئا في البلاد وهو شعب الفلاته (٢) .

وتحت تأثير هذين العاملين أصدر أوامره الى حكام المقاطعات الغربية من برنـــو والملاصقة لبلاد الهوسا بامداد المدد للدفاع عن الهوســا وطرد الشيخ عثمان ، فأصدر أوامره الى أتباعه بمحاربة برنو ومخاطبتها لان مناصرة امراء الهوســا من سلطـــان مسلم يعتبر ارتدادا عن الديـــن (٣) وقال عثمان أن ســـــلطان

---

(١) علي أبوبكر : نفس المرجع ص ، ص ٥١ ـ ٥٢ .
(٢) علي أبوبكر : نفس المرجع ص ٥٢ .
(٣) أحمد بلو : نفس المرجـــع ، ص ١٣١ .

برنو لهم مواطن يركبون اليها ويذبحون لها ، ويرشون الدماء على أســوار قبابهم ولهم بيوت مخصصـــة لها حيات وأفاعي يذبحون لها ، ويعملون للبحر كما كانــت تفعل القبــط للنيل أيام الجاهليـة (1) .

قام جيش الفلاته بمهاجمة امارات برنو الغربية وأنزل بقوات برنو هزيمة منكســرة وطرد حكام الاقاليم من عواصمهم الاقليمية وكان ذلك في عام ١٨٠٨ ، وبذلك اصبح الطريق مفتوحا الى عاصمة برنو وسار الجيش الفلاني اليها واستطاع ان يحتلها بعد معركة عنيفة تحت قيادة الماهر مختار وهرب السلطان احمد من البوابة الشرقية عندما دخل الفلاته المدينة من الناحية الغربية ، وكان ذلك في عام ١٢٢٤ هـ ـ ١٨٠٩م وذهب ليحكم من نورنادا وكان هذا المكان يحيط به الخطر من كل جانب ولهذا فانه ارسل الى الفقيه محمد الامين الكانمي يطلب مساعدته (2) وذلك لانه كان يحارب عدوا قويا يتسلح بالعقيدة الاسلامية وانهم كانوا يقاتلون من أجل العقيدة بعد أن سيطروا على امارات الهوسا (3) .

وكان الماهر مختار لا زال يحكم في عاصمة برنو ، فقام الشيخ الكانمي بطرده وطرد الفلاته وأجبرهم على العودة الى امارات الهوسا وترك برنو ، وبعدها عادوا فهاجموها مرة أخرى فقاتلهم وأجبرهم على العودة ، ورغم انهم استولوا على جزء من البلاد الا أنهم لم يستطيعــوا أن يهزمــوا برنو نهائيـــا (4) ولذلك

---

(1) محمد بلو : انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، مرجع سابق ص ١٠١ .

(2) Barth,H.: Op. Cit. P. 599.

(3) عبد الرحمن زكي : جمهورية نيجيريا الجديدة ، مجلة المجلة ، عدد ٤٧ ص ٢٥ .

(4) Bovill,E.W.: The golden Trade of Moovs. P. 227

استطاعت برنو أن تنجح في وقف زحف الفلاته بدلا من أن تنهار ، أو تخضع لهم وترتبط بأمبراطوريتهم كما حدث لأقاليم الهوسا وغيرها من البلاد التي خضعت لهم وكما كان يتصور الفلاته بعد أن دخلوا العاصمة بأنهم سيطروا على برنو ، وذلك لأن شعب الكانمبو رفض أن يحكمه الفلاته أو أن يصبح أحدهم بابا على برنو بعد أن أعاد الكانمي الأسرة المالكة على عرش برنو (١) ، وبعد ذلك كان برنو قد دخلت مرحلة جديدة من القوة والنهوض بفضل الجيش القوي بقيادة محمد الكانمي (٢) .

وكان للخطوات التي اتخذها سلطان برنو والكانمي وأمراء الهوسا ضد الفلاته من الخوف التي ساعدت على طرد الفلاته وإنقاذ البلاد منهم ، رغم أنهم استمروا في القيام بالسلب والنهب وقطع الطرق (٣) .

وكان للعرب فضل عظيم في مساعدة الكانمي في طرد الفلاته ، إذ أن عرب الشوا قدموا مساعدات عظيمة للكانمي ، مما كان له أكبر الأثر في الانتصار على الفلاته .

وصار الكانمي الحاكم الفعلي للبلاد ولكنه أبقى السلطان احمد على كرسي العرش ليحكم البلاد (٤) وتوفى السلطان احمد بن علي ودفن في العاصمة برني عام ١٨١٠ وآلت الأمور إلى ابنه السلطان دوناما .

---

(١) Crowder,M.: The story of Nigeria. P.P. 88 - 89

(٢) Hodghin,T.: OP. Cit. P. 43.

(٣) Bovill,E.W.: Carvans of the old shara. P. 227.

(٤) Triningham.J.: The inflivence of islam open Africa (P.) 20

(((الفصل الثاني)))

نظام الحكم

أ- النظام السياسي في برنو

لقد مر النظام السياسي في برنو بعدة مراحل حتى استقر في صورته النهائية اذ كان نظام الحكم قبل أن تستتب الأمور في البلاد في مرحلة بدائية فالشعب يعيش على فطرته قبل أن يعتنق الاسلام ولم يكن الحكام قد اتخذوا العقيدة الاسلامية كدينا لهم . فان الشعب كان يقدس الملك ويعبده من دون الله ، وقبل ظهور الحكم الملكي فان الحكم كان بيد زعيم القبيلة البدوية ، ثم تطور حتى صار الملك يسمى به سلطان يأخذ بنظام الحكم القائم على الملكية الاقطاعية وإن كان هذا النظام قد شابه بعض الفوضى في بداية الأمر ، ولم يستقر ويكتمل في صورته النهائية الا في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، وظل مستمرا في برنو حتى منتصف القرن التاسع عشر ، وكان السلطان يقوم بادارة شئون السلطنة وينظم أمورها (1) ذلك لأن السلطان كون حوله قاعدة ثابتة وقوية من شعب الكانمو ، وأخيرا شعب الكانوري في برنو ، والذين استقروا في هذه الأرض الواسعة ، وأنشأوا المدن وكونوا قوة واحدة ، (2)

---

(1) Lebeuf, A .: Les population du Tchad. P. 41.

(2) Trim ingham, J.S.: A History of islam in west Africa. E.P.
P.P. 124 - 125.

وأنه أصبحت ذات حضارة ونظم سياسية . وكان السلاطين من بين هؤلاء القوم الذين عنصروا الحكم . (١)

وكان السلطان على رأس الجهاز السياسي في البلاد . وكان يلقب بالماي Mai وظل هذا اللقب مستعملا في برنو حتى أواسط القرن التاسع عشر . وانتهى بانتهاء حكم الأسرة السيفية والسلطان يتمتع بالحكم المطلق في البلاد فهو يجمع بين يديه السلطتين الروحية باعتباره أمير المؤمنين والسلطة الزمنية باعتباره الحاكم الأوحد في البلاد . وهو يدير ويصرف أمورها كيفما يشاء (٢).

وصل النظام السياسي في برنو إلى درجة من التقدم . لدرجة أنه أثار دهشة الرحالة الذين زاروا برنو . وتعجبوا من وصول هذا المستوى السياسي في إحدى بلاد القارة الإفريقية .

إذ لم يتصوروا أن يوجد هذا النظام الدقيق من توزيع السلطات والاختصاصات وكان هذا النظام أرقى بكثير مما في بلاد السودان الأخرى . بل إنه يشبه من عدة وجوه النظام السياسي الذي كان سائدا في الدول الأوربية في العصور الوسطى . (٣)

---

(١) Trimingham, J.S.: OP. Cit. P. 125.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية . مادة برنو ـ ٥٨٩ .

(٣) Denham and clapperton,: Travels in Northerne and central Africa P. 325.

كان السلطان رأس الدولة ، الا أنه كان يوزع بعض الاختصاصات والمسئوليه في ادارة أمور الدولة بين أتباعه ومعاونيه (١) وكان البلاط الملكي يحفل بعدد كبير من الموظفين والضباط ورجال الادارة والذين كانوا يحملون ألقاباً خاصة في القيام بهذه الأعمال في ادارة شئون القصر [illegible] كانوا يتحسرون الدقة والكفاءة والمسئولية التامة في هذه الأعمال . (٢)

وكان السلطان ينتخب من بين أعضاء الأسرة السيفية الحاكمة للبلاد ، وكان الأخ يشجع أحياناً في تولي مسئولية السلطة في البلاد ويمنع أبناء السلطان من تولي عرش السلطنة (٣) وان الحكم لم يكن ينتقل من الأب الى ابنه الا في حالات قليلة ولديه القوة في منع أحد الأعضاء الأسرة من اغتصاب العرش منه (٤) ولكن الحكم تغير في برنو من فرع الى فرع آخر في الأسرة السيفية ذلك أن السلطان علي غازي استطاع أن ينقل السلطة من فرع داود الذي طرده البلالة من كانم الى فرع ادريس الذي هو جده (٥) .

وكان يتم اختيار السلطان الذي يتولى الحكم في البلاد من بين أبناء السلطان السابق دون النظر الى الأقدمية الولادية بالنسبة للأعمر .. وكانت الأسرة الحاكمة يحكمها مجلس يتم تعيينه يجتمع

---

(١) Crwder, M.: The story of Nigeria. P. 34.

(٢) Lebeuf, A.: Les populations du chad. P. 42.

Denham and Clapperton: Travels in Northern and central Africa. P. 325.

(٤) الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط ١٢٠

(٥) Palmer, R.: The Bornu Sahara and Sudan P. 227.

اختيار ثلاثة أشخاص ، ويتم اختيار السلطان من بين هؤلاء الثلاثة ثم بعد ذلك يعلن اختياره رسميا سلطانا للبلاد عن طريق هذا الوزير(1) وجرت العادة عند اختيار السلطان فانه يرفع على ما يشبه النصب العالية وذلك اعلانا باختياره سلطانا على البلاد وأميرا للمؤمنين ، وتلك العادة كانت موجودة عند الشعوب المجاورة لبرنو(2)

وأن هذا النظام السياسي في حكم البلاد كان نظام استبدادي والسلطان يجمع في يده كل السلطات شأنه شأن نظم الحكم القائمة في الامبراطوريات والممالك التي ظهرت في السودان الأوسط والغربي ، سواء في عهدها الوثني أم في عهدها الاسلامي(3) .

وكان السلطان وأسرته يعيشون ارستقراطية عادها البذخ والأبهة في كل العصور والفترات التي مرت بحياة السلاطين من الأسرة السيفية ، فالرحالة ليو الأفريقي (الحسن الوزان) ، الذي زار برنو في عهد السلطان علي غاجي يصف مدى الأبهة والعظمة التي عاش فيها ذلك السلطان(4) . يقول (أن السلطان لديه ثروة عظيمة من الذهب وحتى أطباق الأكل من الذهب والأدوات التي يستخدمها في الأكل والشرب والأواني وأدوات المائدة وسلاسل كلابه كل هذه مصنوعة من الذهب الخالص.

---

(1) Barth, H.: OP. Cit., P. 27

(2) Lebeuf, A.: OP. Cit., P. 424

(3) ابراهيم طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية . ص 72

(4) ابراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو . ص 82

وأنـه لا يدفع ديته للتجار من العبيد الا بالذهب.(1)

ويحدثنا القلقشندى عن ملكهم فيقول (ان ملكهم على حقارة سلطانه، وسوء بلاده مكانه في غاية لا تدرك من الكبرياء، ويعصب برأسه عنان السماء مع ضعف أجناده، وقلة متحصل بلاده، لا يراه أحد الا في يوم العيدين بكرة وعند العصر أما في سائر السنة فلا يكلمه أحد، ولو كان أميرا الا من وراء حجاب.(2))

وابن بطوطة يتحدث عن سلطان البرنو فيقول (ان لهم ملك اسمه ادريس وهو لا يظهر للناس ولا يكلمهم الا في المناسبات ولا يكون ذلك الا من وراء حجاب.(3)) وعند ظهور الملك كان الطبول الملكية تدق ويهللون بمجيئها ويعلن الفارسون أن القمر الجديد قد ظهر وارتفع وأن ملكنا الذي ارتفع الى السماء قد ظهر وعاد(4).

ورغم كل هذه المظاهر والاحتفالات بالسلطان كان الحكم في البلاد كان يطبق الشريعة الاسلامية في كل أمور الحياة.(5)

ولم يكن السلطان في كل أدوار تاريخ برنو يحكم بمفرده، وانما كانت الأمور تتغير بتغير الحياة السياسية اذ نجد السلطان على غاجي الذي حكم ثلاثة وثلاثين عاماً (١٤٧٢ ـ ١٥٠٤م) ترك ادارة شئون البلاد ويصرف

---

(1) Leo Africanus A history and Discription of Africa. vol. 3. P. 831.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الانشا جـ٥ ص ٢٨٠.

(٣) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص ١٩٨

(٤) Meek, C.K. : Tribal studies in Northern Nigeria vol. 1, P. 494.

(٥) نعيم قداح : افريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص

أمورها في بداية توليه حكم البلاد لزمره من الأفاضل أهل مجلسه ووزرائه واستمرت البلاد تحت حكم هؤلاء الأعوان لذلك، طويلة وذلك لانشغاله بقتال الجيش، غير أنه اتخذ خطوة ايجابية فيما بعد، تدل على مدى احساسه بحمل المسئولية كاملة وأنه لابد من تصريف أمور البلاد بالحزم والقوة، تخلى عن نفوذ أولئك الوزراء داخل المجلس وأشرف بنفسه على ادارة البلاد وصرف شئون الدولة وقام بتقسيم جذري في الدولة واستطاع بهذه السياسة أن يكسب ود الشعب وعطف وصداقة الدول المجاورة. (1)

(((مساعدي السلطان)))

كان يعاون السلطان في تصريف أمور البلاد مجلس يطلق عليه (اسم ...) ويعرف أعضاؤه باسم كوكنادو (2) ويمثل هذا المجلس النظام الارستقراطي في برنو ويضم هذا المجلس ولى العهد المنتظر (ييما) وأعضاء السلطان أخوته وأقاربه ورؤساء القبائل والأشراف وقواد الجيش.

وكان هذا المجلس في أحيان كثيرة يطلق يده حسب التصرف في ادارة شئون البلاد.

وللسلطان حاشية كبيرة في خدمته وأعضاء عديدون وهؤلاء الأعضاء كانوا في أوقات كثيرة يديرون شئون الامبراطورية لحساب السلطان

---

(1) ابراهيم صالح بن يونس، نفس المرجع، ص ٨٠.

(2) Ahmed ibn Fartua Mai Idris of Bornu, P. 51.

ادريس الوما ترك ادارة السلطنة لبعض أعيانه من وزرائه ومستشاريه الذين يتكون منهم مجلس شورى السلطان . وقام هؤلاء من جانبهم بكل الواجبات . وأسدوا النصح للسلطان . ولم يخونوا الأمانة التي حملها لهم بل تفانوا في خدمة البلاد (١) .

ويذكر بارث أن مجلس السلطان يتكون من اثنى عشر شخصا وقد أطلق على هؤلاء الأعلام أو طبقة القوم يتكون منهم القيادة السياسية للامبراطورية وأطلق عليهم أيضا الأعلام الكبار أو أرباب الدولة أو الأمراء (٢)

وهؤلاء الاثنى عشر الذين تطلق عليهم الألقاب هم كيغاما Kagghamma وهو القائد العسكري للبلاد ويطلق عليه في تركيا كبير العسكر وتحت امرته قوات كبيرة ولهم نفوذ واسع في البلاد ويتمتع بمنصب ممتاز لأنه هو الذي يقوم بقيادة القوات العسكرية للبلاد في حالة الهجوم عليها من الأعداء . أو القيام بغزو احدى البلاد المجاورة .

ويأتي بعده في المرتبة ويشاركه نفس النفوذ في المجلس وفي البلاد (أيضا) Yerima وهو حاكم اقليم يسمى (٣) Yeri وهو الاقليم الشمالي

---

(١) ابراهيم صالح بن يونس : نفس المرجع ص ٨٩

(٢) Barth,H.: OP. Cit. P. 591.

(٣) يقع هذا الاقليم بين أحد البلاد المركزية يعني باقليم مونيو Muniyo وأطلق عليه الاقليم الشمالي .

من الامبراطورية ويختار حاكم هذا الاقليم من بين افراد الاسرة الحاكمة ومن يتوافر فيهم الرأى السديد والحزم . اذ أن مهمته كانت مراقبة الاقاليم الشمالية ومنع غــارات سكان الصحراء وضبط أمور الاقاليم الادارية والحربية والتجارية ولا يستطيع القــادم الى برنو من الشمال أن يدخل هذا الاقليم دون استئذان من اليريما وذلك لكثرة هجوم الطوارق على الاجزاء الشمالية للبلاد (1).

والشخصية الثالثة فى مجلس شورى السلطان هو الجالادما Galadima وهو حاكم اقليم جالادى (2) وكان له نفوذ واسع ايضا فى المجلس ولدى السلطان اذ أن اقليمه كانت تمثل قوات برنو فى هجمات الغارات الهوسا وكانت قوات الاقليم الغربى تشكل خطا كبيرا فى قوات برنو .

والشخصية الرابعة فى المجلس هى غريما Chiroma وهو اللقب الخاص بالوريث الشرعى للسلطان (3) وغالبا ما يكون ابن السلطان أو أخوه وكانت ارائه . وآراؤه أحيانا كثيرة يأخذ بها فى المجلس نظرا لان رأيه كان يأتى بعد رأى السلطان

---

(1) Leboeuf, A.: OP. Cit. P. 41.

(2) وهى مقاطعة كبيرة من مقاطعات برنو وتقع الى الغرب من البلاد وهى تجاور مقاطعة انجورو Ngozu .

(3) Barth, H.: OP. Cit. P. 591.

من الزوال قاطبة .

ويشارك في المجلس أيضا حاكم العاصمة برني . وهذا الشخص له نفوذ في المجلس نظرا لأنه حاكم العاصمة والمسئول عن أمورها وكان طبعا لدى السلطان ويطلق عليه لقب فوجوما Fugama .

ويشارك في المجلس شخصية يطلق عليها " ياجيما " وقد ساعدت ظروف البلاد أن يصبح هو الرجل الأول في البلاد . إذ أصبحت له أهميته في أثناء الحروب الداخلية التي سادت البلاد قبل أن يتولى السلطان علي غاجي حكم البلاد . وأصبحت له النفوذ أحيانا في عزل السلاطين عن العرش . إلا أن بارث لم يستطع أن يحدد الإقليم الذي كان يحكمه ولا يوجد لدى أوربا طرين اسمه وهو إقليم ياجيمي الذي يخضع لبرنو في بعض الأوقات (1) .

وعادة يكون هذا الشخص مسئولا عن إدارة الشرطة أو الشئون الشخصية للسلطان ويأتي بعده الشخص السابع في مجلس الشورى ويطلق عليه مستليما و Sintelma وهذا اللقب له ارتباط بإقليم كانم (2) وربما أطلق على من كان يتولى إدارة إقليم كانم بعد ضمه لبرنو . وظل هذا اللقب

---

(1) Barth,H.: OP. Cit. P. 591.

(2) Barth,H.: Ibid. P. 591.

دائما في برنو لكن بمرور الزمن فقدت أهميته .

ويأتي بعده في الترتيب في المجلس الكاسلما Kasalma وهو حاكم الاقليم الشرقي للبلاد وهو الجزء الذي كان يجاور الكانم وكانت عليه مسئوليات كبيرة اذ أنه كان أول من يتلقى ضربات البلالة في الهجوم على برنو ومن هنا فله حيثيته و أحسن تحصين ووضعت تحت قيادته قوات عسكرية كبيرة (١)

ويليه يأتي الكاجيستيما Kaghistemma وهو حاكم أحد الاقاليم الجنوبية لبرنو ثم الايرجواما Alainoma وهو حاكم أحد الشمالية وكذلك اقليم صغير ثم المستريما mesterema وهو الشخصية الحادية عشر في المجلس وكان المسئول عن شئون الحريم في القصر السلطاني (٢) .

والشخص الثاني عشر في المجلس وهو الشخص الاخير هو يراما Yirama وليس له أدنى صلة بحاكم الاقليم الشمالي من البلاد بل أنه كان يخضع للشخص المسئول عن شئون حريم القصر السلطاني ولكن برز دوره في عهد السلطان ادريس الوما .

ومن خلال أعضاء المجلس ومن بعض الشخصيات التي أثرت في تاريخ برنو الكانمية ، فالقائد العسكري للبلاد أصبح له دور هام في ادارة البلاد ، اذ نجد

---

(١) Lebuef,A.: OP. Cit. P. 40.

(٢) Lebuef,A.: Ibid. P. 41.

الغالجاما ، محمد بن داغو في عهد السلطان برني بن ادريس (١٤٠٠ ـ ١٤٣٢ م) يدخل في صراع طويل مع السلطان وادى هذا الصراع الى سوء حالة الشعب في برنو .

واستطاع الغالجاما ، نكالي بن ابراهيم ـ في عهد السلطان عثمان بن داود (١٤٣٢م) ومساعدة ديريما قاشي ، أن يرغما السلطان عثمان وأجباره على التخلي عن العرش والفرار الى اقليم الهوسا وكذلك فان الغالجاما عبدالله ديجاليما Dighalima عزل السلطان عبدالله بن عمر (١٤٣٥ ـ ١٤٤٥ م) ووضع بدلا منه على عرش برنو السلطان ابراهيم بن عثمان[1] .

وهذه التنظيمات التي كانت قائمة في برنو ، ربما أخذت عن نظم الحكم السائدة في سنغاي وامبراطورية الروم[2] وكان هذا المجلس يمثل قوة حقيقية في ادارة شئون البلاد ولم يكن السلطان الا منفذا لاوامر المجلس في أحيانا اخرى كان هذا المجلس يشرف على تنفيذ اوامر السلطان . ذلك أن معظم اعضاؤه كانوا من الاسرة المالكة ويعملون في المجلس مدى الحياة . ولكن لما اتسعت الامبراطورية وزحفت مصادرة ثروتها ، أشتد التنافس بين هؤلاء وتحول الى معارك حامية فاضطروا الى القتال من أجل المحافظة على حقوقهم

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 587.

(٢) Barth,H.: Ibid. P. 588.

بالرغم من أن تلك الحقوق كانت ممنوحة من السلطان (1) ، على أن شخصية السلطان هي التي كانت تحدد للمجلس الذي يحاوره مدى قوة نفوذه أو ضعفها ، فأن كثيرا من السلاطين كان مضطرا أن يحكم وفقا لنصيحة أو مشورة المجلس ، الذي كان لبعض أفراده تأثير قوي على الجيش (2) .

في أوقات الشدة أو تعرض البلاد لخطر ، أو حالة الطوارئ فان المجلس كان يعقد صباح كل يوم في القصر السلطاني وعلى كل أعضاء الآتي ذكرهم الحضور في الصباح الى القصر وكانت الاوامر أن يترك كل واحد منهم دوابه وأسلحته أمام باب القصر ، وإذا دقت الطبول وصدحت الموسيقى فذلك اشارة الى أن السلطان في طريقه الى دخول قاعة الاجتماعات بصحبة بعض أبنائه وأخوته وحرسه الخاص الذي يتكون من أربعين فارسا يكون منهم عشرون على يمين السلطان وعشرون على يساره (3) .

ويدخل السلطان القاعة ويأخذ مكانه في الجلوس على العرش ، ويتجمع أعضاء المجلس ليأخذوا أماكنهم في الجلوس حسب النظام المتفق عليه في الجلوس حول كرسي العرش ، فيجلس على الجانب الايمن للعرش أبناء السلطان وأخوته وعلى الجانب الايسر يجلس طبقات الكوكنادا (4) .

---

(١) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، ص ٦٤ .

(٢) Oliver,R.: The dawn of African history,P. 65.

(٣) Barth,H.: OP. Cit. P. 591.

(٤) Hodgkin,: The Nigerian Perspectives. P.P. 290 - 291.

« دور المرأة في حكـــم البــلاد »

كان للمرأة دور هام وبارز في الحياة السياسية في برنو وفي ادارة شئـــون البلاد ، بالاضافة الى أنه كان لها امتيازات كثيرة ، فالماجيرا Magira ، كان لها نفوذ عظيم في القصر السلطاني على توجيه امور البلاد ولها حقوق عديدة ، ~~كان لها حق~~ كان لها حق اقالة العمال في مختلف الاقاليم وكانت تتدخل كما لها أيضــا تتدخل في التنظـــيم الداخلي للدولــــة .

فالماجيرا عائشـة كيلي أمة السلطان عبدالله دالا تولت العرش وحكمت البلاد لسبع سنوات (١٥٦٣ - ١٥٧٠ م[١]) وقد أمت الناس بالصلاة في مسجـــد القصر السلطاني ولا سيما صلاة الجمعة وشاورت رجال البلاط وخرجت للحرب فــي خلال فترة حكمها وقادت جيوش البلاد وتبعتها الرجال[٢] وهذه الفترة التي سبقت حكم السلطان ادريس ابنها حيث كان يقيم السلطان ادريس في بلاد البلالا لـدى جده السلطان عمر سلطان البلالا . وقد تولت رعاية ابنها ادريس حتى بلغ وكانت حريصة على تربيتــــه تربية دينية سليمة . بعيدة عن الملوثات . وبنت له قصــرا

---

(١) Urvoy,Y.: Histore d' empire du Bornu., P. 75.

(٢) Palmer,R.: Sudanese memoires,P. 42.

ومجـــدا بعيدا عن العاصمة ومفاسدها وأنها مارست نفوذها القوى خـــلال فترة حكم البلاد وأنها كانت مصدر السلطة فى البلاد بيد من حديد وحتى التى هيأت الامور فى البلاد لكى يتولى ابنها السلطان ادريس وحوفى مركـــز نى (١) .

وكانت الماجرا عائشة كيلى (؟) قاتلة لبرت بالحكمة وقنه ورد ابنها عثمان ذلك وهى التى أمرت بارسال بعثة هامة وسفارة الى طرابلس (٢) .

وأنها اتجهت الى توسيـــع التجارة مع البلدان الخارجيـــة ومن ذلـــك يتبين كيف استطاعت المرأة فى برنو أن تسيطر على حكم البلاد طوال السبـــع سنوات التى قضتها فى الحكـــم (٣) .

وليست هذه هى الشخصية النسائية الوحيدة التى ظهرت فى تاريـــخ برنو ، بل أن تاريخ برنو قد سجل لعدد من الملكات الوالدات اللاتـــى لعبن دورا هاما فى تاريخ برنو ومنهن الملكة فاطمة والدة السلطان بيرى ، فانها لما سمعت أن سارقا قتل جزاء سرقته فلم يسعها الا أن تحمل ابنها السلطان المسؤلية كاملة ومخاطبة قائلة أما قال الله تعالى فى كتابه العزيز السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما " وحاسبته حسابا عسيرا على قتله السارق وعلى جهلـــه

Palmer,R.: The Bornu sahara and sudan, P. 232. (١)

Barth,H. OP. Cit. P. 593. (٢)

(٣) الفاطر بسيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ، ص ٤٢ .

بحكم القرآن الكريم والشريعة الاسلامية وسجادته سنة كاملة ، وكان اذا اراد أن يأتي الى مجلس الامراء فانه يجلس داخل القفص وهو أشبه بالقفص الحديدي وصار بعد ذلك جلوس السلطان داخل القفص عادة اتبعها من بعده السلاطين (١) .

كذلك كان الزوجة الاولى للسلطان كانت تلعب دورا هاما في شـــئون البلاد لا يقل اهمية عن دور الملكة الام . وكانت الزوجة الاولى للسلطان تحمل لقب جومســو Gumsu (٢) .

ودورها لا يقل في البلاط السلطاني . ولها نفوذ قوي حتى على السلطان نفسه وكانت أحيانا تتدخل في توجيه سياسة القصر والشئون الداخلية للبلاد . ويأتي بعدها في البلاط السلطاني من حيث الاهمية والنفوذ الماجيرام Magram وهي المسئولة عن الاشراف على طعام السلطان وتقديمه له . ويصل بها الامر في بعض فترات تاريخ برنو أنها كانت تمنع السلطان من ممارسة أي عمل لا ترغب فيه . وهي التي تتولى الاشراف على تربية ابناء السلطان . الذين تتولى العناية بهم والاشراف على تعليمهم لحسن رعاية ظل والدهم (٣) . وعندما يكبرون فانهم يرسلون الى اجزاء مختلفة من السلطنة ولا يسمح لهم بالبقاء في العاصمة الا في حالات الطوارئ وتعرض البلاد للخطر .

---

(١) علي ابوبكر : الثقافة العربية في نيجيريا ، ص ٧٩ .

(٢) Ahmed ibn Fartua: OP. Cit. P. 81.

(٣) Hogben, S.J.: The Muhammadan emirates of Nigeria. P. 39.

« التقسيم الاداري في برنو »

وصل النظام الاداري في برنو الى درجة عالية من الرقي اذا ما قورن بالانظمة الادارية المتبعة في بلاد السودان الاخرى . ذلك أن هذا النظام كان يقوم على أساس النظم المركزية . وأن كان في بعض الاحيان يقوم السلطان بمنح بعض الصلاحيات لاحد افراد الحاشية التي تلتف حوله اذا كان مأمون الجانب أو ثقة عنده . وأن كانت بعض المقاطعات تخضع لاسرة من الحكام ينتقل الحكم من وال الى اخر بالارث . وكان هؤلاء الحكام عندما يلمسون ضعفا من السلاطين في العاصمة المركزية فانهم ينفردون بحكم مقاطعتهم (1) .

وأن كان النشاط الاداري لبرنو ينصب على تحصيل الجزية . وكانت قوة الدولة العسكرية تنعكس على قوتها الادارية وقدرتها على تحصيل الجزية . فان ضعف الدولة قلل المحصل من الجزية . وهذا المجال الاداري الواسع لسلطنة برنو يتطلب من السلطان الاستبداد بالسلطة . والتحرك المستمر عبر البلاد والمقاطعات مصحوبة بجيش للقضاء على الفتن فاذا تراخى وقد ساءت الاحوال الادارية للاقاليم وأن كان التقسيم الاداري للبلاد يعهد في حكم الولايات التابعة ومناطق الاطراف الى فريق من النواب أو القواد . وقد يدفعهم الجهد في الطمع بالاستقلال

---

(1) نعيم قداح : نفس المرجع . ص ١٠٩ .

استقلال ولاياتهم عن الحكومة المركزية أو التمرد على السلطان .

وفي بعض الأحيان كان يولي أهل الأقاليم حكم أقاليمهم ليؤسسوا به وحدهم أسرا مستقلة عن الدولة الأم . وكان توسع برنو في ضم الأراضي المجاورة يعود عليها بالضرر إذ كلما اتسعت رقعتها كلما ظهرت في السر والعلن أسباب تعرضها للتفكك والانهيار (1) .

ويشكل يبدو أن برنو كانت دون سائر بلاد السودان من حيث المقدرة الفائقة في تنظيم شئونها الإدارية للأقاليم والسلطنة . ومع هذه الميزة ، مهارة ملحوظة في تدبير شئون البلاد الإدارية والتجارية ولعل كل هذه القدرات وضح أثرها في حياة برنو وحضارتها دون سائر امارات السودان الأوسط والغربي (2) .

بل أن النظام الإداري في البلاد لم يكن جامدا . بل أن برنو تطورت في نظمها الإدارية واستفادت من تجربتها السياسية واحتكاكها ببلاد شمال أفريقيا ومصر وسائر البلاد الإسلامية التي كانت ترتبط معها بروابط الود .

---

(1) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣٨ .

(2) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى . رسالة ماجستير ، آداب القاهرة ، ص ١٩٣ .

وأصدقائه وبذلك فانها استفادت من النظم التي لدى هذه الدول وساعد ذلك على وجود نظام ادارى متقدم (١) .

وكانت القيادة الادارية يقوم بها الاعيان الذين يخدمون السلطان وأنع بعضهم في الوظيفة العمال المتوطنين ادارة شئون البلاد . بعضهم من الاحرار والبعض الاخر من العبيد . وبعضهم لا يتقاضون مرتبا ولكنهم يمنحون ارضا . ويولون بعض الاقاليم ليجمعون فيها ما يستطيعون جمعه من مال وعليهم أن يقدموا للسلطان هدايا سنية (٢) .

والعمال الذين كانوا يتولون ادارة الاقاليم منهم الكنكه وهو البلاد . وهو حاكم مدينة . فترتو في الوقت نفسه . والكسلبه وهو والى اقليم " بو " والكه وهو من أكبر اصحاب الالتزام وفاطبه ادارة الاقاليم الشرقية وكان حكام الاقاليم يساعدهم جيش ويعطون حق هؤلاء الحكام ان يختاروا مختلف رؤساء القرى والقبائل

ولضمان استمرار التأييد الكامل للسلطنة كان من الضرورى خلف أمارات عسكرية ذات سلطان مطلق بربطها بمركز السلطنة اتصالات مستمرة وبذلك لها ضمان السيطرة على أطراف الامبراطورية . كما كان من الضرورى ضمان الولاء الكامل

---

(1) Lewis: Islam in tropical Africa P. 24.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : مادة تمبكتو . ص ٥٨٤ .

للسلطان خوفا من نزوة أى من هؤلاء الحكام الاقليميين فى الاستقلال بالاقليم عن السلطان مستقلا برايته لـــه (١) .

وكان الاسلام سببا فى التقدم الادارى فى البلاد اذ بانتشار الاسلام تمت المدارس الاسلامية والمعاهد العلمية . وظهرت طبقة متعلمة هى طبقة العلماء الذين استطاعوا تنظيم السلطنة على اكمل وجه واستطاعت هذه الطائفة المتعلمة ان تنشر الامن والنظام فى أدارات السلطنة المختلفة .

على أن التقسيم الادارى للبلاد لم يكن ثابتا اذ جاءت أحوال كانت تستدعى أن يحدث تغيير فى هذا التقسيم ذلك أن الحدود لم تكن ثابتة لان السلاطين كانوا يبسطون نفوذهم على بعض القرى والقبائل ومن الطبيعى فان الموقف السياسى يفرض ضم هذه الاجزاء للدولة . وربما كانت هذه المناطق لا تخضع للادارة المباشرة . الا أن السلاطين ابقوا على رؤسائها وجعلوهم مسئولين امامهم (٢) .

ومهما يكن من نجاح النظام فى برنو . الا أنه من الصعب القول كيف كانت تدار دولة برنو . لانه لم نعرف الكثير عن نظامها الادارية لانه لم توضع بين ايدينا الوثائق التى تبين النظام والتقسيم الادارى للبلاد التى كانت تسير عليه . الا أنه يمكن القول أن البلاد كانت مقسمة أربعة أقسام وهى الاقليم الجنوبى

---

(١) Trimingham, J.S.: The history of islam in west Africa P. 124.

(٢) Trimingham, J.S: Ibid. P. 125.

وهي الإقليم الغربي

ويطلق عليه أســـم فتري Fate ويحكمه حاكم يلقب " جلادمــا " أي حاكم الاقليم الغربي وأسمه اتخذ من الاسم المحلي جلاده ، أو رئيس البوليس فـــــي مصر (١) .

وظهرت من كتابات الرحالة الذين زاروا برنو ، في منتصف القــرن التاسع عشر أن البلاد تعاني من ضعف قوتها الدفاعية وأنها لا تملك القوة العسكريـــة الكافية للدفاع عن البلاد ، وأن الرجل في البلاد الذي يملك القوة العسكريـــة ويضعها تحت امرته هو حاكم المقاطعات الغربية وأنه لا ن يشبه في كثير مـــن الامور بالسلطا ن وله وضع متميز داخل مجلس الشورى دون سائر حكام الاقالـــيم الاخــــرى (٢) .

والاقليم الشرقي جاد ن أو جيدى gidin تحت حكم الحاكم الــــذى يلقب ماستريما mastrema وتعني هذه الكلمة حاكم الزنوة أو حاكم المدينة القديمة في شرق برنو .

والاقليم الشمالي " يرى " يطلق على حاكمه يريما ، وكانت هنا ك القـــــاب باللغة الكانورية تعنيه عن منصب حاكم الشمال ، نظرا لانه كان يقوم بمجهـــود عظيم واقع في صد غارات الطوارق والاقليم الجنوبي " اتيم " ويطلق على حاكمـــــه " كاجاما " واتيم تعني الاقليم الجنوبية ، وهذا الاسم لان دائما يشارا عليـه في لغة البيدا والكانوري (٣) .

---

(١) Palmer,H.: The Bornu Shara and sudan. P. 199.

(٢) Vischer,H.: Across the sahara from tropoli to Bornu. P. 225

(٣) Palmer,H.: The Bornu shara and sudan P.P. 199- 192

وكل المناصب الادارية العليا كانت توزع بين حكام من العائلة المالكة الذين كانوا يعتمدون عليها لولائهم — وكانت برنو كاحدى امبراطوريات السودان الغربي والاوسط تشتمل على نوعين من الاقسام . فالعاصمة برني وان كان لها حاكم . الا انها كانت تحكم مباشرة من السلطان لانه كان يقيم بها حيث كل الادارات المركزية ثم الاقطاعيات الواسعة خارج نطاق العاصمة والتي تحكمها الرؤساء المحليين وكانت تدفع الجزية من الانتاج والعبيد .

الا أن بلاد الكانمي كانت تشتمل على مجموعات كثيرة من القبائل التي تحكم من طريق شيخ القبيلة وقد بقى بعض الحكام والرؤساء حكاما لمقاطعاتهم وأحيانا . كانت تضم اليهم اجزاء من الاراضي الجديدة المستولى عليها .

وكان هؤلاء الرؤساء المحليين . يحضرون الى البلاط بناء على اوامر السلطان والديوان والتي تحت رئاستها ما يسمى بالالفا Alifa (1).

وحكام الاقاليم الاربعة العظام يرأسون كل المقاطعات والمدن والقرى كل في حدوده وانه من النادر أن يكون احد هؤلاء الحكام الاربعة العظام من غير ابناء الاسرة المالكة في سلطنة برنو (2) والذين كانوا يدفعون مع موارد اقاليمهم كل عام للسلطان (3) .

---

(1) Trimingham, J.S: A history of islam in west Africa P. 211.
(2) Crowder, M.: The story of Nigeria. P. 35.
(3) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ص ٣٨٥ .

وكان للعرب مشيخات يحكمونها في برنو ، أو ما يعرف باسم الحكومات المحلية وكانت تخضع هذه الحكومات المحلية للعاصمة ، فلقد كان لكل قبيلة شيخ يحكمها ويدبر شئونها ويكون حكم الشيخ مقصورا على قبيلته هذه ، الا أنه يمكن أن تضم المشيخة القبيلة التي يرأسها وحلفاؤها من جميع القبائل ، ويعتبر شيخ القبيلة مسئول عن كل شيء يتعلق بقبيلته ، فلا يستطيع أي شيخ أن يتدخل في أمر قبيلة ليست لها ، وكان الشيخ مسئولا عن حل الخلافات القبلية بأسلوبه الخاص ، كما أنه مسئول عن جمع الخراج والضرائب ، وما من قبيلة الا وتدفع خراجها وضرائبها لشيخها ثم أن هذا الشيخ مع وزرائه ومستشاريه يأخذون من ذلك المال ما يحتاجون أو حقهم ويبعثون بالباقي الى سلطان برنو ، الذي تدين له البلاد بأسرها بالسمع والطاعة (1) .

الا أن سلطان برنو كانت تتسامح مع العرب وخاصة عرب الشوا نظرا للدور الذي لعبوه في مساعدة دولة برنو في حروبها وفي الانتصار على أعدائها وخاصة البلالة والفلاتة والجوكون ، والبرابرة في مشيخة وحكومة شيخ العرب ، تختلف من مشيخة أو حكومة أخرى لقد كان من بينهم أصحاب الشورى ولا سيما شيخ العرب

---

(1) ابراهيم صالح بن يونس : نفس المرجع - ص ٢٦٩ .

فى أمر من الامور دون اشارة تصدر اليه من هيئة رجال مجلسه وهؤلاء الرجـــال يتمتعون بسلطات كبيرة داخل المناطق التى يحوى اليها نفوذ شيخ العرب [1] .

وعندما بلغت برنو درجة من الضعف والانهيار قام رؤساء باستقلاء حاكـــم الاقليم النوبى خلفوا فى العاصمة يحصلون على الضرائب ، وترك الضباط الذين كانـوا معينين لحماية الحدود عليهم وتفرغوا لحماية البلاد من اللصـــوص [2] .

أيضا فان العلاقات بين الحكومة المركزية فى العاصمة وحكام الاقاليم لم تكـــن دائما على خير وفاق اذ نجد أن حكام الاقاليم كانوا احيانا يدخلون فى صراع ونـــزاع طويل مع السلطان من اجل دفع الضرائب والهدايا والامدادات التى كان يجـــب على كل حاكم اقليم أن يقدمها للسلطان فى حالة الحـــرب [3] .

وكانت أسوأ فترة فى العلاقات بين السلاطين وحكام الاقاليم ذلك الذى حدث فى عهد السلطان ابراهيم الذى ولى امور البلاد فى آخر عهد الاسرة السيفيـــة ، فقد كانت العلاقة بين حكام الاقاليم والحكومة المركزية تكاد تكون مقطوعة نهائيا ، ذلـك لانه كان على حكام الاقاليم المختلفة أن يدفعوا جزيـــة أو عبيدا للسلطان والذيـــن كانوا يحصلون عليهم من القبائل المجاورة .

---

(١) ابراهيم صالح بن يونس : نفس المرجع ، ص ٢٧٠ .

(٢) Trimingham, J.S: Op. Cit. P. 210.

(٣) عبد الرحمن زكى : افريقيه الاسلاميـــة ، ص ١٠٦ .

كذلك كان بعض الحكام كانوا شبه مستقلين عن الحكومه المركزيه مثل حكام "كوتوكو" وكوجـــون .

ولكن السلطان كان يقوم في بعض الاحيان بخلع الولاة في الاقاليم رغم أن الحكم كان فيها وراثيا في اسرة معينة ، ويعين حكاما جددا بدلا منهم ، اذا لمس منهــم علاقة يؤدى الى سوء الادارة بالاقليم أو رغبة في الاستقلال عن الحكومة المركزيـــة في بيرنى العاصمة ، اولا يسير وفق السياسة التي يرسمها السلطان .

ولم يكن لهؤلاء لفترة زمنيه يتركون بعدها الحكم ، وكان لكل مقاطعة جيشها الخاص وقوات الامن التي تخضع لحاكم الاقليم ، وكان يقودها بنفسه في حالة الحرب وأيضا عليـه أن يعد الحيوان والذخائر والاحمال التي تطلب منه في حالة كون الدولة في حالة حـــرب مع الاعداء ، وعلى حكام الاقاليم أن يلبوا مطالب السلطان في اعداد اقصى امكانياتهـم للحـــرب .

وكانت قوة السلطان تظهر في قدرته على تسيير الامور الاداريه والتنظيميـــة الهائله على أحسن وجه وعلى رضى الشعب وحكام الاقاليم عن حكمـه [1] .

---

(١) نعيم قداح . أفريقيـة الغربيـة في ظل الاسـلام . ص ١١١ .

النظـــام المالـــي

ليس هناك شك في أن سلطنة برنو كان لها نظام مالي منظم ، تقوم على أساسه ادارة شئون البلاد ، وأن هذا النظام المالي كان يسير وفق نظـــام دقيق بإشراف مباشر من السلطان على بيت المال وأحيانا يوكل أحد أبنائه أو اخوته للاشـــراف على موارد الدولة المالية وأيضا مما لا شك فيه أن هذا النظام كانـــت له سجلات خاصة ووثائق مدونة ، لكن تدهور الشيخ عمر ابن محمد الامين الكانمي وحرقه وثائق الاسرة السيفية حال دون معرفة النظام الذي كانت تسير عليـــه البـــلاد (١) .

وكانت الضرائب والجزية هي المصدران الاساسيان لموارد الدولة المالية والتي كان يقوم رؤساء القبائل والتي يفرضها على المراعي والمزارع والتي كـــان يدفع جزء منها الى مندوب السلطان وكانت هذه الضرائب تصل الى خزينة الدولة وكانت الاقاليم البعيدة الداخلة تحت سيطرة الدولة ملزمة بدفع جزية سنويـــة محددة تقدمها للحكومة المركزية مباشرة (٢) .

وكان لكل رئيـــس اقليم أو حاكم ولاية ، أو شيخ قبيلة أو رئيس قريـــة شخص ملك يتأمون جمع الضرائب من الاهالي ويساعدهم اعضاء يقومون بتوزيع الاراضـــي الصالحـــة للزراعة على الاهالي ويطلبها عليهم حتى يتم تحصيل الضرائب منهـــم .

---

(١) Barth, H., OP. Cit. Vol 3, P. 99.

(٢) Lebeuf, A., OP. Cit. P. 42.

وبجانب هذه الضرائب كانت توجد ضريبة الروك التي فرضتها الحكومة ، وكان

السلطة الروحية التي تعرضها وتقررها ويقوم شيخ الناحية كل عام بتقديم عشر

منتجاتهم الى الرؤساء الكنسية في مناطق الجنوب كان على كل فلاح أن يقدم

ما يوازي ٢ كيلو ذرة بيضاء على كل حقل مزروع وذلك لرئيس المقاطعة (١) ويقدم

مثل هذا أو ما يعادله لرئيس القرية ، ثم ضريبة خاصة تذهب الى سيد الاقليم

وبعض الضرائب الاخرى يدفعها الفلاح نظير الخدمات التي تقدم له مثل توزيع

الارض ، والاحتفالات الدينية التي تقام بمناسبة البذر والزراعة ونظير تسوية

الخلافات التي تنشب بين الزراع (٢) .

أما في بعض المناطق وعلى الاخص في الشمال حيث تقتضي الزراعة عمل شاق

من ناحية الاراضي ، فقد فرض ملاك الاراضي على السكان الذين يباشرون زراعة

حقولهم ضريبة ثابتة [illegible] تمثل نصف محصولاتهم ، وفي الجنوب حيث تتحسن

حالة الفيضان ، وتترك الارض [illegible] يقوم الملاك بتأجيرها ، وباسعار مرتفعة

وقد أدت هذه الضرائب والاتاوات الى ظهور استغلال الفلاح وسوء استعمال

السلطة ومحاولة الاستغلال من جانب الرؤساء وكان السلطان يحصل

على الزكاة كل عام على الحبوب والحيوانات ، وكان على كل مربي للماشية

أن يقدم ثور صغير يبلغ سنتين من العمر عن كل قطيع مكون من ثلاثين رأس (٣) .

---

(١) Lebeuf, A.: OP. Cit. P. 42.

(٢) Lebuef, : ibid. P.P. 42 - 43.

(٣) Lebuef, A.: OP. Cit. P. 43.

وكانت هناك ضرائب جمركية وضع لها نظام خاص ، وهذه الضرائب تؤخذ على القوافل التجارية وكانت تشكل مصدر ثروة للسلطان (١) .

وكان رئيس كل قرية أو اقليم يقوم بتحصيل الضرائب في الاسواق وذلك على البضائع التي تعرض للبيع وأيضا كان حكام الاقاليم التي تتبع الاقليم على الحدود يقومون بتحصيل الاتاوات عند مرور القوافل في الاقليم وأيضا وجدت هناك عقوبات وغرامات والاتاوات كان يفرضها السلطان في حالة نقض المعاهدات بين الاطراف المتعاقدة وكانت تعود هذه الاموال الى خزينة الدولة ، كما أن الدولة كانت تستغل مستودعات لخزن الضرائب العينية كالقماش والسيوف والسروج والحبوب والتوابل وغيرها من الاشياء التي ترد الى خزينة الدولة ، وأيضا حظائر ليسكن فيها العبيد الذين كانت تحصل عليهم الدولة عن طريق الجزية أو القهر والاستعمار (٢) .

والغزوات التي كان يقوم بها السلطان أو حكام الاقاليم على البلاد المجاورة تشكل مصدرا هاما للدولة ومجالا اقتصاديا مغذيا ذلك أن السلطان أو الامير أو الملك المغلوب كان يقدم كل ثروته لمصلحة الغالب ، وكان دخل برنو الرئيسي

---

(١) نعيم قداح : نفس المرجع ، ص ١٢٠ .

(٢) Ahmed Ibn Fartuas Op. Cit P. 24.

يحصله على ما يحصل عليه الملك من بيع الرقيق وكان يأتي الخيول من جهتي بلتو يغيرون في كل موسم جلاب بالاغارة على سكان الجنوب السود ، والرقيق الذى كان يتم مبادلته بالخيل التى تصل الى برنو من الشمال على يد التجار البربر (١).

وعندما تكون الدولة [قوية] فان مصدرها من الضرائب والجزية والزكاة يكون كبيرا أما في حالة ضعف الدولة فان هذه الموارد تقل .

وكانت صادرات البلاد تعتبر مصدرا للدخل القومي لبرنو على أنه كان هناك اختلاف بين الجزية والضرائب . فقد كانت الجزية [تجبى] على نطاق واسع ~~انها كانت تأتى~~ من حكام البلاد التى تخضع للسلطان . أما الضرائب فكانت تدفع الى رؤساء القرى ومنهم الى رؤساء الدولة الى حكام الاقاليم وأخيرا الى السلطان . وذلك بعد أن يأخذ كل من هؤلاء نصيبه من هذه الضرائب (٢) وكانت تجارة الرقيق من أهم موارد تمويل الحروب في عهد السلطان ادريس الوما بالاضافة الى أن السلطان ادريس فرض على القبائل التى ضمها الى الامبراطورية برنو . أن تدفع الى ممثل السلطان بعض مواردها الاقتصادية

---

(١) Oliver,R.: The dawn of African history, P. 64.

(٢) Trimingham,J.S.: OP. Cit. P. 125.

كل عام وكان هذا مصدر من مصادر ثروة السلطـــان والبلاد [١] .

وحاول السلطان ادريس الوما أن يضع نظاما لتحصيل الضرائب قائـــم على الشريعة الاسلاميـــة ومطالبها وفقا للمذهب المالكي السائـد فـــي البلاد وللنظم الاسلامية السائدة في البلاد الاسلامية الاخرى . وهي الزكـاة والخراج والجزية . وقد حل الخراج محل الضريبة التي كانت تجمع بواسطـــة رؤساء القرى والتي لم تكن محددة الكمية والمقدار وكانت الاقاليم التي تقـــع جنوب بحيرة تشاد تدفع الجزيـــة للسلطـــان [٢] وعلى كل حال كان اقتصاد تلك البلاد خلال العصــــر الوسطي قائمة على الاكتفاء الذاتي والاستهلاك سواء أكان زراعيا أو صناعيـــا بدائيا . فكانو هدفه الاستقرار والقبـــــائل فلم تكن هناك صناعات راقية متقدمـــة مثلما كانت توجد في مصر ودول الشمال الافريقي وكانت التجارة التي لعبت دورا هاما في المقايضة هي العمــــود الفقـري الاقتصادي للبلاد .

ولم يكن في البلاد نظام نقدي معين يتعامل به أفراد الشعب الا أننا نجد القلقشندي يذكر أن معاملة بلاد الكانم وهي الامبراطورية القديمـــة

Ahmed ibn Fartuas OP. Cit. P. 20. (١)

Trimingham,J.S.: OP. Cit. P. 211. (٢)

التي كانت تستعمل كانم - برنو - عبارة قطعة من النسيج أحد ونلدى طول كل ثوب عشرة اذرع أو أكثر وأنهم يتعاملون بالودع والخرز والنحاس المكسور والورق ، ولكنهما جميعا تيسير بسعر القماش (1) .

ويذكر ليون أنه توجد في برنو عملة نحاسية صغيرة لها قيمة نقدية صغيرة وهي التي يتعامل بها القوم ، ويستخدم الذهب أيضا في التعامل ولكن استخدامه ليس النقد أكثر من استخدامه في التبادل والمعاملة (2) وأن تجار الشمال الافريقي الذين كانوا يتاجرون مع برنو كانوا يرفضون أن يتقاضوا أي شيء نظير تجارتهم الا أن يأخذوا العبيد ، ذلك لان تجارة العبيد في برنو أصبحت هي العملة الأساسية في البلاد (3) .

ويمكن القول أن العملة المصرية والمغربية والتركية ، قد وصلت الى تلك الديار عن طريق التجار الذين كانوا يتاجرون معها وأيضا مع الحجاج الذين كانوا يمرون ببلاد مصر وشمال افريقيا في طريقهم الى الاراضي المقدسة في الحجاز ولكنها لم تكن عملة متداولة بين عامة الشعب ولكن ربما تكون استخدمت في شراء بعض الاشياء الثمينة لافراد الاسرة المالكة .

---

(1) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٨٠ .

(2) Lyon, G. Travels in northern Africa P. 130.

(3) Bevill, E.: The golden of Moors. P. 242.

ويذكر بارث أنه لا توجد عندهم عملة يقام بها البيع والشراء ولكن قد تكون هناك عملة قديمة وهي عبارة عن جنيه من النحاس ولكن الشخص نفسه قد شاهد بارث افراد الشعب يتعاملون فيما بينهم . وكان الثوب من القطن يستخدم كوسيلة لتحديد أثمان الاشياء الهامة والحقيرة والسوق لا يستطيع أحد أن يفكر فيه بالبيع والشراء . ولكن في شراء الاشياء الكبيرة فان هناك أنواعا كبيرة من الاثواب تستخدم لتقدير قيمتها وان كان لا يزال يجرى في التداول بين القوم الدولار النمساوي [1] .

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. vol .3. P. 55.

(د ـ النظــــام الحربـــــي)

كان الجيش أحد الدعائم الراسخة في مجتمع برنو ، وكان له دورا نشطا في الحياة العامة للبلاد ذلك لانه كان جيشا اقطاعيا ولم يكن جيشا ثابتا فـــــي كل العصور ، بل كان يتعرض للزيادة والنقص ، رغم أنه كان يأخذ الاهتمام الاول من السلاطين الاقوياء في برنو ، والذين كانوا يعملون على رفعة شأن أمبراطوريتهم كان السلطان علي غازي ، الذي وضع اللبنة الاولى لقوة السلطنة عمل كل مـــــا في وسعـــه لتقويـــة الجيش فتم بشراء الخيل من افريقيا الشماليه ، وذلك لكـــي يمضي في طريقه الى جهاد قبائل البولالا التي تسكن بلاد الكوار وكانم ولكي يوسع حدود بلاده ويستولي على المناطق التي تشكل خطرا على برنو .

وهذا الجيش القوي جعل برنو في عهد السلطان علي غازي ليست فـــــي وضع يؤهلها للدفاع عن النفس فحســـب ، وانما جعل برنو تلعب دورا يشبه الدور الذي تلعبه الامبراطوريات الكبيرة في شمال افريقيا وأوربا في قرونها الوسطى [1] .

ولقد تعرض هذا الجيش للاهمال في عهد السلاطين الضعفاء ، لكن جيش برنو في أحد فتراتها التاريخية كان مؤلفا من ٢٥ الف مقاتل من الرماة والفرســـان والمشاة وغيرهـــــم من المرتزقـــــة ، وكان الجيش يضم جيشا من الرقيـــــق

---

(١) ابراهيم صالح بن يونس : نفس المرجع ، ص ٨٠ ــ ٨٢ .

وعبيده وأولاده هم ملكا للسلطان . والسلطان هو القائد الأعلى العسكري للبلاد (1) وبالاضافة الى هؤلاء المرتزقه . كان الجيش يتكون من عناصر اساسية من قبيلة السلطان ومن القبائل التى تعمل فى خدمته . وكان لبرنو فرقا من الحرس تجوب الصحراء لتقر الامن وتحافظ على سلامة القوافل التجارية عبر الصحراء .

وكان الجيش موزعا الى فرق تقيم فى المقاطعات فكل حاكم فرقة من الجيش يقودها يحشد فى الحرب وتساعد على اقرار الامن فى اقليمه . وكان جيش برنو من القوة فى بعض الاحيان بحيث استطاع أن يصد هجمات الاعداء وأن يفرض طاعة السلطان على كثير من الانحاء .

وقد تطور الجيش فى برنو تطورا يتناسب مع اتساع السلطنة وتقدمها المطرد فى ميدان الحضارة وكان نظام الرتب العسكرية معروفا فى هذا الجيش اذ نجد انه كان يوجد لكل فرقة قائد ثم مجموعة قواد الجيش وهؤلاء كانوا ينتمون الى طبقات مختلفة وصل بعضهم الى مناصب عاليه بفضل شجاعتهم فى ميدان القتال (2) وكان هذا الجيش يضم فرقا من الفرسان يقاتلون فى الحروب بدروع حديديه ويركبون خيولا باهظة الثمن كان السلاطين يقومون بشرائها من الشمال الافريقي وكانت حياة الحصان فى ذلك الاقليم محفوفة بالمخاطر والمهالك بسبب عدم استعداد الخيل لاحتمال الحرارة الشديدة (3)

---

(1) نعيم قداح : نفس المرجع . ص ٨٦ .

(2) Barth, H.: Op. Cit. P. 595.

(3) Barth, H.: Op. Cit. vol. 5. P. 590.

على أن الدروع الحديدية لم تكن منتشرة كثيرا بين الجنود ، وكانت خاصة بالامراء والقواد وكان التجرد من الدروع وصمة عار في الحرب ، وكانت شدة الحر في هذا الاقليم سببا في عدم انتشار هذه الدروع (١) .

وهناك أسلحة من الحديد هي الرماح والتروس ، وهي من صنع محلي وكان الجنود يستخدمون أنواعا مصنوعة من الحديد الذي يوجد في جبال باندرا .

وكان للسلطان رجال موسيقى من أفراد أسرته مهمتهم النفخ في الأبواق التي طولها ١٠ أقدام وهي آلة خاصة بالبلاط الملكي ، وهم يحيطون بالسلطان في الحملات وفي ميدان القتال (٢) .

واستورد السلطان ادريس ألوما الأسلحة النارية كالبنادق والمدافع النارية بالذخائر الخاصة بها وكانت هذه الآلات الحديثة تأتي من مصر ومن شمال افريقيا بالإضافة الى أنه كان يوجد في جيشه عددا من الجنود والضباط الاتراك والطرابلسيين الذين استخدمهم كخبراء لتدريب بعض أفراد جيشه على استخدام الاسلحة النارية الحديثة (٣) .

وبالاضافة الى حملة الاسلحة النارية ، والفرسان ، كان الجيش يضم فرقا من المشاة ، والذين كانوا يمثلون قسما كبيرا من الجيش وهي تحمل

---

(١) نعيم قداح : نفس المرجع ، ص ١١٢ .

(٢) Denham and clopperton: OP. Cit. P. 324.

(٣) أنظر ص ٢٦ .

القسي . ومن العبيد كانت تجتمع في خدمة الجيش . وقد اشتهرت بشجاعة أفرادها وعددهم وهؤلاء هم الفدائيون وكتائب الاستطلاع وكان جيش برنو يعرف في بلاد السودان بالجيش الذي لا يقهر .

والسلطان يحاط بحرس يتكون من النبلاء من العائلة المالكة ولكل أمير من أمراء الأسرة حرس خاص به من الذين يختارهم . ولأفراد الحرس أغاني خاصة في مدح السلطان يرددونها . بالإضافة الى استعمال الآلات الموسيقية والطبول لإثارة حماس المحاربين من الجنود . وللفرقة الحربية أهمية خاصة عند السلطان (١) وقد روى بارث أن السلطان له حرس خاص مكون من أربعين خيالا يحيطون به ويكون منهم عشرون على يمينه وعشرون على يساره (٢) .

وفي فترات متأخرة من تاريخ امبراطورية برنو فان السلطان كان تحت امرته جيش يعد الآلاف من العبيد والآلاف من الفرسان المسلحين بالرماح وعدد من الرماة وحملة السهام الذين يحملون الدروع وعلى رؤوسهم خوذات حديدية ، كما تحمي خيولهم أغطية مبطنة سميكة .

ويعرف النبلاء الذين ينحدرون من العبيد باسم الكشلة . ويعرف رئيس الرماة باسم الكيكمة . وكل فرقة من مائة مقاتل من حملة الرماح رئيس يعرف بالقائد (٣) .

---

(١) نسيم نداح : نفس المرجع ، ص ١١٣ .

(٢) Barth,H.: OP. Cit. P. 592.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٥ .

وإلى جانب هذه الجنود النظامية ، كانت تقدمها قبائل القوى المهمة التي تقيم في برنو والذين كان يجب عليهم أن يقوموا بالخدمة العسكرية زمن الحرب .

وقد عقد السلطان ادريس الوما اتفاقية مع عبد الله للدفاع معه زمن الحرب في غرب البلاد ، وبعث بجيش يقوده ضباط من نفس العرب وذلك لحرب البلالة بقيادة زعيمهم عبد الجليل من الصحراء ، وبعد معارك عنيفة وكثيرة تم القضاء على عبد الجليل سلطان البلالة وكان الفضل في هذا الانتصار يرجع للعرب ، وبعد أن أعاد السلطان ادريس الوما ، محمد بن عبد الله سلطانا على كانم فإنه جعل السلطة بأيدي العرب ، دلالة على تقديره لجهدهم ، وقبل العرب بالحكم رغبة في تلك الحكومة نظير خدماتهم العسكرية للسلطان (١) .

وفي حالة الحرب فإن السلاطين كانوا يخصصون بعض العطايا له ويقدمونها للعرب ولم تكن للجنود النظامية رواتب ثابتة سنوية أو شهرية بل كانوا يمنحون أرضا يعيشون من غلتها ومن هنا كان برنو كانت تستطيع في أوقات الحرب أن تجهز جيشا يتراوح بين ١٥ ألف و ٣٠ ألف جندي مزودة من الفرسان والأسلحة النارية من الجيش التركي تجعله دائما متفوقا على

---

(١) ابراهيم صالح بن يونس : نفس المرجع ، ص٢٧٢ .

شعوب السودان والتي لا تضارع برنو في المجال العسكري [1] ومع امتلاك جيش برنو للاسلحة الحديثة فانهم كانوا قادرين على صنع البارود الجيد [2] .

وكان جيش برنو وفقا لما أشار به الرحالة الذين زاروا البلاد تحت قيادة كاجاما Kaigama أو جنرال أوسمو Ulgsomo وهذا الجيش هو السند الاساسي لقوة وعظمة السلطان ، اذ نجد أن قوة السلطان وعظمته واحترام الشعوب المجاورة له ولبلاده تتوقف على ما يملكه جيشه من قوة ، ذلك ان هذا الجيش كان يختلف عن بقية الجيوش السودانية ، لانه كان يمتاز بالقوة والنشاط والتسلح الجيد [3] .

على أنه مهما يكن من حالة الجيش في برنو ، فانه لم يكن أبدا في عزلة عن الاحداث التي تجري في العالم الاسلامي بل كان دائما جيشا مستعدا للجهاد في سبيل الاسلام وأنه مما يشرف هذا الجيش أنه قد عملت بعض وحداته مع جنود الولايات الاسلامية في اقليم الاندلس وأشتركت في محاربة الفرنجة في الصراع الدائر بين المسلمين والمسيحيين في تلك البلاد [4] .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٢٨٥ .

(٢) Lyon, G.: OP. Cit. P. 13.

(٣) Crawder, M.: The story of Nigeria P. 55.

(٤) الشاطر بصيلي : نفس المرجع ، ص ٤٢٣ .

بل أكثر من ذلك فان جيش برنو فى عهد السلطان ادريس الوما ، ذهب لمساعدة شعب سنغاى ويحميه من كارثة ضد الغزو المراكشى القادم من الشمال والذى استطاع أن يقهر سنغاى ويسيطر عليها فى عام ١٥٩١ م[١] .

وكان جيش برنو مضرب الشجاعة والفداء والاقدام لانه كان يضم بين صفوفه قبائل التبو والتيدا وكان هؤلاء القوم ذو بأس شديد فى القتال ، حتى انهم كانوا فى القرن السادس عشر يؤلفون نسبة كبيرة جدا من القوى العسكرية لسلطنة برنو من اسلحتهم التى كانوا يستخدمونها فى القتال ضد أعداء البلاد المكسين الراشقة[٢] .

بالاضافة الى جيش برنو كان يضم بين صفوفه خمسة الكواد المتازين والذين كان لهم صيت ذائع فى السودان الغربى[٣] .

وكان لاستخدام البنادق التى كانت مجهولة فى السودان الغربى ، أثر كبير فى هذه الفتوحات ، اذ نجد أن الخطة العسكرية لهذه القوات والتى استطاعت أن توسع حدود برنو فى عهد السلطان ادريس الوما هو الامتناع عن استخدام الاسلحة النارية فى أول المعركة مع العدو ، وكان القتال يتم بالسلاح التقليدى

---

(١) عبدالرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ، ص ٢٩ .

(٢) نفسه ، ص ٢

(٣) Gervis, P.: of emirs and pagans. P. 74.

المعروف فى ذلك الوقت ، حتى أنه إذا حمى وطيس المعركة صدرت الأوامر للجنود الحاملين للبنادق بإطلاق طلقة رجل واحد فلا يسع العدو إلا أن يولى دبره مذعورا مهرولا تاركا وراءه مئات القتلى والجرحى (1) .

إلا أن هذا الجيش القوى بلغ مرحلة من الضعف فى عهد السلطان على بن عمر (١٦٤٥ – ١٦٨٤ م) حتى طمع فى البلاد كل الأعداء المحيطين ببرنو فالطوارق قاموا بالهجوم من الشمال ، والجوكون من الجنوب ، وتقدمت قواتهما حتى حاصرا العاصمة برنى ، إلا أن الله كفى السلطان وشعبه شرهما إذ نجح السلطان فى الإيقاع بينهما وبذلك أنقذ بلاده منهما (2) .

وكان السلطان ادريس الوما أقوى السلاطين الذين حكموا برنو ذلك أن ، جيشه كان واسع الصيت فى بلاد السودان الأوسط والغربى لأنه استطاع أن يحقق انتصارات عظيمة على كل أعدائه وأن يقهر كل من حاول أن يتحدى قواته (3) ولم تكن هذه الانتصارات لتتم إلا بفضل الجهود العظيمة التى قام بها السلطان ادريس لتقوية هذا الجيش ، أما القيام السلطان ببناء سور كبير للعاصمة وجعل لهذا السور أربعة أبواب وضع على كل باب حارسا مزودا بالأسلحة الحديثة وقام

---

(١) على أبو مقر : نفس المرجع ، ص ٣٤

(٢) أنظر ، ص ٣٨ .

(٣) Murdock,G.: Africa, its people and their culture history P. 139.

بمثابة مخازن للجنود واستحكامات للجنود واسطبلات للخيل بالاضافة الى أن الجيش كان يملك معدات كثيرة بجانب المعدات العسكرية والتي كان يستخدمها في قطع الأشجار التي يختبئ فيها الوثنيون حتى لا يجدوا مكانا يختبئون فيه (١) .

وهو الجيش الذي وسع حدود برنو حتى وصلت الى فزان شمالا والى أداماوا جنوبا والى دارفور شرقا وأخضع بلادا وقبائل متعددة . وهو الجيش الذي وقف ضد مطامع سنغاي في مد نفوذها على امارات الهوسا . والذي قاتل حاكم كيبي بعد أن أعلن استقلاله عن سنغاي واستطاع أن يقلص نفوذه ويمنعه من التوسع شرقا (٢) .

وهو الجيش الذي أوقف زحف الفلاتة الجارف واستطاع أن يحرر بلاده من سيطرتهم وهو الجيش الذي كان يزحف الى الجنوب بين القبائل الوثنية عاملا على نشر الاسلام بين تلك القبائل .

كذلك كان هذا الجيش كان يملك أعدادا كبيرة من القوارب النهرية التي كان يستخدمها في نقل الجنود والعتاد والمؤن في حالة الحرب . وكانت هذه القوارب عاملا هاما في الحرب . فقد استخدمت في أعمال الحراسة ومراقبة القوافل التجارية التي تنتقل عبر بحيرة تشاد أو عبر الأنهار الداخلية واستخدمت في أعمال الأمن في جزر البحيرة وفض النزاع الذي كان ينشب بين سكان

---

(١) Ahmed ibn Fartua: OP. Cit. P.P. 15 - 16.

(٢) Barth,H.: OP. Cit. P. 595.

الجزر الصغيرة أو الذين يعيشون على شواطئ بحيرة تشاد .

وكان للسلطان ادريس الوما الفضل الاكبر في تطوير هذه القوارب ، اذ كان السكان قبل عهده يستخدمون قطعا من الخشب مجوفة أو غير مجوفة في عبور النهر[1] ولكن السلطان ادريس الوما ، لما اراد أن يعبر النهر الى الاعداء فان ذلك كان يستغرق منه يومين أو ثلاثة أيام وأن مثل هذا النوع من القوارب لا يصلح لكي يحمل معه أعدادا كبيرة من الجنود ومن هنا فقد أمر بصناعة قوارب كبيرة وذلك لكي يتم العبور في اسرع فترة ممكنة ولكي يتم شحن هذه القوارب بأعداد كبيرة من الجنود والمعدات اللازمة للقتال[2] .

والذي لا شك فيه أنه قام باستحضار أقوام من خارج برنو للقيام بصناعة هذه القوارب التي ربما شاهدها في مصر أو عبر بها البحر في طريقه لتأدية فريضة الحج .

وبهذه القوارب استطاع مهاجمة قوارب قبائل بودوما Buddúma سكان جزر البحيرة ، بل أنه أمر رجاله بإغراق قواربهم ومحو رؤيتها فضلا عن الطرق الكثيرة عليهم ومداومة الهجوم عليهم[3] .

---

(١) كان يطلق على هذه القوارب جاجارا Gagawa وذلك بلغة أهل برنو .

(٢) Ahmed ibn Fartua. OP. Cit. P. 33.

(٣) Barth,H.; OP. Cit. P. 596.

((النظام القضائي))

لم يكن القضاء في برنو منفصلا عن أحكام الدين الاسلامي بل أن تطبيق أحكام القضاء كان أثره من آثار انتشار الاسلام والتعاليم الاسلامية في تلك البلاد من القارة الافريقية .

وقد تطور القضاء في برنو بعد أن نشأت المدن التجارية وكثرة المعاملات بين الافراد ، وازداد دخول الناس في الدين الاسلامي الحنيف ، وبعد أن وجدت المساجد ونشر الدين والفقهاء القادمين من مصر وشمال افريقيا الى تلك الديار الاسلامية ، وفي أول الامر كان زعماء القرى هم الذين يحكمون بين الناس وكانت سلطتهم أكبر من سلطات القضاة المسلمين [1] .

وكان القاضي يقيم في العاصمة برنو ويكون هناك قضاة أقل في المرتبة في المدن الكبرى للبلاد وكانت المحكمة الملكية برئاسة السلطان والثانية محكمة القاضي والذي يعينه السلطان وهو الذي يختص بالنظر في الجرائم العامة والجنح والخلافات بين المواطنين ، ويشترط في القاضي أن يكون فقيها متحليا بالنزاهة والورع ولم يكن يتوافر شرط العلم والتعلم في بادئ الامر عند تعيين القاضي لذا كان القضاة من العرب [2] .

وأما أكثر المسلمين والمثقفين الذين تعلموا في القاهرة وطرابلس وتونس فكان لهم قسم منهم في القضاء وفي الخطابة وإمامة المساجد ، ولم يكن أحد

(1) Lebuef, A.: OP. Cit. 43.

(2) نعيم قداح ، نفس المرجع ، ص ١١٢ — ١١٦ .

يحتل منصب القضاء أن لم يكن اهلا له . خوفا من غضب الله ، ويحترم
القاضي حتى ان المسجد يلتجيء اليه أحيانا وعاء المحارم خوفا من السلطان ●
وبطشه ، وكان السلطان يحترمهم ●

وكان القانون القضائي المطبق في برنو قانون عربي يستمد من الشريعة
الاسلامية (١) ~~ويسير القضاء في الفصل في الثارات على هذا القانون ، فيجب~~
~~أن عقابهم في القتل هو أن يعاقب القاتل بالقتل وفقا لنص الشريعة الاسلامية وطبقا~~
لما ذكره القلقشندي عن العدل في برنو بقوله " أن العدل قائم في بلادهم
وهم يتمذهبون بمذهب الامام مالك (٢) .

~~ومن ذلك نرى أن القضاة كانوا~~ يتحرون العدالة في اصدار الاحكام ، وكان
كل مواطن في برنو يأخذ حقه امام القضاء ، وكان الزعيم الديني يعرف باسم
القاضي وفي برنو كان يوجد امامين أحدهما هو الامام الاكبر والثاني هو الامام الاصغر
وهو أن هذين الشخصين كانا يحافظان على كل شيء طبقا لمواهبهم في المذهب
القضائي (٣) .

وليس أدل على تطبيق الشريعة الاسلامية في برنو وسير القضاء والعدل وفقا
لما جاء في القرآن الكريم والسنة وأخذا بتفسير المذهب المالكي ، ومن ذلك أن وجد

(١) Denham and clopperton, OP. Cit. P. 325.

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٢٨ .

(٣) Trimingham, J.S. : A History of Islam in West Africa P.2(1)

السلاطين من سلاطين برنو قاموا بقتل سارق لأن له سرقه ، وتخطى بذلك التعاليم الاسلامية ونص القرآن عمدا وأنه لم يكن متعمقا في المسائل الدينية والتشريعية وجهل ما جاء في القرآن الكريم ، أو خضع لظروف حالت دون تنفيذ نص القرآن ، فما كان من الأم الملكة الا أن حرمت هذا السلطان "برنو" لانه أخطأ في تنفيذ أوامر الله تعالى (١) ، وقالت له ، قال تعالى في كتابه العزيز السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، وليس اقتلوهما .

وكانت الاحكام تصدر في فترة قصيرة وعندما تكون هذه الاحكام متعلقة بجماعة الشعب يعلن القرار على الملأ وتتراوح العقوبة بين السجن أو الجلد أو الموت أو مصادرة أموال الجاني . أما الجرائم الجنائية فهي من اختصاص المحكمة السلطانية التي تعقد برئاسة القاضي ، لقد حكم أحد السلاطين في برنو بنفسه على السجين أحد ركائز مؤامرة تخصه ولكن الحكم [illegible] في الجناية وقد تصل الأحكام الى درجة قاسية (٢) .

وبالنسبة للحقوق الملكية فانه يبدو أن السلطان هو المالك الوحيد للأرض .

---

(١) علي ابوبكر : نفس المرجع ، ص ٢٩ .

(٢) نعيم قداح : نفس المرجع ، ص ١١٢ .

وكان روءساء القبائل الذين توزع عليهم الارض من قبل السلطان يقومون بالحصول على محصولها ويقوم الفلاحون بالعمل بها نظير الاجر •

ولقد تغير الوضع بعد ذلك عندما انتقلت الاسرة المالكة بشعبها الى يرنو فكان رئيس العائلة له الحق فى التصرف فى أراضيه بالبيع أو التنازل عنها وذلك عملا بنص القرآن فى حق الملكية وأصبحت الارض تورث (١) •

وأما ملكية المواشى فقد كانت ملكية فردية وكانت الحيوانات تورث وفقا لنص القرآن والشريعة الاسلامية فاذا ورث شخصين حيوان واحد ففى هذه الحالة اذا كان الحيوان يركب فيستعملها كل منهما فترة متساوية • أما اذا كان ذكر فيتم بيعه ويقسم الثمن مناصفة • أما اذا كانت انثى فيحتفظ بها وتكون ملك الاثنين وفى معظم الاوقات كانت حيوانات القطيع الواحد لجماعة ملاك يحاولن حمايتها من السرقة والامراض وكانت الحراسة هى عمل بعض الرعاة يحصلون على أجر من الغنم نظير تلك الحراسة (٢) •

أما العقود المتداولة بين افراد الشعب فهى مسجلة على النحو الشرعى للاسلام وكان كتاب الله وسنة رسوله ومذهب الامام مالك هو هديهم فى تطبيق كل أمر من أمورهم (٣)

---

(١) Lebuef, A.: OP. Cit. P. 43.

(٢) Lebuef, A.: ibid. P. 44.

(٣) Hodgkin, T.: OP. Cit. P. 27.

وكان البيع الوثائقى هو المتعارف عليه ويتم الاتفاق امام اثنين من الشهود .
وكانت المهلة تتراوح بين خمسة عشر يوما وشهر (١) .

وقد حدث تطور هام . فى أمر القضاء فى عهد السلطان ادريس الوما
وأيضا فى نظام الشورى . إذ نجد أنه عمل على نقل السلطة القضائية فى الامور
التى تخص الامة من سلطة زعماء القبائل الى سلطة القاضى وذلك وفقا لما جاء
فى القرآن والسنة ووضع كل الامور المتعلقة بالامة من ناحية القضاء والشرع فى
أيديهم (٢) .

وعمل على أن يجعل العدل نبراسا لامة برنو وحض السكان على أن يضعوا
أمورهم فى ذمة العلماء والقضاة لا زمة الزعماء وأن يتصفوا بالعدل والتسامح والاخاء
وأرغم الشعب على استعمال المكاييل والموازين المعترف عليها حتى لا يقوم
التجار بابتزاز أموال الاهالى أو ارهاقهم بانقاص الكيل والميزان (٣) .

وجاء السلاطين من بعده يعملوا على أن تكون الزعامة الدينية دائما
فى أيدى اشخاص يكرسون فى خدمتهم ويثقون فى نزاهتهم (٤) .

---

(١) Lebeuf, A.: OP. Cit. P. 44.
(٢) Ahmed ibn Fartua.: OP. Cit. P. 20.
(٣) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا . ص ٧٨ .
(٤) Encyclopdia of Islam Art. Kanem P. 721.

وكان ابن السلطان ادريس الوما ، السلطان محمد بن ادريس قد ولى السلطنه بعد مقتل أبيه ، فعمل على تحكيم الكتاب والسنة فى كل أمور البلاد وتحرى الدقة فى كل الاحكام التى كانت تصدر ، وعمل على رعاية احوال المواطنين وقيام القضاء بتحرى الدقة والعدل فى أصدار الاحكام فحسنت سيرته حتى لا يكاد أحد فى فترة حكمه يذكر سوء جبهرا وقد وصف من أجراء اعماله وعدالته بالقدوة والاحسان والورع والتفقه فى امور الدين الاسلامى (١) .

وقد أعطى لنا بالمر كثيرا من المواقف التى كان السلاطين يأخذون فيها رأى العلماء والقضاء فى بعض المسائل الفقهية التى تعترضهم عند تطبيق حكم فى احدى المسائل الشائكة فقد كان الفيصل فيها القرآن ، وان لم يكن هناك نصا صريحا فانهم يلجأون الى كتب التفسير والاحاديث (٢) ، وكانت السلطات الحاكمة فى برنو تعمل من جانبها على أخذ القصاص وذلك لكى تمنع عادة الاخذ بالثأر بين القبائل التى تقيم فى البلاد وخاصة القبائل العربية ، وكانت بعض المشاكل تعرض على القضاء ، ولكن المشاكل البسيطة لم يكن يستدعى الامر عرضها على القضاء ، بل كانت تحل وفقا للتقاليد السائدة فى البلاد مع مراعاة ما

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ .

(٢) Palmer, R.: The Borno Shera and sudan P. 33.

(٣)

جاء فى القرآن عند اصـــدار الاحكام (١) .

وبالنسبة للرقيق فانه طبقا للقضاء المطبق فى البلاد فانه كان يحــــق للعبد أن يصبح حرا ، اذا دفع ثمنه لسيده ، وبعد ذلك فانه لم يعد عبدا أو يباع ولــــه الحق فى التمتع بحريته وكان السادة يقومون باعتاق اعداد كبيرة من الرقيق ، وكانت هذه الامـــور منتشـــرة فى البلاد ، وخاصة فى الاقاليم التى يسكن فيها قوم مسلمون متمسكـــون بكل التعاليم الاسلامية مطبقـــون للشريعة الاسلامية تطبيقا صحيحــــا فى أمورهم الدنيويـــــة (٢) .

أما بالنسبة للارث فانه عند موت الاب يقوم الابن الاكبر بادارة املاكـــه ، أما اذا كان صغيرا جدا فيقوم بذلك أحد اعمامه حتى يوم التقسيم ويتم ذلك فـــــى مجلس العائلة ويذهب العشر الى رئيس القبيلة (العائلة) والباقى يقسم بيــــــن الابناء ويأخذ الاولاد ضعف البنات وذلك تطبيقا لنص الشريعة الاسلامية التى تنص على ذلك .

أما بالنسبة للارمل فانها تبقى فى منزل المتوفى لمدة عام ، وبعد هـــــذه الفترة فانها اذا لم تتزوج مرة أخرى من أحد افراد العائلة فانها تعود الى منزل ابويها واذا كان الشخص المتوفى لم يترك ابناء فان اخته وأخواته يرثوه وعندمــــا

Anderson, J. A.: Islamic law in Africa. P. 207. (١)

Trimingham, J. S.: Islam in West Africa P. 134. (٢)

~~Encyclopodia o f islam. Art. kanem. P. 721.~~ ~~(3)~~

وعندما تتوفى الزوجة يرث الزوج الماشية وترث بناتها الجواهر والملابس [1] .

وكان يوجد فى العاصمة برنى عاصمة البلاد دارا للقضاء يقوم القاضى يعقد مجلسه فيها للنظر فى أمور الرعية وحل الخلافات بين افراد الشعب [٢] . ومما لا شك فيه أن هذه الدار كانت تحوى مجموعة من الوثائق والقوانين والقضايا التى كان يصدرها القضاء وأيضا نماذج لبعض الاحكام التى كانوا يصدرونها .

وفى كل فترات التاريخ فى برنو كان رجال القضاء كانوا يتمتعون بمكانة عاليه وكان يأخذ رأيهم فى كل الامور والمسائل التى تمس أمن ومصلحة البلاد وفى حالة اعلان الحرب على الاعداء وليس ادل على ذلك من أن السلطان عمر بن ادريس الذى واجه الخطر الشديد لهجوم البلاله على كانم ، حيث رأى أنه لا قبل له بمقاومة هذا الزحف الجارف فانه عقد مجلسه وكان من بين الذين دعاهم لاخذ مشورتهم الامام الاكبر قاضى القضاه ، والذى اشار عليه بمغادرة هذا المكان والالتجاء الى مكان آخر لان نصرالله قد غيبت فى هذا المكان ولا بد من الرحيل [٣] .

(١) Lebuf,P.: OP. Cit. P. 44

(٢) Denham and clapperton: OP. Cit. P. 368.

(٣) انظر ، ص ٧ .

كذلك فان السلطان على بن غازى بعد أن اصبر العاصمة برنو لكى تكون مقرا لحكم الامبراطورية الاخذ ة فى التوسع ، فانه نصب الشيخ عمر امام لكى يكون اماما للبلاد وذلك لكى يقوم بالحكم والنظر فى كل الامور التى تخص الرعية وفقا للشريعة الاسلامية وقام الامام الاكبر قاضى القضاة بهذه المهمة على خير وجه ، فكان يصدر القوانين السليمة والصحيحة وقام السلطان على بنفسه بتنفيذ هذه القوانين التى كان يصدرها الشيخ عمر [1] .

وأيضا فان السلطان ادريس الوما اتخذ اماما وقاضيا للبلاد كان من جمهرة الائمة الذين اشتهروا فى تاريخ برنو ، ذلك هو الامام احمد بن فرطو ، والذى له كان له الفضل فى تدوين بعض النواحى السياسية والتاريخية فى برنو ، والذى يرجع نسب اصله الى محمد بن مانى أول من ادخل الديانة الاسلامية فى البلاد ، وكان السلطان ادريس يشركه فى الامور الهامة التى تخص مصالح برنو ، وكان يصحبه معه فى كل غزواته التى كان يقوم بها ضد اعداء برنو [2] .

١٤٢

وكان القضاء فى عهده شديدى التمسك بالكتاب والسنة ، شديدى الكراهية لاهل البدع والمحدثات ولقد تحروا الدقة والامانة فى احكامهم

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٨١ .

(٢) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٨٩ .

القضائيـة وحكموا بالكتاب والسنة وساروا على نهج اسلامى خالص ، وكانت هـذه الطائفة من القضاء الذين انيطت بهم امور الامة من ذوى المعرفة والتحقق بـل أكثر من ذلك فان السلطان ادريس طلب منهم أن يقضوا فى كل قضية بما لا يتنافى وحكم القرآن والسنة ، كما أنه كان يعتقد أن جميع القضايا توجد لها حلول منصوصة قاطعة فى الكتاب والسنة ونصائح الصالحين وآراء الحكماء ، كما أنه طلـب منهم الا تأخذهم لومة لائم من تنفيذ جميع الاحكام التى يصدروها مجلـس القضاء وحملهم مسئولية النظر فى كل ماله علاقة بالامور القضائيـة (١) .

وسارت البلاد بعد ذلك فى طريق الحق والعدل وتمسك القضاء بكل التعاليم الاسلامية اللهم الا فى الحالات التى كانت تسود فيها البلاد حالة من الفوضـى واضطراب الامور فانه ربما كانت الاحكام القضائية لا تجد طريقها الى التنفيـذ وربما كانت تعطل بسبب تدخل اصحاب النفوذ والسلطان للحيلولة دون تنفيـذ هذه الاحكام وربما قل وزن القضاء فى أعين السكان . و

وأنه مهما يكن من أحوال البلاد وسوء الاحوال فانه فى أواخر عهـد السفية نجد وتهام وكلامرتون يذكران أن القضاء فى برنو كان قضاء اسلامى فى

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع : ص ص ٩٠ــ٩١ .

تشريعه وتنفيذه (١) .

وليس أدل على ذلك ما جاء على لسانهما والحقاه بكتابهما . وذلك لانهما تقدما بشكوى الى دار القضاء فى برنو . وذلك للمطالبة بحق لهما . وانعقد مجلس القضاء للنظر فى الشكوى المقدمة منهما ضد احد سكان البلاد . وذكر أن شكواهما انهما دفعا اليهن من الدولارات الى شخص من برنو وهما فى طرابلس على أن يرد اليهما المبلغ عند دخولهما الى برنو . ولكنه شآت الاقيلدار الالهية أن يموت الرجل وهو فى الطريق من طرابلس الى برنو . وبذلك فانهما يطلبان من مجلس القضاء أن يقوم شقيق المتوفى والذى آلت اليه كل ثروة أخيه برد هذا المبلغ الذى دفعاه الى أخيه .

وتقدما الى المجلس بورقة مكتوبة باللغة الانجليزية وليست باللغة العربية ولكنها تحمل توقيع الشخص المتوفى . فقام مجلس القضاء باحضار شقيق المتوفى وجاء بأحد أصدقاء المتوفى كشاهد على ذلك العقد واستلام المتوفى وذلك لان الشاهد كان قد حضر تسلم المتوفى للمبلغ .

---

(١) Denham and clappertons OP. Cit. P. 372.

وبعد أن درس مجلس القضاء كل هذه الجوانب التي تحيط بالشكوى فانه أصدر حكمه في تلك القضية بالرفض ، رغم أن الوثيقة تحمل توقيع المتوفى وهو باللغة العربية وذلك لانها لا تعتبر وثيقة اسلامية شرعية وغير مكتوبة باللغة العربية لغة القضاء في برنو ، ورفض مجلس القضاء الاخذ بشهادة الشاهد .

ولكنهما ذهبا الى دار العدالة مرة أخرى ، وعند ذلك فان شقيق المتوفى تعهد بأن يدفع لهما كل المبلغ الذي دفعاه الى اخيه .

وفي نهاية الوثيقة فقد أشادا بعدالة القضاء في برنو (1) .

ومن ذلك يتضح أن الشريعة الاسلامية والعدالة هي التي كان يسير عليها القضاء في برنو في أصدار احكامه ولهذا فان البلاد سادها العدل والاخاء .

---

(1) Denham and Clapperton: OP. Cit. P. 370.

((الفصـــل الثالــــث))

((علاقـــات برنو الخارجيـــة))

كان لبلاد برنو علاقات مع الدول المجاورة وخاصة مع مصر وبلاد الشمال الافريقي والسودان الشرقي . والبلاد التي أطلق عليها حديثا غرب افريقيا والتي تجاور برنو من ناحية الغرب فارتبطت ولا سيما في عصور ازدهارها بروابط قوية مع تلـــــك البـــــلاد .

أولا : العلاقـــات السياسـة

(أ) ـ العلاقات السياسية مع مصـــر

تأكيدا لروح الاخوة الاسلامية وللافادة من الخبرات الثقافية والعلمية التي وصلت اليها مصر وطدت برنو علاقاتها بمصر ، اذ تعتبر برنو اقرب السلطنات السودانيـــة على الطرق التي تسلك الصحراء الغربية في طريقها الى واحات مصر [1] وكانـــت تلك الواحات عامرة في ذلك الوقت ومتصلة بأرض السودان وكانت تمثل نقطة ارتبـــاط بين مصر وبلاد كانم ـ برنو [2] وذلك بالرغم من أن الاصطخري يذكر أن بـــلاد برنو كانم ليس لها اتصـــال بشيء من الممالك والعمارات الا من وجه المغـــرب لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الامم فإن بينها وبين واحات مصر مساحـــات واسعة من الرمال [3] وبالرغم من ذلك يمكن القول أن الواحـات كانت تمثـــل

---

(١) حسن أحمد محمد : الاسلام والثقافة العربية في افريقية ، ص ٢٥٩ .

(٢) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٢٠١ .

(٣) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص ٣٥ .

نقطة للراحة على الطريق بين مصر والقادمين من بلاد برنو ـ كانم ، وذلـــك لان القوافل كانت تعبر الطرق الصحراوية من مصر الى كردفان ودارفور ثم الـــى برنو وبعد ذلك الى بلاد التيجر (١) .

وعلى ذلك يمكن القول أنه كانت هناك علاقات سياسية بين مصر والممالـك التى قامت فى النطاق شبه الصحراوى فى القاره الافريقية والتى كانت من بينهـــا سلطنة برنو ـ كانم ـ وأن هذه العلاقات قد توطدت توطدا ملموسا وذلك لان مصر كانت تمثل ثقلا سياسيا ممتازا ومرموقا فى العالم الاسلامى باسره شرقـــــه وغربــــــه (٢) .

ولذلك فقد أخذ يفد الى مصر فى عصر سلاطين المماليك القضاه والرسل والحكام والملوك من مختلف انحاء العالم الاسلامى يحملون الهدايا والامـــوال ويطلبون التقاليد من الخليفه العباسى الذى كان قد أستقر فى القاهرة بعـــد سقوط بغداد على أيدى المغول ، هذا عدا الصوفيه والفقهاء والعلماء الذيــن قصدوا مصر من البلاد المغربية البعيده (٣) ، وليس هناك شك فى أن وفـــودا قد جاءت من برنو الى القاهرة ولاسيما أنه كان لبرنو قافلة كبيرة تذهب الى الاراضى المقدسة فى الحجاز كل عام .

---

(١) Johnsten,H.: A History of calanisation of Africa P. 19.

(٢) Trimingham,J.S.: The influence of islam upon Africa P. 18.

(٣) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ص ٦ .

ولقد كان الاسلام واستقرار الحياه اليومية في برنو من اسباب القوة التي وقت البلاد الى تقوية علاقاتها الخارجية مع البلدان المجاورة وتمهيد احياء العلاقات الخارجية التي كانت تقيمها كانم قبل سقوطها مع بلدان العالم الاسلامي [١] .

وقد أشار هودجكن ، الى تلك العلاقات السياسية القوية التي ربطت مصر ببلاد برنو كانم الى أنه كانت هناك مراسلات شبه دائمة بين سلاطين مصر وكانم برنو [٢] .

ولقد كان ارتباط تلك البلاد بمصر واتصالها بأرقى الحضارات الانسانية المعاصرة في ذلك الوقت هو صاحب الاثر الاكبر في تشكيل وتوجيه تاريخ هذه البلاد ، ذلك أن بلاد السودان ومنها برنو ، كانم لم تنقطع صلتها بالعالم الخارجي في أي فترة من فترات التاريخ ولم تحل وعورة الصحراء دون هذا الاتصال [٣] .

وكانت هناك حوادث متناثرة تلقى بعض الضوء على نوع العلاقات التي كانت تربط مصر بهذه البلاد في العصور الوسطى ولعل أبرز تلك النواحي وأكثرها وضوحا حج سلاطين تلك الدول ورعاياهم الى بلاد الحجاز ومرورهم على مصر حيث يستقرون بها زمنا ريثما يتهيأ موكب الحج والمحمل الى مكة المكرمة ، والطريق الذي درج حجاج تلك النواحي على سلوكه هو الدرب الصحراوي المعروف بطريق غسات ،

---

(١) الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والاوسط ، ص ٤٢٤ .

(٢) Hodgkin, T. : Nigerian perspectives, P. 77.

(٣) ابراهيم طرخان : امبراطورية غانا الاسلامية ، ص ١٠٠ .

والذى يبدأ من مدينة قات نفسها وينتهى عند سفح الاهرام . وقد اتخـــذ ملوك تلك البلاد الحج وسيلة فى تلك الجهات للغرضين أحدهما دينى والاخـر سياسى [١] اذ أن سلاطين " برنو ـ كانم " كانوا يقصدو من الحج هو تأديـة الفريضة وهذا هو الجانب الدينى أما الجانب السياسى فهو مقابلة الخليفـــة فى القاهرة والحصول على الخلع والتقاليد والاعتراف بهم سلاطين على بلادهم .

ولقد ساعدت هذه العلاقات السياسية التى ربطت بين مصر وبلاد برنـــو على انتشار الثقافة العربية والحضارة الاسلامية فى ربوع تلك الديار [٢] ومـــن ذلك اقتباس بعض نظم الحكم واتخاذ اللغة العربية أداة للمراسلات الرسميـــة وتشجيع الحركة العلمية القائمة على التعاليم الاسلامية . وتطور العلاقـــات السياسية التى كانت تربط مصر ببلاد برنو وصول حكام هذه البلاد على رأس رعاياهم وأرسالهم الهدايا الى السلطان المملوكى وحاشيته [٣] وقد حفظـــت لنا المصادر نص رسالة تبودلت بين سلطان برنو وبين السلطان المصرى المملوكى برقوق تتعلق بشكوى عرب جزام [٤] الذين اجتاحوا مع غيرهم من العرب المهاجرين من مصر جنوبا مملكة الزغاوة حتى سيطروا على دارفور . واتخذ اولئك الاعراب .

---

(١) حامد عمار : علاقات مصر بالبلاد الافريقية فى العصور الوسطى ص ٥٤

Coleman, J., Nigeria, Back ground to nationalism, P. 22

(٢) مصطفى سعد : الاسلام وحركة الفلان الاصلاحية فى غرب افريقيا مجلة جامعة ام درمان . العدد الاول . ص ٢٢ .

(٣) حسن أحمد محمود : نفس المرجع . ص ٢٥٩ .

هذه المنطقة قاعدة لشن غاراتهم على ما جاورها من اقاليم حتى مملكة برنو فـــي الغرب (١) والذين تعاونوا مع الجلابة على ملوك برنو وتسببوا في قتل السلطـــان عمر بن ادريس واستولوا على كميات كبيرة من الذخيرة والعتاد من عاصمة الكانـــم نجيمي واستباحوا استرقاق الاهالي رجالا ونساء شبابا وصغارا وحملوا الكثيـــــر من وجوده في شكل رقيق الى مصر وما جاورها من الاقطار العربية (٢) .

وقد وردت هذه الرسالة الى مصر في عام ٧٩٤ هـ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ مع ابن عم السلطان البرنوي مع هدية قيمة بعث بها الى سلطان مصر . وشـــي تجاره من رقيق وغيره (٣) وهي في ورق مربع السطر وبخط مغربي وليس بهـــــا هوامش في أعلاه ولا في جانبه وكتبة الكاتب في ظهره من ذيل الكتاب .

وقد كان ملوك السودان الغربي بما فيهم ملوك برنو في نظر ديـــوان الانشاء بمصر في مرتبة اقل من ملوك المغرب وأحتوت نماذج المراسلات بين مصـــر وملوك برنو . الدعاء لهؤلاء الملوك باستمرار حضور حجاجهم . ولكن لم يكن ذلـــك لتجنب المجاملة فحسب بل لان الدولة المملوكية كانت تفرض المكوس على حجـــاج

---

(١) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة في العصور الوسطى . ص ٢٨٥

(٢) ابراهيم بن صالح : تاريخ الاسلام وحياة العرب في أمبراطورية كانم برنو ص

(٣) القلقشندي : صبح الاعشى : جـ ٨ : ص ٨ .

تلك البلاد ، وتجارتهم التي تدر على الخزانة المصرية دخلا طيبا ، لذلك تدل هذه النتائج على معرفة الدولة المملوكية بأحوال تلك الديار فكان ذلك الدعاء لملك برنو بالنصر على أعدائه المجاورين من الهمج المعروفين بالدمادم وكانت بلاد السودان مهتمة بالاحداث السياسية الكبرى التي تجري في مصر المملوكية وخاصة الخطر التتري (١) .

ويتضح من الرسالة المتبادلة بين السلطان برقوق سلطان مصر وملك برنو انها تحمل بين سطورها شيئا من الحذق والتوسل معا ، ودليل البساطة بادية ايضا فيما سلفت الاشارة اليه من تحية سلطان برنو على مخالفة المصطلح الدبلوماسي في مكاتبة السلطان المملوكي ويبرر القلقشندي ذلك بأنه جهل من الكاتب بمقاصد صناعة الانشا ، اذ لا يهتدون الى مقاصدها (٢) .

وأما ما يضعف وجاهة هذا التعبير ، ما جاء في ختام الرسالة وقال تعالى لنبيه داود عليه السلام ، يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب والسلام على من اتبع

---

(١) حامد عمار : نفس المرجع : ص ص ٥٤ – ٥٥ .

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٨ ، ص ١١٦ .

الهدى ، فالأذى صحبها انذار مهدف . كما أن السلام بتلك العبارة من تلك البرنو المسلم ، الى السلطان المملوكى فيه اهانة مقصوده ، اذ المعروف أن هذه التحية لا توجه الا لغير المسلمين .

وقد أظهر السلطان برقوق عدم اكتراثه بأمر هذا الكتاب فلم يرد عليه الا بعد ستة سنين وجاء الرد على ظهر الكتاب دليلا على احتقاره لسلطان صاحب برنو (١) .

كذلك يمكن أن يستدل من بين سطور تلك الرسالة على المكانة السياسية والنفوذ الذى كان لمصر فى تلك الديار وسلاطينها وذلك كما جاء بأن الملك مصر الجليل ، أم الدنيا .

كذلك كان حكام السودان الغربى والاوسط كانوا يهتمون بأن يحيطوا سلطانهم بسياج من الصفة الشرعية وتدعيم ملكهم ومن هنا فقد كان كثيرا من سلاطينهم يطلبون من الخليفة العباسى بالقاهرة تقليدا بتفويضه حكم بلاده . وعادة كان الخليفة يمنح هذا التقليد وذلك لان هذا التقليد كان يكسبهم تأييدا بين مسلمى بلادهم وكان هذا من العوامل التى ساعدت على ربط تلك البلاد سياسيا بالقاهرة .

---

(١) حامد عمار : نفس المرجع ، ص ٥٦

(٢) شوقى الجمل : تاريخ العلاقات المصرية الافريقية ، المحاضرات غير منشوره ، القيت بمعهد الدراسات الافريقية ، سنة ١٩٧٢ .

وقد حاولت أسرة البلالة التي استولت على الحكم في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي الحصول على التأييد الشرعي لحكمها من السلطنة المملوكية والخليفة العباسي ، الذي كان يقيم في مصر في ذلك الوقت ولكنها لم تستطع أن تظفر بشيء من التأييد بالرغم من الهدايا والأموال التي أرسلتها الى مصر (1) .

وقد حج من سلاطين برنو الكثيرون ، وأن هؤلاء السلاطين قد استقروا بالقاهرة فترة طويلة وهم في طريقهم الى أرض الحجاز ، وذلك حتى يتجمع الحجاج ويخرج المحمل وكسوة الكعبة التي كان يرسلها حكام مصر الى مكة كل عام ، وأن هؤلاء السلاطين ، قد اختلطوا بحكام مصر وعلمائها وقضاتها وفقهائها ، وربما يكونوا قد حضروا دروس الدين التي كانت تدرس بالجامع الازهر وناقشوا أمور الدين مع العلماء المصريين واشتروا الكتب الدينية من القاهرة ، وحملوها معهم عند عودتهم الى بلادهم ، واقتبسوا كثيرا من النظم الادارية والتنظيمية والثقافية التي كان معمولا بها في مصر وحاولوا تطبيقها في بلادهم مع ملاءمة ذلك للأحوال والظروف السائدة في تلك الديار (2) .

---

(1) حامد عمار : علاقات مصر بالممالك الافريقية في العصور الوسطى ص ٤ .

(2) شوقي الجمل : المرجع السابق : معهد الدراسات الافريقية ، ١٩٧٢ م .

وقد توثقت العلاقات بين مصر وبرنو وزادت هذه العلاقات توثقا فـــي نهاية السلطنة البرنيه ، بالاضافة الى أن مصر ارتبطت بروابط قوية مع كثيـــرا من بلاد السودان الشرقي والاوسط ، الا أن ملوك السودان الشرقي كانــــوا يخطبون لانفسهم تحت طاعة الخليفة العباسي في بغداد [1] .

ولكن كيف تكون لهذه البلاد صلات وروابط مع بغداد ولا تكون هنــــاك صلات قوية مع القاهرة بعد سقوط الخلافة العباسية وانتقالها الى مصر . ذلــك أن القاهرة اقرب اليهم وهم في طريقهم الى الحج ولا أتصور وجود صلة بيـــن بغداد والسودان الشرقي اقوى من الصلة بين السودان ومصر . ذلك لان مصر تجاور برنو . كانم من ناحية الواحات وأيضا طريق مصر . فانا الـــذى كـــان طريقا مصريا وآمنا للقوافل ومناهل مطروقة [2] .

ويذكر يوهان هومبر أن احد سلاطين برنو قابل وهو في طريقه للحــــج الى مكة خليفة السلطين العباسي بالقاهرة اذ ذاك وطلب منه الخلع والقاليــد ولما عاد من الحج أعاد تنظيم مملكته على أساس ما رآه من النظم الاسلاميـــــة في الممالك الاسلامية التي مر بها [3] .

---

(١) الادريسي : نزهة المشتاق في أختراق الآفاق ، ص٦ .

(٢) عبد الفتاح عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ص٩٩

(٣) ديفدان هومبر : الديانات في افريقيا السوداء ، ص ١٢٤ .

((العلاقات السياسية مع دول الشمال الافريقي))

كانت تقع جنوب المغرب " الشمال الافريقي " بلاد السودان مقابلا لهـا لطرابلس وفزان ، وتقع بينها و وادي النيل ، وتوجد صحراء واسعة بين أرض المغرب وبلاد السودان وفي أطرافها سكان من البربر في قلب البر توجد مياه (١) عليها قوم منهم وهذه الصحراء التي بين المغرب وبلاد السودان قليلة المياه ، مقفرة الحياة ، لا تسلك الا في الشتاء ومسالكها في جملة صعبة السفر دائمة الريح والصخر (٢) .

ومن هنا فقد ارتبطت تلك الدولة ، وغيرها من دول السودان الغربي والاوسط بدول شمال افريقيا اكثر من ارتباطها بمصر ، ذلك لكثرة الدروب الصحراوية التي تصل هذه البلاد مع بلدان الشمال الافريقي (٣) .

وقد ساعدت هذه الطرق الصحراوية التي تمتد من الشمال الى الجنوب الى اطراف الصحراء الكبرى على تدعيم اسباب التفاهم والتعاطف الانساني بين هذه البلاد وشمال القارة الافريقية ولا بد أن الصلة المباشرة بين الطرفين قد وجدت منذ عهد سابق جدا (٤) .

---

(١) يقصد بالمياه هنا بحيرة تشاد والانهار التي تصب فيها .

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ص ١٠٢ - ١٠٤ .

(٣) حامد عمارة : علاقات مصر بالبلاد الافريقية في العصور الوسطى ، ص ٥٣ .

(٤) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ١١٥ .

وتشير بعض أساطير جماعات الهوسا وبرنو وهي الأساطير التي تناقلها الأبناء عن الآباء والتي كانت تروى متناقلة على أنه قد حدثت علاقـــات مع الشمال ذلك هو وجود عناصر الشمال بين هؤلاء القوم ، فقد كان حكام برنو الذين كانت سلطتهم قد بدأت تأخذ وضعها كدولة قوية منذ عصر السلطان على غازي معتبرا بعيدا عن الزنوج فانهم يراعون دائما التوجه الى الشمال لاختيار زوجاتهم من طبقة النبـــلاء (1) .

وقد عمل سلاطين برنو على تدعيم العلاقـــات الخارجية لبلادهم مـــع الدول المحيطة بهم وتوثيق الصلات ولا سيما مع بلاد الشمال الافريقي وذلـــك عملا على بناء الروابط والصلات الطيبة بين البلدين والتي كان اقامهـــا الاسلافهـــم ، حكام الكانم قبل رحيلهم الى برنو . فقد قام السلطـــان على غازي (١٤٧١ ــ ١٥٠٤ م) بعد أن أسس العاصمة بيرني باتبـــاع سياسة الصداقة والمودة مع الدول المجاورة . وقد ساعد ذلك على كســب صداقة ومحبة الدول الاخرى وعطفها . وقام بتجديد علاقات برنو مــــع دول شمال افريقيا في شتى المجالات (2) .

وقام السلطان ادريس بن على (١٥٠٤ ــ ١٥٢٦ م) بارسال سفارة الى طرابلس في عام ١٥١٢ م ، وذلك سيرا على سياسة والده في ضرورة تدعيم

---

(1) Oliver, Page.: Ashort history of Africa. P. 63.

(٢) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٨٠ .

روابط الود والصداقة مع دول شمال افريقيـــــا (1) .

وقد أثبتت الاحداث التي مرت بها برنو انها بعد . مدى فائدة الروابط مع الشمال الافريقي في تدعيم الوضع الداخلي والخارجي للبلاد .. وجـــــاء بعده ابنه السلطان محمد بن ادريس (١٥٢٦ ـ ١٥٤٥ م) فقام بارسال سفارة مع هدية قيمة الى حاكم طرابلس وذلك في عام ١٥٣٤ م وذلك حرصـــا على تدعيم الروابط الاخوية والصداقة التي كانت قائمة بين البلديـــــن منذ عهود قديمة . وذلك ضمانا لحسن الجوار وبقاء الطريق التجاري متصلا آمنا . ولا بد أن هذه العلاقة كانت تعود بالنفع على كلا الطرفين (2) .

وقام السلطان ادريس الوما (١٥٧١ ـ ١٦٠٣ م) بارسال سفارة تحمل معها الهدايا القيمة الى طرابلس وذلك في عام ١٥٧٨ م . وذلـــك عملا بنصيحة والده ولكي يضمن ان يصبح الطريق التجاري الذي يربـــط طرابلس بـ فزان ـ كوار ـ برنو . مفتوحا للقوافل على الدوام وأيضـــا لكي يضمن سلامة وأمن القوافل التي تمر بهذا الطريق . وذلك لان السلطان ادريـــس الوما كان في أمس الحاجة الى الشمال الافريقي لان جيشـــه

---

(1) Barth, H., Op. Cit., P. 590.

(2) Barth, H., Ibid., P. 592.

كان يستخدم البنادق والبارود وكانت هذه الاسلحة والذخائر ترد اليه من الشمال والشمال الشرقي للقارة الافريقية .

وأيضا فان القوافل كانت تأتى بأعداد كبيرة من الخيول العربية التى يتم بيعها فى برنو وكان يستخدمها ويعتمد عليها جيش برنو . ولضمان أمن الطريق مع الشمال ودوام الاتصالات فانه قام بكسر شوكة الطوارق وأجبرهم على الخضوع له وأن يعيشوا فى سلام وأن يدينوا له بالولاء (1) .

ولقد ارتبطت برنو بعلاقات فى الود والصداقة مع دول المغرب الاقصى وانه كانت بينهم علاقات وطيدة منذ ٧٠٠ هـ أى قبل رحيل الاسرة الحاكمة من كانم الى برنو . فقد راسلوا ملوك الحفصيين فى تونس واستمر هذا الاتصال ودوام أهل برنو على انتظام الاتصال حتى كان عهد ادريس الوما والذى قام فى عام ٩٩١ هـ أى بعد توليته عرش البلاد بأحد عشر عاما . بارسال رسول منه الى الخليفة المنصور فى مدينة فاس بالمغرب وأرسل مع الرسول هدية نفيسة الى أمير المؤمنين فى المغرب وكان من أغراض الرسالة التى أرسلها الى الخليفة أنه يطلب المساعدة من أمير المؤمنين بالعساكر والاجناد . وعدد البنادق

---

(1) Barth,H., Op. Cit. P. 593.

ومدافع النار وذلك لجهاد الكفار ولنصرة الاسلام وقام الخليفة المنصور بارسال هدية من الخيل الى السلطان اسحق وسرع بأرسال بعثة له طالبا منه الدخول تحت طاعته والاعتراف بأنه أمير المؤمنين والدعاء له فى الخطبة يوم الجمعة (1) .

وكانت هذه الرسالة فى عام ١٥٨٠ م أى قبل أن يقوم سلطان المغرب بغزو سنغاى بعشر سنوات والا أن سلطان المغرب أمر بغزو سنغاى فى عام ١٥٩٠ م (2)

وقام السلاطين الذين تولوا أمور برنو بعد السلطان ادريس ألوما على الاتصال ببلاد الشمال الافريقى ولو أن هذه العلاقات قديمة اذ نجد أن ابن خلدون يذكر أن سلطان الكانم ــ برنو ، قام بارسال سفارة الى تونس فى عام ٦٥٠ هـ ــ ١٢٥٦ م ويذكر هذه السفارة على أنها من صاحب برنو (3) . وقد أشار المسعودى الى ذلك فقال أن صاحب برنو من ملوك السودان ، قد أهدى الخليفة المستنصر فى تونس هدية قيمة ولطيفة (4) وذلك لان الخليفة المستنصر كان قد وسع حدود ملكه فى تونس وضم طرابلس والجزائر ومراكش ومن هنا فقد حرص

---

(1) السلاوى : الاستقصاء فى اخبار المغرب الاقصى ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ ــ ١٠٥

(2) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ، ص ٧٩ .

(3) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٦ ، ص ٢٩٩ .

(4) المسعودى : الخلاصة النقية فى أمراء افريقية ، ص ٥٦ .

ملوك كانـــــم ـ برنــو ، على الاحتفاظ بالعلاقات الطيبة مع سلاطيــن وخلفاء الشمال الافريقي (١) .

وقد ترتب على تبادل الهدايا والسفارات بين برنو وبلاد الشمـــــال الافريقي أن توثقت الروابط ونشطت حركة التجارة وأصبح التجار يحضرون معهــم البضائع من الشمال والتي يحتاج اليها أهل الجنوب بل وازداد قدوم القوافــل الى برنو ، بعد أن اصبحت الطرق في أمان وأصبح السفر ميســورا ، ولــم يحــدث هناك حوادث لقطع الطرق كما كان يحدث في الماضي من تعرض القوافل للسلب والنهب (٢) .

وخاصة الادوات والثياب الجميلة والاشياء الغالية التي يحتاج اليهــا سلطان برنو وطبقة الحكم لتحمل لهم الحضــــارة الاوربيــة . (٣)

وقد أخذ نفوذ برنو السياسي يزداد على كل الصحراء الكبرى وأصبـــح لها نفوذ في دول الشمال الافريقي وذلك لان برنو كانت تحت حكم سلاطيـــن أقوياء أمثال ادريس الوما استطاعوا أن يرفعوا مكانة بلادهم وأن يزيدوا مـــن نفوذها حتى وصلت الى أقصى مراحل القوة في القرن السادس عشر وأوائــــل القرن السابع عشر حتى وصل نفوذها الى فزان وطالب السلطان ادريس الوما

---

(١) نقولا زيادة : الرحالة العرب ، ص ٣٩ .

(٢) Shinnie, M.: Ancient African Kingdoms, P. 70.

(٣) ابن سعيد المغربي : بسط الارض في الطول والعرض ، ص ٢٨ .

من السلطان العثماني يخصها الى بلاده [1] .

ووصلت حدودها الى السودان الشرقي ووفادت العلماء والاسلامية التي انتشرت في بورنو من مطلع البلاد الى الشمال الافريقي اذ لم تحل وجود الصحراء دون دوام الاتصال مع تلك الدول ووصلت الاثار الاسلامية العربية الى هذه العناصر السوداء جنوب الصحراء ووصلت اليها العلوم الاسلامية والنظم الاسلامية والاجتماعية حتى في مظاهر الذي ولم تكن لهذه الدول أي جانب من جوانب السيطرة . أو السيادة السياسية او أي نوع من أنواع الحماية على تلك البلاد فقد ترك الاسلام الوطنيين في السودان الاوسط لانفسهم ولبلادهم [2] .

على أن الاتصال بين افريقا جنوب الصحراء وغربها وبين العالم الخارجي المطل على البحر المتوسط سواء في الشمال أو الشمال الشرقي من القاهرة ظاهرة قديمة وستمره هذه الاونه الحديثة ودلت الاثار المكتشفة على أن غرب افريقيا ووسطها كانا مركز نشاط وحدتية وأن الاثر الشرقي كان بارزا في مدن تلك البلاد . ولكثرة الاثار الشرقية الاسلامية وتنوعها في العصر الاسلامي في تلك الديار ظل العالم الاوربي لخمسة قرون . يعتقد أن بلاد السودان ليست سوى جزء من البلاد الداخلة في نطاق العالم الاسلامي [3]

---

(١) السعودي : الخلاصة النقية في امراء افريقية ، ص ٥٦ .

(٢) ابراهيم طرخان : الاسلام واللغة العربية في غرب افريقيا (مجلة آداب القاهرة مجلد ٢٧ ، ص ٥٤ ـ ٥٨ .

(٣) ابراهيم طرخان : البرتغاليون في غرب افريقيا (سلسلة آداب القاهرة . مجلس ٢٥ ، ص ٣٢ ـ ٣٣ .

ومن هنا فان الروابط كانت وثيقة بين برنو وبين بقية العالم الاسلامي وخاصة دول الشمال الافريقي ، ولقد لعب طريق المواصلات الشرقي طرابلس – فزان – كوار – بحيرة تشاد ثم الى برنو ، دورا بارزا في توطيد هذه العلاقات (١) .

وكانت قبيلتا لمتونة وجدالة حلقة الاتصال بين المغرب وشعوبه وحضارته وثقافته ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبين السودان جنوب الصحراء . ولقد نال أهل البلاد الاصلية نصيبا من الثقافة الاسلامية سواء في ميادين السياسة أو الحرب وذلك للدور الذي لعبته هاتين القبيلتين (٢) .

وأيضا فان مجئ الهجرات الواسعة من الشمال الافريقي عبر الصحراء واتصال العرب بالزنوج في السودان الاوسط قد أوجد دولا عظيمة وممالك ذات شأن وحضارة راقية مثل برنو وهذه الدول الاسلامية السودانية اتصلت بالدول الاسلامية المعاصرة لها في مصر والمغرب ولابد أنهم استفادوا من هذه الاتصالات أحسن استفادة اذ اقتبسوا منها بعض نظم الحكم (٣) .

وكان قيام جيش مراكشي عام ١٥١٠ م بالاستيلاء على سنغاى وعبور هذا الجيش للصحراء وهزيمته اسكيا بن سكيا ، وتدمير العاصمة تمبكتو خسارة للحضارة

---

(١) Bovill, E.: Carvore the old sharo. P. 24.

(٢) حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

(٣) مصطفى مسعد : الاسلام وحركة الفلان في غرب افريقيا ، ص ١٢١ – ١٢٢

في سنغاي . وبذلك اندثرت الحضارة الاسلامية وقد هوت مكانة تمبكتو وساءت أحوال البلاد . وتركت هذه الغزوة التي جاءت من الشمال اثرها على برنو (١) .

على أنه يمكن القول أن العلاقات السياسية بين برنو ودول الشمال الافريقي كانت دائما مستمرة ومتصلة مهما بلغت الظروف السياسية والاحوال التي كانت تسود جنوب الصحراء اذ أن قوافل الحجاج كانت تسلك الطريق الصحراوي المؤدي الى الشمال في كل موسم حج وأن حكام برنو كانوا يرسلون الهدايا مع قوافل الحجاج الى حكام الشمال . وأن موكب أهل برنو القاصد الى بيت الله الحرام كان لا يخلو دائما من أحد السلاطين فان لم يكن فلا بد أن يكون في الموكب أحد افراد الاسرة الحاكمة أو الامراء . أو أحد افراد علية القوم الذين كانوا ذو شأن ونفوذ قوي في بلادهم . ولا بد أن أمير البلاد أو من ينوب عن السلطان كان يحمل معه الهدايا والرسائل الى حكام طرابلس .

---

(1) Johnston, H.; A history of colonization Africa. P. 68.

((ج / العلاقات السياسية مع غرب افريقيا))

كانت العلاقات التي تربط برنو ببلاد غرب افريقيا تتسم بنوع المودة والعلاقات الطيبة وأحيانا كانت العلاقات تخضع لنوع من الحروب المتواصلة والمنافسات وتارة تتسم العلاقات بنوع من توقيع معاهدات الصلح بين الاطراف وذلك أن بعض الاجزاء من السودان الغربي كانت خاضعة لنفوذ برنو وكانت ترتبط ببرنو اكثر من ارتباطها بأى جهة أخرى . والاحداث تذكر أن احد سلاطين مالي واسمه ساكورا "Sakura" والذى مات في أواخر القرن الثالث عشر وهو في طريقه لزيارة الاراضي المقدسة في الحجاز لتأدية فريضة الحج من وطنه مالي الى مكة . قد قتل على يد اهلى دنقله بالسودان الشرقي ولكن جسده حفظ ونقل الى بلاد برنو وقام سلطان برنو . بارسال من يعلم اهل مالي والبلاط السلطاني بذلك الحادث . وبعد أن علم اهل مالي بذلك ارسلوا سفارة الى سلطان برنو للشكر على ما قام به ولكي تسلمه جثمان الملك الذى قتل(1) .

وقام السلطان على غازى (١٤٧٢ ــ ١٥٠٤ م) بعد أن استغاث به سلطان أهير(2) بتجهيز جيشه لينقذه من مضايقات سلطان كيبي

---

(1) Meek, C.K.: The Northern trikes of Nigeria vol. 1. P. 63.

(2) أهير أو اير . احدى امارات الهوسا السبع التي قامت في غرب سلطنة برنو .

ـ السلطان كانتا ـ والذى كان قد حصل على أستقلال بلاده من سلطنة سقناى وأخذ يتوسع على حساب الامارات التى كانت تحيط به (١) .

ومضى السلطان على غازى بقواته سائرا الى نجده سلطان اهير لمصير اراضى كاتسينا ودورا ، وأنضم الى جيشه عدد كبير من أهل تلك البلاد ، الا أن السلطان كانتا كان يرفض المجابهة ويختار الا تواجه قواته قوات برنو القوية وفضل الالتجاء الى حصنه المحكم وحاصرت قوات برنو عاصمته سورامى ولكن السلطان على لم يستطع الاستيلاء عليها (٢) .

وأضطر السلطان على الى رفع الحصار والعودة الى بلاده ولكنه بعد أن لقى كانتا ، ربما والسبب أن كانتا سار بقواته بعد رفع الحصار وراء قوات برنو وذلك بعد أن وصله المدد من سلطان سقناى وأستطاع أن يلتحم مع قوات برنو وجرى بينهما قتال عنيف أستشهد فيه الكثير من قوات برنو ، ورجع السلطان على بما تبقى من قواته وعاد كانتا أيضا الى بلاده (٣) .

وكان السلطان على بن غازى مضطرا أن يدافع عن هذه البلاد التى أخضعها لنفوذه وأصبحت تابعة له عندما كان يحاول كانتا معاودة الهجوم عليها (٤) .

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 589.

(٢) ابراهيم صالح : نفس المرجع ، ص ٨٢ .

(٣) Barth,H.: OP. Cit. P. 590.

(٤) Meek, C.K.: OP. Cit. P. 80.

وقد وجدت روابط قوية مع برنو وامارات الهوسا ، ذلك أن أم السلطان قاضى بن ادريس (١٣٩٩ - ١٤٠٠ م) كانت من امارات الهوسا ويبدو أن والده قد تزوجها لظروف سياسية ، وأيضا فان السلطان عثمان بن داود (١٤٣٢ م) حين طرد من عرش برنو ، ذهب لاجئا الى امارات الهوســا (كانو) وبقى هناك حتى مات أو قتل .

وكذلك فان السلطان محمد بن ادريس (١٥٢٦ - ١٥٤٥ م) دخل فى صراع عنيف مع السلطان تومو Tomo حليف السلطان كانتا سلطـــان كبى والذى قاتله السلطان على غازى ، ولكنه لم تكتب الغلبة لاحدهما علــى الآخــر[1] ولكن السلطان محمد بن ادريس ، وسع حدود برنو غربا حــــتى كابار Kabara وهى ميناء مدينة تمبكتو .

وقام السلطان دونما بن محمد (١٥٤٦ - ١٥٦٣ م) بعقد اتفاقيـة سلام مع الامارات التى تقع غرب مناطق نفوذ برنو وخاصة امارة داجــــوت Daragot (٢) .

وقام السلطان قاضى بن عثمان (١٤٤٠ - ١٤٤٦ م) بارسال رسالـة

---

(١) Barth, H.: OP. Cit. P. 587 - 590.

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 592.

الى مواطني واحة توات (١) .

وكتبت هذه الرسالة بتاريخ العاشر من شعبان ٨٤٣ هـ وجاء في هذه الرسالة من السلطان قاضي سلطان برنو ، أيده الله ونصره ، الحمـــد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ثم الفاضي الكاتـــب على السلطان من جديد حتى قال أما بعد فالى المواطنين الذين من الشيخ مختار وسيدى عمر الشيخ والى سائر اخوانهم ، والى ديفندو القوم حاليا بتوات السلام عليكم جميعا ، وبعد ، فلقد عجبنا من امركم لماذا تركتم عادة كبرائكم لماذا أخرجتم من النزول الينا ، وارسال البعثات الى بلادنا ، منذ عهد كبيرنا السلطان جعفر ، فانتم لم تعودوا الينا منذ ذلك الحين .. لمـــاذا هذا انى أقسم بالله انه لن يصيبكم أى شيء من الاذى فيما لو جئتم لا مـــن جهتي ولا من أحد غيرى ، فعليكم أن تأتوا اذن كعادتكم وكل من جـــاء من توات حاملا معه رسالة منكم ، لا يسألن عن شيء من الرســـم ، لان البلاد بلادكم كما كانت بلاد اسلافكـــم (٢) .

---

(١) تقع واحة توات الى الشمال الغربي من سلطنة برنو وكان سلاطيـــن برنو يطلبون مساعدتهما هذه الشدة .

Hodgkin,T.: Nigerian perpsectives. P. 80. (1)
Hogkin,T.: OP. Cit. P.P. 80 - 81. (2)

وهذه الرسالة تدل على أن العلاقات بين برنو ومرابطي واحة توات قديمة وثابتة وأن أسسها قائمة على الاسس الاسلامية السليمة . وكانت برنو تديـــن في ذلك العهد لمرابطي توات بالكثير لقيامهم بنشر العلم والمعرفة في ربـــوع البلاد . وهذه الرسالة تدل على العلاقات الطيبة بين برنـــو وبينهم (١) .

ولقد كان السلطان علي غازي هو أول سلطان يطلب مساعدة سكان توات في عام ١٤٧٨ م وذلك لمساعدته ضد البلاله . وأيضا يطلب منهم أن يخصوا بزيارة بلاده (٢) .

وأن أســـلاف السلطان قاضي قد عقدوا معاهدات صداقة وحسن جـــوار مع هؤلاء القوم وحده واحة توات قد أرتبطت بعلاقات طيبة مع برنو لفترة طويلة (٣) .

وأنه قبل نهاية القرن السادس عشر الميلادي فان امارة كاتسينا وبعـــض امارات الهوسا الاخرى . أصبحت تابعة لبرنو واستمرت على تلك الحـــال أكثر من مائتي سنة . وليس هذا فقط بل أن برنو في القرن الثاني عشـــر كانت تفرض سيطرتها على شمال شرق امارات الهوسا وكانت تحكم امارة كانـــو .

~~Hodgkin,T.: OP. Cit. P.P. 80 - 81. (١)~~

Hodgkin,T.: ibid. P. 81. (٢)

Palmer,R.: The Bornu sjata and sudan.P. 224. (٣)

cooley,W.: The Norgo land of the arabes. P. 128(3)

إمارة البوكين وكانت قد دخلت تحت سيادتها وأيضا فان امارة زاريا zaria كانت دولة مستقلة ، الا أنها أحيانا كانت تخضع لنفوذ وحمايـــــــة برنو وكان كثيرا من امراء الهوسا يخضعون لبرنو ويدفعون لها الجزية حتـــى تقدم لغزوها الفلاته في عام ١٨٠٨ (١) .

وكانت هذه الامارات قد خضعت بعد السلطان ادريس الوما وأصبحت تابعة لبرنو في كل ما يتصل بها من الامور الداخلية والخارجية ، ولكن ما يحمل الصلة والروابط بين برنو وامارات الهوسا ما تذكره وترويه الاساطير ، أن أهـــل هذه الامارات قد جاءوا من الشرق من برنو ، وأنهم أقاموا فيها فترة مـــن الزمن ثم توجهوا بعد ذلك غربا (٢) .

ويذكر صاحب كتاب انفاق الميسور " أن بلاد الهوسا يسميها السودانيون من ممالك البربر ، أهل برنو ، ويطلقوا أن جد السلطان برنو ، هـــو الذى ولد السودانيين من أهل ذلك البلد ، وأن أهل هذه الامارات السبع من ولد باو ، الذى هو مملوك سلطان برنو (٣) .

وكانت أرض هذه الامارات مسرحا للقتال بين برنو ، وسنغاى ثـــم بعد ذلك بين برنو وكبـــــى ، ولقد سعت كل من القوتين للسيطـــرة

---

(١) Bovill,E.: OP. Cit. P.P. 223 - 227.

(٢) Kupev,H.: urbonization and imngration in west Af Africa P. 40.

(٣) محمد بللو : انفاق الميسور في ذكر بلاد التكرور ، ص ٩٨ ـ ٩٩

عليها وفرض نفوذها على ذلك الجزء من السودان الغربي [1] ولكنها في أغلب الأوقات كانت تخضع لنفوذ برنـــو .

ولما يدل على وجود الروابط السياسية بين برنو وبلاد غرب افريقيا هو الموقف الذي وقفه السلطان ادريس الوما ، الذي كان سلطانا شهما ، . أيد أبناء عمومته من سغاى وهم في محنتهم اثناء دفاعهم عن بلادهم ضد الغزو المغربي ، فقام بإرسال القوات العسكرية والمعدات والمؤن والمساعدات وذلك لكي يساعدهم في وقف الزحف المراكشي القادم من شمال غرب القارة . الافريقيــــة [2] .

وفي عهد السلطان محمد بن ادريس (١٦٤٥ ـ ١٦٨٤م) والذي حاصره الطوارق من الشمال والجوكون من الجنوب الذي نجح في فـــك هذا الحصار الفاشـل ، وذلك بأن أوقع بين القوتين المحاصرتين للعاصمة برنو ، ولكنه من ناحية أخرى اعترف الجوكون كدولة لها كيانها السياســي المستقل وتبادل معها السفراء للمحافظة على العلاقات الودية والطيبة ، وضمانا لعدم قيام الجوكون بغزو بلاد برنو مرة أخرى ، وتجنبا لأسباب الاحتكاك [3] .

---

(١) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، ص ٨٤ .
(٢) عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٧٩ .
(٣) علي أبو بكر : الثقافة العربية في نيجيريا ، ص ٣٧ .

ومما لا شك فيه أنه في أثناء حصار هذه القوات للعاصمة برنسي فان هناك قوات من امارات اليوربا حيث لمساعدة برنو في هذا الحصار كذلك فانه عندما تقدمت قوات الفلاني للاستيلاء على امارات اليوربا ، فان امراءها بادروا بالكتابة الى سلطان برنو لكي يستنجدوه على هؤلاء الاعداء لانهم كانوا يخضعون لسيطرة برنو ، ويدفعون الجزية للسلطان سنويا بل أكثر من ذلك انهم كانوا يلجأون اليه كلما اصابتهم الملمات كهذه التي تعرضت لها بلادهم (1) .

---

(١) علي ابو بكر : المرجع السابق ، ص ٥٣

« د / العلاقات السياسية مع السودان »

ليس أدل على وجود علاقات سياسية بين برنو والسودان من أن الطريق الليبي كان مصدرا لكثير من الهجرات القديمة والحديثة التي تتجه الى الجنوب ثم تتسرب الى السودان .

وفي القرن السادس عشر تكونت مملكة سنار ، التي يرجح أن تكون هذه المملكة قد تأثرت الى حد كبير بملك برنو ، وأيضا بالتيارات السياسية والموجات البشرية القادمة من منطقة بحيرة تشاد الى المناطق النيلية . ولقد كانت سلطنة برنو من المراكز الاسلامية التي كان لها الفضل الاكبر في دارفور وسنار [1] .

وكانت سلطنة برنو ذات صلة وثيقة بالمملكتين اللتين نشأتا في السودان (مملكة دارفور ومملكة الفونج) إذ نجد أن سلطنة دارفور قامت على أيدي الكنجارة الذين قدموا الى دارفور من بحيرة تشاد جنوب الصحراء الليبية وربما قدموا من تونس واخترقوا برنو ، حتى وصلوا الى دارفور [2] .

وأن سلطنة برنو هي الوطن الاصلي للفونج وأن هناك رباط وثيقة تربط

---

(١) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ص ٣٥ – ٣٨

(2) Arkell, A.T.: A history of the sudan, P.P. 206 - 208)

أن دارفور ووداى كانتا خاضعتين لسلاطين برنو ، ومن بين الادلة السابقة التي ساقها اركل لهذه الصلة أن دارفور ، كانت تتبع المذهب المالكي في الفقه وهذا معناه ان الاسلام جاء من الغرب ، أى من سلطنة برنو ، والتي كانت أقرب الممالك الاسلامية القديمة الى دارفور وأن السلطان ادريس الوما ، الذى دخل في معارك مع باقرمى استطاع أن يخضع دارفور لسيطرة برنو (١) .

وفى روايات برنو الوطنية ان سلطنة سنار التى قضى عليها الاتراك عام ١٨٢١ م (٢) وأسسها شخص من سلالة سلاطين برنو ، كان قد هرب من برنو أثناء حرب داخلية نشبت بين أمراء الاسرة المالكة قبل عام ١٥٠٠ م ، وأدت تلك الحرب الداخلية الى انقسام بين افراد الاسرة الحاكمة حول ولاية العرش ويروون ذلك بأن احد ملوكهم وإسمه ماى عثمان طرفه من برنو عام ١٤٨٦ م وأنه ذهب الى كردفان (٣) .

وعلى ذلك يمكن القول ان سلطنة الفونج تكونت على أيدى ماى عثمان أ (احد ذريته ، أنه كان اول ملوك الفونج عمارة دونقس كما تقول الروايات السودانية ، فلكن عمارة هذا هو أحد ذرية ماى عثمان ، ولا سيما أنه عرفنا

---

(١) Arkell, A.T.: OP. Cit. P. 212.

(٢) المقصود بالاتراك هنا هو الفتح المصرى للسودان الذى تم فى عهد محمد علـــى .

(٣) palmer, A.J.: OP. Cit. P. 222

أن لفظ مارة يتردد كثيرا في أسماء ملوك برنو لذلك يمكن أن نفترض أن الفونج حين زحفوا على مملكة سوبا المسيحية وأسروا ملكهم بقيادة حاكم من الأسرة الحاكمة من برنو وأن هناك أفواجا من البرنويين قدموا مع هذا الحاكم ، وولوا أول الأمر على النيل الأزرق فكان يحكمه قوم من الفلك وأصبح لهم نفوذ بين الفلك ثم حاولوا تثبيت أقدامهم بين نصارى سوبا وأسسوا بعد ذلك مملكة سنار وأن لفظ الفونج يرتبط بلفظ فون Fune وهو أحد السلاطين الذين حكموا برنو (١) وأن المعنى اللفظي لكلمة فون معناه اللثام الذي يلبسه الطوارق في السودان (٢) .

وأن هذه القلة الزاحفة من برنو على مملكة سوبا المسيحية إنما جاءت من الطريق الغربي الكبير في الصحراء وأنها ربما استطاعت أن تحصل على أسلحة من تونس واستطاع ملك برنو بهذه الأسلحة النارية والدخان الذي تحدثه في أيدي القليل من جنوده أن يبسط سلطانه حيثما يريد وحيثما يمكنهم إلى المناطق التي سيطر عليها (٣) . وأن تكون لهذا السلطان الفونجية

---

(١) Palmer, A.J.: OP. Cit. P. 223.

(٢) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع : ص ٥٥ .

(٣) Arkell, A.J.: OP. Cit. P.P. 206 - 208.

وأن يحكم هذه الديار منذ عصر الاسلام حتى يومنا (1) وأن يقيم سلطانـــه بعيدا عن برنو فى هذه الأراضى السودانية بعد أن طرد من وطن آبائـــه وأجـــداده برنو (2) .

وقد ازدهرت هذه السلطنة وعظمت مكانتها وسادت المنطقة وخلقت علاقات وصلات وثيقة مع البلاد التى تقع الى الغرب منها مثل وداى وكانـــم وبرنو وأمارات الهوسا فى السودان الغربى (3) .

ومما يؤيد فى تدعيم الروابط والصلات بين السودان وسلطنة دارفــور ما تقول به الاساطير ، بأنه يوجد فى شمال دارفور قصرا ومسجدا للملك عمـــر shaw آخر سلاطين التنجور ولكن الواضح أن هذا البناء ، أقامـــه أحد سلاطين برنو فى القرن السادس عشر الميلادى لكى يكون القصر مقـــرا له ، والمسجد لكى يتخذ مكانا للعبادة (4) .

وأيضا فانه يوجد على بعد ٢٠ ميل غرب مدينة دنقلا الحديثة كما أشـــار الى ذلك دركل مدخل باب رئيسى صغير على هيئة الطراز الذى كان يستخدم فى برنو وأن القصـــر الملكى فى دار فـــور يعود لفترة هذا الاحتـــلال

---

(1) مكى شبيكة : سلطنة الفونج ، ص٦٨ .

(2) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص٦ .

(3) Mandur El Mahadi: Ashort history of the sudan. P. 54.

(4) Arkell, A.J.: OP. Cit. P.P. 191 - 192.

البرنوي لهذه البـــــلاد (1) .

وهناك اشارات الى ان ارض [illegible] قد تعرضت للغــزو من أحد امراء الشرق ربما جاء من برنو . وربما لم تكن هذه الا محاولــة لاخراج الدخلاء . وهذا يعني أن قوة المسلمين التي جاءت الغرب خلفـــت جلبت الخوف والرعب لكل القبائل التي تسكن في ارض السـودان . وأن أحد الحكام في دار وداي وشمال دارفور يعلن انه ينحدر من سلالـة السلطان محمد سلطان برنو وأن ذلك ليس مستبعد . حيث أن برنو قد ظهرت قوتهـــا في القرن السادس عشر الميلادي وسيطرت على مساحات واسعة من الارض ومدت نفوذها السياسي والعسكري حتى دارفور (2) .

وعاشت بعض القبائل مثل بني عدام وبني حلبه وغيرهم في برنو . ولقـــد وجدت بعض هذه القبائل طريقها الى كردفان ودارفور . والتي يطلق عليها اسم البقاره . وكان هؤلاء قد جاءوا من الشمال والشمال الشرقي ثم نزلـــوا برنو وواداي . واستقروا بها فترة من الزمن ثم تحركوا شرقا الى كردفان ودارفور . وأن بعض البقارة يؤكدون أن اجدادهم جاءوا من تونس الى الاقطار الواقعــة

---

(1) Arkell, A.J.: OP. Cit. P. 195

(2) Arkell, A.J.: ibid . P. 201.

الى الغرب من دارفور ، وبعد أن اقاموا بها فترة من الزمن وتمصـــــروا بالحضارة المروية بهذا الاقليم ثم اخذوا بها جنوبا الى دارفور وكردفـــان(١)

وأن عددا كبيرا من القبائل السودانية خرجت جموعها من تونس والجزائـــر ومراكش الى الاسكندرية في القرون التي أعقبت الغزوات الهلاليـــة لشمال افريقيا ، ثم رحلوا الى برنو ، فالسودان ، وقد جاءوا معهم ببعض العادات الشائعة في السودان مثل الختان والسدية (٢) .

وأن بعض العرب في برنو يطلقون على القبائل هناك اسم جعل ، وقـد قصدوا هذه التسمية في الشرق وأن بني جعيهنه ، أجتازوا في القرن الرابـــع عشر بلاد النوبة ، ثم أندفعوا جنوبا من بلاد النوبة الى شمال كردفان ثـــم منها مباشرة الى برنو وأن الكثرة العظمى من البقارة قد وصلوا الى أوطانهـــم الحالية في السودان ووداي وبرنو في اقليم نهر النيل ، وأن ملاحظة لهجـــة البقارة في برنو تدل على أنهم جاءوا من الشــرق (٣) .

وقد لعبت العناصر السابقة العلاقات الطيبة بين سلطنة عون بحيـــرة تشاد وبرنو وبين سكان السودان الشرقي ، وقد أزدادت هذه العلاقة توثقا بمرور الزمن (٤) .

---

(١) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٢٣٠ ــ ٢٣١ .

(٢) محمد عوض محمد : المرجع السابق ، ص ٢٣١

(٣) محمد عوض محمد : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ــ٢٣٣

(٤) ابراهيم طرخان : المسلمون في غرب افريقيا (مجلة اداب القاهرة) عدد ٢٢ ص ٦٤

وقد أثبتت الدراسات الاركيولوجية التي قام بها فريق من العلماء في تلال دارفور أن السودان الشرقي لم يكن بمعزل عن بقية ممالك السلك فيما على الاقل حتى حوض نهر النيجر . وقد كانت هناك علاقات مع برنو خلال العصور الماضية وأن تلال دارفور والتي كانت بها مدينة اورى القديمة كانت مقر الرئاسة لادارة كانم في دارفور (1) .

وكانت مدينة اورى هذه حلقة من سلسلة المدن التجارية التي أخذت تنتصب في فترة الامبراطورية ومن دراسة تاريخها يتضح أن دارفور يمكن اعتبارها الحلقة التي وصلت بين النيل والنيجر وهذا طبيعيا . وفي نهاية القرن الثامن عشر فان دارفور ووداي كانتا تدفعان الجزية لسلطان برنو . وأن دارفور كانت تعتبر جزءا من ملوك برنـــو (2) .

وأن الاسلام جاء من الغرب عن طريق برنو . أكثر مما جاءت عن الشرق ذلك أن بعضا من حجاج برنو . كانوا يسلكون طريق دارفور في أثناء ذهابهم للأراضي المقدسة لتأدية فريضة الحج وأن هذا الطريق كان معروفا لحجاج السودان الغربي منذ أزمنة طويلة وقد يكون هذا الطريق أسهل من استخدام طريق طرابلس

---

(1) شريف محمد شريف : توطين العناصر الافريقية في السودان . مجلة آداب القاهرة . عدد ٢٤ . ص ٢٠ .

(2) شريف محمد شريف : المرجع السابق . ص ٢١ – ٢٢ .

ـ مصر . وأن الرحلة بين دارفور ـ برنو ترجع الى العصور الوسطى ومن المحتمل أكثر بعدا من ذلك (١) .

ولا بد أن يكون لوقوع دارفور . وسط الاقليم لمختلف المؤثرات السلالية أثر واضح في التكوين البشرى للاقليم . ذلك أن هذا الاقليم الذى يعتبر أساسا من أسس الممالك السياسية في برنو وقد خضع لمؤثرات سياسية كان لها الأثر الاكبر في دارفور . أن لم يكن في كردفان (٢) .

بل أن هناك آراء تقول أن دارفور ترجع في الاصل الى العرب الذين قدموا من السودان النيلى ومن مراكز وجودهم وتغلبوا على القبائل التى تسكن الصحراء وفرضوا نفوذهم عليها وأن هذه الموجات . أتت عبر المسالك الصحراوية الى برنو ثم الى دارفور (٣) .

ولكنه في أوائل القرن التاسع عشر كان بوركهارت يذكر أن الممالك بين شرق السودان وغربه لم تكن من الصلة الوثيقة . وأن هناك قلة من أهالى برنو الذين يقصدون الاراضى المقدسة يسافرون عن طريق بحر الغزال الى دارفور رأسا . وأن الرحلة من دارفور الى برنو تستغرق خمسة وعشرين الى ثلاثين يوما وأن الدروب التى تسلك لا يكاد يجد المسافر فيها أثر للماء فيه وأن هـــذا

---

(١) Lewis,L.M. Islam in Trapical.P. AfricaPP. 45.

(٢) محمد عوض محمد : السودان الشمالى . ص٢٦٣ .

(٣) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل . جـ ٢ . ص٢٥٢ .

هذا الطريق قد هجر لفترة طويلة بعد أن كان طريقـاً هاماً من مواصـل البلدين دارفور ومصـر [1] .

ولقد كانت القبائل العربية كما سبق الاشارة الى ذلك ـ وتحركاتهـا في السودان الشرقي الى برنو أكبر دليل على وجود روابط سياسية بين البلدين وأن هذه التحركات جعلت دارفور أكثر صلة بالاقاليم الغربية منها بالاقاليم الشرقيه وأن بعض القبائل كانت تنتقل من السودان الشرقي الى السودان الغربي ومن السودان الغربي (برنو) الى السودان الشرقي وأنها كانت تعتمد في تنقلاتهـا على الجمـال [2] .

وبهذا يمكن القول أن السودان الشرقي وخاصة دارفور ، ويبدو أن قد ارتبطت مع برنو بروابط سياسية قوية وأنه كانت هناك اتصالات دائمة بيـن السلطنتين اللتين في الطرفين التي كانت تقف بينهما وداي وباجرمي ، حائلـة دون وجود هذا الاتصال وقد أشار الى ذلك بوركهارت بأن العداء بيـن برنو ووداي ، حال دون وجود سكان برنو في السودان أو أي سكان من الاقاليـم التي تقع غرب باجرمي [3] .

---

(١) بوركهارت : رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان ص ٥٦ .

(٢) محيي الدين خليل : لغة البقارة في غرب السودان (رسالة دكتوراه ـ آداب القاهرة) ، ص ٢٣ .

(٣) بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٢٧٠ .

ثانيا : العلاقــــات الثقافيـــــة

أ- العلاقات الثقافيــة مع مصــــر

كانت مصر بسبب مكانة الازهر ، مقصد لطلاب العلوم العربية والثقافـــات الاسلامية من شتى أنحاء العالم كما كان الازهر مصدر الدعوة الاسلامية الى مختلف الشعـــوب ، وأن علمائه ، قد أسهموا فى جميع المعارف والعلوم ، ومنـــذ مستهل القرن الخامس عشر الميلادى ، اتخذ فريق من العجم والزيالعـــة والمغاربة وأهل ريف مصر ، الازهر سكنا لهم ، وقام كل فريق من هؤلاء الطلاب فى مكــان خاص به أطلق عليه اسم رواق ، وأصبح الازهر منذ ذلك الوقت عامرا بمجالـــس الوعـــظ (1) .

وكثرة الاروقة داخل الازهر وكان من بين هذه الاروقه رواق برنو ، وهــــو داخل رواق الجبرت وطلبته عشرة طلاب وكان طلبة برنو ضمن الطلاب الذين يقيمون بالاروقه والذين يبلغ عددهم ٢٥ طالبا ، معظمهم من الشريعة

وكان رواق البرنية يقع فى زاوية الرحمة المنقولة خارج باب الاتراك بيـــن رواق الاتراك ورواق السليمانية ، وأن الامير عبد الرحمن كتخدا جدد رواق الفيوميين (2)

---

(1) وزارة الاوقاف وشئون الازهر : الازهر تاريخه وتطوره ، ص ٤٥ .

(2) سليمان الزياتى : كنز الجوهر فى تاريخ الازهر ، ص ١٠٣

وكان طلاب الاقطار الخارجية ومنهم طلاب برنو ، يأتون الى الازهر وهم كبار السن ، فوق العشرين سنة ، وأكثرهم لا يحفظ القرآن وكثيرا منهم يكون قد طلب العلم في بلاده قبل قدومه الى الازهر في مصر [1] .

وبالاضافة الى الطلاب البرناويين الذين كانوا يدرسون في الازهر ، نجد أنه قد استقر في مصر ، طوائف من بلاد التكرور لتشهد حلقات العلم بالجامع الازهر وتسمع من شيوخه المبرزين امثال ابن الجوزي وابن حسان وغيرهم وكذلك لجأ بعض الوافدين على مصر منهم الى الانقطاع للعبادة وللالتحاق بالطرق الصوفية واشتغل البعض الاخر بالتنجيم وضرب الرمل ، وبات فقراء التكرور في مصر ، موضع العطف والرعاية من السلاطين [2] .

وأن الطلاب الذين تعلموا في الازهر ساهموا بنصيب كبير بعد عودتهم الى برنو في شتى نواحي الحياة الثقافية والفكرية والسياسية والدينية والاجتماعية بل والاقتصادية [3] .

وقد نمت العلاقات الثقافية بين مصر وبرنو ، بل أكثر من ذلك أن ، هذه العلاقات بدأت تزدهر في العصر المملوكي ، وذلك لان العصر اشتهر بأنه من أزهى عصور مصر الاسلامية وأصبحت مصر بحق زعيمة العالم الاسلامي

---

(١) سليمان النباهي : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

(٢) حامد عمار : علاقات مصر بالبلاد الافريقية في العصور الوسطى ص ٨٠ .

(٣) محمد عبدالمنعم خفاجي : الازهر في الف عام ، ص ٦

وكان لهذا اثره الكبير في الادب والعلم وقامت في مصر نهضة علمية كبيرة وانتشرت كتب العلماء المصريين في البلاد الاسلامية شرقا وغربا ، ووصلت بعض هذه الكتب الى بلاد برنو (١) .

وتركت مصر اثرها واضحا في عادات برنو ، اذ نجد أن العادة التي جرت في برنو في وقت الفيضان حيث يفيض النهر الذي يخترق اقليم برنو ، أن يأمر الملك بجارية مزينة بأفخر الثياب فيلقى بها في مجرى النهر وهذه العادة إن صحت روايتها تدل على بقاء تلك العادة المصرية القديمة في تلك المنطقة (٢) وقد أيدها ما جاء في انفاق الميسور تلك الرواية فقال عن أهل برنو أنهم يفعلون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل في مصر ايام الجاهلية (٣) .

ويرى الكاتب أيضا أن الحجاج السودانيين في ذهابهم لمصر لم يكن لعبوره النهر أو العبور للاراضي الحجازية ، بل لاحساسهم العميق بأهمية مصر في حياتهم ، ذلك أن لمصر وجهه حضاري مشرق ، لذلك قصدها الحجاج مشرقين لمشاهدة ذلك المركز من جميع جوانبه الفكرية كانت مصر وسيطا حضاريا وتجاريا بين تلك البلاد الافريقية ، ومناطق اخرى من العالم ، ولا شك

---

(١) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول ،
(٢) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ص ١٠٤ .
(٣) محمد بلو : انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، ص ٢٩ .

في أن أهالي تلك البلاد قد استفادوا من تفاعل الحضارة العربية الاسلامية بالحضارات الاخرى وإلى جانب هؤلاء الحجاج فقد شهدت مصر وبلاد السودان النيلي والاوسط بالروابط الثقافية والفكرية (١) .

ولقد كان للتجار الكارمية دور هام في العلاقات الثقافية بين مصر وتلك البلاد . ذلك لانهم كانوا اداة طيبة لنشر جانب من الثقافة العربية . فضلا عن نشر اللغة العربية . وأنها وأيضا مما زاد الروابط الثقافية . وهضم الثقافة العربية في بيئتها . أنها كانت تجاور مصر من ناحية الواحات وكان اتصالها بمصر تأكيدا لروح الاخوة الاسلامية وأستفادت من الخبرات الثقافية والعلمية (٢) .

بالرغم من أن هدف أولئك التجار الكارمية كان نقل منتجات بلادهم وما يسد حاجتها الضرورية الا أنهم فضلا عن ذلك رسلا للحضارة والمدنية . فالعمل التجاري كان يتطلب الاحتكاك بأهل البلاد . ومن ثم تنقل الوان من الثقافة العربية اليهم من ناحية أخرى . ويرجع أولئك التجار الى بلادهم بانطباعات معينة عن الحضارة العربية ومزايا حضارتها وبهذه الطريقة يصبح التفاعل

---

(١) سر الختم عثمان : علاقات مصر مع السودان في العصور الوسطى ، ص ٢٠٨

(٢) سر الختم عثمان : المرجع السابق ، ص ١١ .

الثقافة أمرا ميسورا وهكذا ساعدت التجارة في تدعيم أسباب التفاهم والتعاطف الانساني بين بلاد برنو وبلاد شمال شرق القارة . ولا بد أن نذكر أن الصلة المباشرة بين الطرفين وجدت تعبيرا حيا وصادقا . حيث أن رجال برنو اتصلوا برجال الدولة في مصر وأيضا العلماء . ويدل ذلك على أن مصر ، احتلت المركز العلمي المعظم بعد اعتداء المغول على الوطن الاسلامي واستيلاء المسيحيين على الاندلسيين حتى انه أصبحت مصر كعبة العلم والعلماء [1] .

ولقد تكررت زيارة سلاطين برنو الى مصر ومرورهم بها أثناء ذهابهم لتأدية فريضة الحج وبذلك فان صلة مصر ببلاد برنو قد توطدت وظهر أثر الثقافة المصرية الاسلامية في بلاد برنو سواء كتب المالكية وتشجيع ارسال البعثات الطلابية الى مصر . وكان المتعلمون يعودون من مصر ليحتلوا مراكز القيادة في بلادهم فكان منهم الائمة والقضاة والمعلمون في المدارس والمساجد ولم تقتصر تلك النهضة التي يحملها هؤلاء العلماء على الجانب

---

(١) سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، ص ١٤١ .

النظرية بل تعدتها الى الجوانب العملية بعد وأن الطلاب استفادوا كثيرا من الحياة العلمية والتعليمية فى مصر خلال القرن السابع عشر الميلادى الى درجة أصبحت فيه بعض المدن السودانية فى حياتها العلمية صورة مصغرة للمجتمع المصرى . ونستطيع أن نلمس هذا الاثر فى النظام التعليمى حيث يشير السعدى الى قيام حلقات الدرس التى يجلس فيها الطلاب حول معلميهم لتلقى العلم والمعرفة . وكان نظام الحلقات العلمية هو نظام الدراسة المتبعة وقت انشاء الجامع الازهر (1) .

وكذلك وصلت مؤلفات العلماء المصريين الى هذه البلاد ومنها مؤلفات السيوطى وغيره من العلماء المصريين وقد ذاعت هذه المؤلفات فى تلك البلاد وكان الوافدون من تلك البلاد الى الجامع الازهر يتعمقون فى فقه المالكية وأنشأوا فى مصر مدرسة لتعليم مذهب مالك بالفسطاط (2) .

وكانت مدرسة بنى رشيق هذه ضمن مدارس القاهرة . وهى مدرسة للمالكية ولها فى بلاد التكرور سمعة عظيمة . وقد بناها بنو رشيق . وبعثوا اليها المال من جهتهم فى كل سنة . وأوقافها ضعيفة . ودرس بها الشيخ الامام علم الدين بن رشيق الحلبى حين وفاته تدريسا وإمامته . ثم اشتهر

---

(1) عبد الرحمن السعدى : تاريخ السودان ، ص ٢٦ .

(2) حسن أحمد محمود : الثقافة العربية فى أفريقيا ، ص ٢٥٨ .

فيها بعد ، وقد ، قاضي القضاة ، زين العابدين ، وكان التكارير اذا قدموا من بلادهم قاصدين الحجاز ، قبل ذهابهم ينزلون عند القاضي ، علم الدين بن رشيق ، في داره عند حمام الريس ، قد دفعوا اليه مالا عمر به المدرسة ودرس بها (1) .

كذلك فانه من خلال الوثائق التي نشرها بالمر والمحررات التي حواها كتابه يتبين عمق العلاقة الثقافية التي ربطت مصر ببلاد برنو ، ومن رحيل بعض العلماء من برنو الى الجامع الازهر وحججهم الى مكة وزيارتهم بغداد ، ثم عودتهم الى بلادهم واشتغالهم بالعلم وتعليم الحديث والتفسير وشرح الايات القرآنية الكريمة ، والافتاء في المسائل الدينية التي تهم الرعية (2) .

كذلك كان بعض علماء مصر قد رحلوا الى برنو وقاموا بالتدريس لابنائها ومنهم جلال الدين السيوطي ، اذ نجد أنه يذكر في ترجمته عن نفسه " أني زرت بلاد اليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور (3) " .

ومن ذلك فانه يمكن القول أن مصر لم تكن بمعزل عن بقية القارة الافريقية وما يجري فيها ، انما كانت تؤثر في البلاد الافريقية وتتأثر بها وخاصة تلك البلاد التي كانت تجاورها جغرافيا ، وظهر ذلك واضحا

---

(١) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ص ٦٦ .

(٢) palmer;R.: The Bornu shera end suden.P. 35.

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة جـ ١ ، ص ١٦٠

في برنو ، وهو أعد شيوخا بين الجماعات الاسلامية التي تعيش في برنو .

وقام أحد التجار الذين كانوا يسكنون القاهرة وهو برهان الدين المحلي ، ببناء مدرسة الى جانب قصره لتستقبل طلبة العلم في ذلك الوقت وساهم بدور فعال وهام في تعميق الاثر الثقافي في مصر في ربط بلاد برنو بالثقافة العربية الاسلامية في مصر (١) .

وكان من أثر الثقافة العربية ، أن انتشر الاسلام انتشارا واسعا في بلاد برنو وانتشرت الحركة الاسلامية في جنوب البلاد ، وأدت دعت القبائل الوثنية الى اعتناق الدين الاسلامي ، بدافع من مجاورتها للعرب ، وبسبب تمسك العرب بدينهم الاسلامي تمسكا شديدا وتأثرهم بالثقافة العربية المتجددة ، القادمة مع الحجاج والتجار من مصر (٢) .

---

(١) صبحي لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى ، المجلة التاريخية ، ص ٩١ .

(٢) ابراهيم صالح : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم – برنو ص ٢٠٢ .

العلاقات الثقافية • دول الشمال الافريقي

اتصل أهل برنو ببلاد المغرب اتصالا وثيقا ، واستفادوا من المراكز الثقافية الاسلامية في تلك البلاد وقد كانت هذه الاتصالات ثقافية وتجارية ودينية ومن جراء هذه الاتصالات أن الثقافة العربية التي سادت في تلك البلاد قد غلب عليها طابع الثقافة المالكية الرئيسية ، وكانت كلها تقريبا تدور حول فقه مالك والعلوم المساعدة الاخرى ، التي تخدم هذا الفقه وتساعد على فهم هذه الثقافة المالكية التي ازدهرت في القيروان .

وعلى هذا فانه قل أن يوجد مذهبا في تلك البلاد الا مذهب الامام مالك ولا فقه الا فقه الامام مالك فقد كان من جراء هذه العلاقات الثقافية التي ربطت بلاد برنو بالمغرب ، أن كان الفقهاء مالكيون في حياتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وآدابهم وفي دينهم ، والشعوب مالكية تتأثر بهؤلاء الفقهاء ، وقد كادت مدارس الثقافة الاسلامية أن تكون مذهبية بحته فكان هذه المدارس في فاس أو القيروان أو طرابلس (٢) .

وكذلك حتى طريقة الكتابة نفسها تأثرت بالطابع المغربي فالقلم المغربي المستخدم في الكتابة هو القلم المغربي ، وحتى نقش المصاحف والكتب المتداولة

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٦٧ .

كانت الكتب المالكية المغربية تدرس في مدارس برنو أي أن سكان

غرب افريقيا الاسلامي أو قسم منه . كانت الثقافة في برنو ثقافة مغربية في

أرض سودانية . ومما عمق الروابط أن جامع الزيتونة في تونس صار له

صيت ذائع في الاقطار الافريقية (١) .

وليس هناك شك في أن طلابا من برنو قد رحلوا الى بلاد المغرب

لتلقي العلم في مساجد فاس والقيروان أو طرابلس والزيتونة . وذلك لأن بلاد

المغرب كانت فيهما أصيلا للثقافة العربية . فقد نزحت بعض القبائل المغربية

الى تلك البلاد . وأنه ربما قد رحل معها عددا من العلماء الفقهاء

كانوا نواة لأفواج أخرى من المغاربة . لحقوا بهم في أوقات مختلفة وأيضا

فان هؤلاء العلماء الذين هاجروا من شمال افريقيا الى بلاد السودان الغربي

والاوسط ، اثروا في طبقة سودانيين . لأن لمذهبهم . مذهب مالك

المالكي وأن كثيرا من هؤلاء المعلمين الذين انتشروا في بلاد

برنو . قد تعلموا في مساجد القيروان . وفاس . ويقال أن أكثر من الف

داع من دعاة الاسلام يغادرون طرابلس كل سنة للعمل في نشر الاسلام

في بلاد السودان ولا شك أن عددا من هؤلاء الدعاة قد وصل الى برنو

---

(١) السعودي : الخلاصة النقية في امراء افريقية . ص ٦٤ .

وأن بعض الطلاب كان يشق طريقه سيرا على الاقدام الى هذه المراكز الاسلامية في الشمال الافريقي ، فاذا انتهوا من دروسهم في الدين والثقافة الاسلامية ، صار كثيرا منهم دعاة بين اهالي بلادهم الوثنيين ، بل يقوم هؤلاء في المدن التي يستقروا بها بانشاء المدارس التي يتلقى العلم بها ، أطفال الوثنيين والمسلمين على السواء (١) .

وقد ظهر في بلاد المغرب عدد من علماء برنو ، نبغوا في تعليم العصر النبوي وفي رواية الاخبار وفي الفقه في الدين الاسلامي ، بل أكثر من ذلك كانوا حجة في المسائل الدينية ، ولا يقلون شأنا عن زملائهم علماء المغرب الذين ارسلوا عليهم وتعلموا منهم اصول هذه العلوم (٢) .

وهذا دليل على وجود روابط ثقافية بين بلاد المغرب ومملكة برنو أننا نجد أن لقب سلطان برنو والذي كان يلقب بالماي ، وهو يعني السلطان قد تكون له علاقة بالمسطباي الذي كان يطلق على سلطان تونس (٣) .

وكان طلاب برنو الذين يدرسون في بلاد المغرب ، يحضرون معهم عند عودتهم الى بلادهم كثيرا من الكتب الدينية وأن بعض هذه الكتب نسخوها في بلاد المغرب (٤) .

---

(١) أرنولد : الدعوة الى الاسلام ، ص٢٩٨ .
(٢) عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الغربي ص ١٠٢
(٣) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٤٩
(٤) Hogher,S.J.: The Muhammaden onivtes of Nigeria.P.197

فيما دعم العلاقات الثقافية ، وجود العلاقات التجارية ، وطرق التواصل السهلة بين بحيرة تشاد وطرابلس عن طريق فزان ، فإنها كانت عاملا هاما في نشر الثقافة العربية الإسلامية ، وأيضا فإنه لما انتقلت القيادة السياسية للبلاد من كانم إلى برنو ، أصبحت برنو مركزا لسلطنة إسلامية عظيمة ، وذلك بسبب انتشار القبائل العربية ، مثل قبيلة الشوا وغيرها من القبائل العربية التي تلك المناطق ، ذلك أن هذه القبائل لم تكتف بإدخال الإسلام إلى تلك الديار بل طبع البلاد بطابع عربي وذلك بنشر اللغة العربية [1] .

وفي عهد السلطان ادريس الوما ، فإن السلطان المنصور سلطان المغرب الأقصى ، أرسل له صورة من البيعة والخطبة باسم أمير المؤمنين سلطان المغرب ، والدخول في طاعته وبما يكون قد أرسل بعض العلماء المغاربة مع رسل السلطان ادريس لتعليم الناس أمور الدين الإسلامي الصحيح والبعد عن الخرافات [2] .

على أن تأثر ثقافة برنو بثقافة المغرب لا تعني أن جزء الثقافة الـــل فوارة ومعينا من ثقافة المغرب ، فالعلماء والفقهاء من أهل برنو ، والذين تعرضت لهم كتب التراجم ، لا يقلون في مستواهم وتحصيلهم عن إخوانهم

---

(١) إيفان هربرت : الديانات في إفريقيا السوداء ، ص ٢٣١ .

(٢) السلاوي : الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ، جـ ٥ ، ص ١٠٥–١٠٦

المغاربة ، فقد عملوا على نشر التعليم ودرسوا في نفس المدارس ، وبرزوا في ميدان الثقافة ، ويلاحظ أن المراكز الثقافية التي قامت في برنو ، [illegible] إلا أنها كانت على اتصال وثيق ببلاد المغرب والجزائر وعبر طرابلس . كان علماء المغرب دائبي الرحلة إلى بلاد برنو وأن هذا الاتصال كان من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام وفي تطور الثقافة الإسلامية في برنو [1] .

ويلاحظ أن التأثير المغربي لم ينقطع أبدا طوال العهد بالإسلام ، وكانت الجماعات الإسلامية في شمال السودان تقوم بدورها في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في المناطق الواقعة إلى الجنوب ، وكان هذا الاتصال والتأثير واضحا وقويا ذلك أن إقليم فزان وطرابلس لم يكن بعيدا عن بلاد برنو ، أكثر من مسيرة أسبوعين بها ، وعبر هذا الطريق اتصل المغرب بالسهل الخصيب الواقع جنوب الصحراء اتصالا وثيقا ذلك أن المسلمين قد أصلحوا طرق الواحات وحفظوا القوافل وأمنوا الطرق فبدأ المغرب الإسلامي يؤثر بثقافته وحضارته وسياسته [2]

وكانت برنو حريصة على الاتصال بالمغرب الإسلامي وليس ذلك فقط بل حريصة على الاتصال بالعالم الإسلامي كله .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٠١ .

(٢) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

ولقد ظل علماء وفقهاء يرون أمثالهم فقهاء المغرب في زعامة المجتمع في الدفاع عن حقوق الناس ، والثورة على الظلم والمجاهرة بنقد الحكام وكان هذا حال الفقهاء يرونه عندما تفشت الأوبئة في البلاد (١).

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٢٥ .

جـ / العلاقات الثقافية مع غرب افريقيــــا

للحديث عن العلاقات الثقافية بين بلاد برنو ، وبلاد غرب افريقيا ، لابد من أن نبين الدور الذي لعبته مدينة تمبكتو وجنى في نشر الثقافة العربيـــة في برنو ، ذلك لان مراكز برنو الثقافية قد نمت وازدهرت في ظـــل الامـــن والطمأنينة ، ومن خلال عمل سلاطين البلاد على تشجيع الحركة العلمية فـــي البلاد ، ودعم الروابط بين برنو والمراكز الاسلامية المختلفة في غرب افريقيـــا وارسال الطلاب والعلماء للتزود بالعلوم الاسلامية [1] ، وذلك لان تمبكتـــو وجنى أصبحت مكانتهما الثقافية لا تقل عن مكانة القيروان في افريقية أو في فـا س في المغرب الاقصـــى أو قرطبة في الاندلس والقاهرة في مصر .

ذلك أن تاريخ الثقافة العربية الاسلامية في هذا العالم الافريقي ، قد ارتبط بتاريخ مدينة تمبكتو ، فقد كانت هذه المدينة بحق مركز الثقافـــة وقلب الحركة الفكرية النابض ، اجتمع فيها العلماء من كل لون وجنس ، فنجد المغاربة والاندلسيين والمصريين والحجازيين وفد اليها الناس من كافـــة غرب افريقيا ، في السنغال والنيجر ، وامارات الهوسا وبرنو وكانم والسودا ن وكل هذه الطوائـــف كانت تذهب الى هذه المدينـــة لتقيم فيها وتنشـــا

---

(١) حسن محمود : نفس المرجع ، ص٢٣٢ .

ثم ترحل او تقيم اقامة دائمة (1) . وكانت الكتب تحمل اليها من مختلف جهات العالم الاسلامي . ثم تنسخ وتباع في المدينة الامر الذي كان يزيد الحركة الفكرية تدفقا وبذلك فان تمبكتو لم تكن مدينة منعزلة الطابع . إنما كانت على صلة اتصلت بالهيئات الاسلامية المعاصرة ويرحل اليها الطلاب البرنوية طلبا للعلم وحبا فيه وتحصيلا للكتب والبحث ودراسات الاسلامية والافكار الدينية . ونجد أن الكتب التي كانت تدور حول فقه مالك والتي كانت تدرس فيها كانت تدرس ايضا في مدارس برنو . وفي أي مكان تسرب اليه الاسلام . أو فقه مالك ومن هنا فان العلاقات الثقافية التي ابتدعتها برنو مع غرب افريقيا قد توطدت وزادت . وذلك في الوقت الذي كانت فيه اوربا تعيش في العصور الوسطى (2) .

وبعد سقوط الاندلس نرى ان العلماء رحلوا الى غرب افريقيا ، وأقام عدد منهم في تمبكتو وحدث أن بعضا منهم رحل شرقا الى برنو . وقالوا بأنه يسري الوسط على أنه مهما يكن فان مدارس برنو لم تصل مطلقا الى منزلة تمبكتو وكان ذلك هو الدافع في أن يرحل طلاب البرنو اليها . وبعد أن يكونوا قد حفظوا أجزاء من القرآن الكريم في مدارسهم (3) .

---

(1) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٧٣ .

(2) صلاح صبري : افريقيا وراء الصحراء ، ص ١٦٣ .

(3) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٧٢ .

وكانت أوضاع المراكز الثقافية تتأثر بالأحوال السياسية كما تأثرت تمبكتو . فانه عندما تكون الدولة قوية فان هذه المراكز الاسلامية تزدهر وتمارس نشاطها الطبيعى فى نشر الافكار والثقافة الاسلامية . أما اذا كانت الدولة فى حالة من الضعف فان هذه المراكز تنكمش ولا تستطيع أن تؤدى رسالتها علــــى خير اداء .

وفى ذلك فانه بعد تدمير تمبكتو على أيدى المراكشيين عام ١٥٩٠ ميلادية أخذ ما اشتهرت به الثقافة العلمية التى كانت تنبع من تلك المدينة فى الذبول . ويصل جنى ضوء الثقافة الاسلامية . وقد ترك ذلك أثره على الحياة الثقافية والعلميـــة فى برنـــو (١) .

وكان من أثر الغزو المراكشى لسنغاى أن رحل بعض رجال العلـــم الى برنو بعد أن حملوا معهم كتبهم . وذلك لكى يحتفظوا بها . وأيضـــا فانه عندما هزم الاتراك مماليك مصر . فقد كانت هذه ضربة قويـــة للحضارة الاسلامية العربية فى برنو ومن ثم فان الحضارة العربية الاسلاميـــة فى بلاد السودان بدأت تضمحـــل .

وقد كانت برنو . ومالى وغانا من أهم مراكز الحضارة السودانية ولكنهـــم

Hoghengs S.J.: The Mahammeden emirtses of Nigeria (١)
P. 39.

Ward, E.W.: A history of Africa P.P. 74 - 79. (٢)

متنقلين من حضـــارة العرب في الشمال وحضارة الزنوج الافريقية في الجنوب . ولقد أثرت برنو تأثيرا قويا في حضارة السودان الاوسط وأصبحت تشكل ارتباطـــا ثقافيا قويـــا (١) .

وتركت برنو أثرا حضاريا اسلاميا قويا في امارات الهوسا . ذلك أن كثيرا من العلماء الذين عاشوا في برنو . قد رحلوا الى امارات الهوسا . وأحضـــر هؤلاء العلماء معهم الكتب الدينية والمهارات والكتابة العربية . والخط البرنوى الى امارة كانو وغيرها من امارات الهوسا التي خضعت لنفوذ برنو السياســـى ولاسيما الامارات الشرقية منها والتي تأثرت حضاريا وثقافيا ببرنـــو (٢) .

ولكن هذا التأثير الاسلامي القوى لبرنو في امارات الهوسا الشرقيـــة قد أزداد قوة في القرن السادس عشر الميلادى وذلك أثر خضوع هذه الامارات لسلطة برنو السياسيـــة . ومن هنا فان برنو استطاعت أن تدعم تأثيرهـــا الثقافي بعد أن دعمت نفوذها السياسي (٣) .

وجاء أيضا العلماء الى برنو من مالى وسنغاى والاقاليم الشرقية وجـــاء اليها ايضا من بلاد الفلاته وأشار الى ذلك صاحب كتاب أنفاق الميسور قـــا ل لقد حضر عدد من العلماء الى برنو في عهد السلطـــان عمر بن حســـام منهم

---

(١) shin nie ,M.: Ancient African Kinggams.P. 70.

(٢) Halt, : The calbridge history of slam vol. 2. P. 357.

(٣) مصطفى مسعد : الاسلام وحركة الفلاته الاصلاحية في غرب افريقيا ص٢٥.

الشيخ الولي بن الجرمي ، والأستاذ الحسن والحسين وغيرهم جمع كبير من أتباعهم وقد حدث هذا في عهده ، ظهر النشاط الثقافي حول هذا العالم وتلامذته (1)

كذلك فقد كان للتجارة التي كانت قائمة بين بلاد غرب القارة الأفريقية وبين برنو آثارها في تشجيع الحركة العلمية في البلاد ، إذ نجد أن العلماء والطلاب ، لا يقدر لهم الذهاب إلى تلك البلاد إلا بصحبة القوافل التجارية وأيضا فإن المتاجرة والاحتكاك والكتب الإسلامية والمساجد تركت أثرا كبيرا في تبادل المعرفة بين غرب أفريقيا وبرنو (2) .

وأن كثيرا من الحجاج كانوا يأتون من الأقاليم الغربية حتى تمكنوا أن يمرون ببلاد برنو وهم في طريقهم لتأدية فريضة الحج (3) .

ولا شك في أنهم كانوا ينتظرون بعض الوقت في تلك الديار حتى يتم تجهيز قافلة الحج التي كانت تمضي كل عام من برنو قاصدة الأراضي المقدسة في الحجاز ولا شك أيضا في أنهم قد تزودوا بالثقافة الإسلامية الموجودة في ذلك الوقت في برنو .

---

(1) محمد بلو : إنفاق الميسور في ذكر بلاد التكرور ، ص ٧

(2) إبراهيم طرخان : الإسلام واللغة العربية في غرب أفريقيا : مجلة آداب ، القاهرة ، عدد ٢٢ ، ص ٥٢ .

(3) بوفهارت : نفس المرجع ، ص ٣٢٢ .

ولنستدل على دور برنو الثقافي وصلتها الوطيدة مع بلاد غرب افريقيـــــا من اننا نجد أن الحاج عمر ، والذي لعب دوراً هاماً بارزاً في تاريـــــخ السودان الغربي ، وفي منطقة السنغال بالذات ، أنه أثناء ذهابه لتأدية فريضـــة الحج الى مكة وأيضـــا أثناء عودته الى بلاده ، والتي استغرقـــت بضع سنوات ، فانه قضى فترة طويلة من الوقت في برنو وتزود بالعلـــوم الدينية ، ودرس الكتب الموجودة في برنو واطلع عليها وتلقى علـــى أيدي علماء برنو بعض التعاليم الاسلامية الصحيحة ، وربما يكون قد أخـــذ معه بعض الكتـــب التي تم نسخها في برنو (1) .

Trimingham, J.S.: A history of islam in west Africa p. (1)
181.

((د / العلاقات الثقافية مع السودان))

اذا كانت برنو قد بسطت نفوذها السياسي على بلاد السودان ، وخاصة الجزء الشرقي منه في بعض فترات التاريخ وخاصة في القرن السادس عشر الميلادي فمما لا شك فيه أن هذا النفوذ السياسي قد ترك تأثيرا ثقافيا قويا على بلاد السودان ولا بد أنه قامت صلات ثقافية قوية بين البلدين .

وقد تمثل ذلك في التأثير اللغوي ، اذ نجد كلمة الفاشر ، وهي أحدى مدن غرب السودان الهامة وهي اسم لمدينة مشتق من لغات اقليم البرنو ، وأيضا فان التأثيرات العربية التي انتشرت من ليبيا الى الجنوب ، ثم الى الشرق ، قد تركت تأثيرا قويا في بلاد السودان ، كذلك فان استخدام كلمة ميرام وهو لقب يطلق على كل بنت من بنات السلطان في دارفور ومعناه الاميرة قد أخذ عن سلطنة برنو (1) .

واستخدام لفظ الفاشر في السودان كعاصمة ، نجد أهل برنو كانوا يستخدمون هذه الكلمة بمعنى الساحة الواسعة امام قصر السلطان ، وأن تقسيم سلاطين الفور ممالكهم الى أربعة أقسام هي الشمال والجنوب والشرق والغرب قد أخذ من اقليم بحيرة تشاد ، حيث قسمت برنو بلادها الى أربعة أقسام وكذلك فان السلطة السائدة حول بحيرة تشاد هي سلطة القاضي

---

(١) التونسي : تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ص١١٦

وهي التي كان يتعامل بها الاهالي في برنو ، وأيضا تماثل بها الاهالي في دارفور (١) .

ومما ساعد على تقوية الروابط الثقافية بين بلاد السودان وبرنو أن كثيرا من حجاج برنو ، كانوا يذهبون الى الاراضي المقدسة في الحجاز عن طريق سودان وادي النيل (٢) .

ذلك أن هذا الطريق كان معروفا منذ أزمنة قديمة وقد يكون استخدامه أسهل من استخدام طريق طرابلس مصر (٣) .

وكانت برنو من أهم المراكز الاسلامية في افريقيا والتي كان لها الفضل الاكبر في نشر الاسلام والثقافة العربية في دارفور ، وسنار ، فقد عرفت بعض قبائل صنهاجة بحماسها الديني للدعوة الاسلامية وبجهودهم أثرت حركة المرابطين في قبائل السودان الزنجية (٤) .

ولقد كانت هناك علاقات مباشرة خلال العصور الوسطى بين منطقة شمال ليبيا وسودان وادي النيل ، وقد بينت الاكتشافات الاثرية ذلك ، وانتشر الدم والمعتقدات والافكار والثقافات بما جاء من شمال ليبيا الى اقليم سودان وادي النيل (٥) .

---

(١) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٢٦٨ ـ ٢٧٢ .
(٢) الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارة السودان الشرقي والاوسط ، ص ٤٢٢ .
(٣) Lewis, islam in trapical Africa. P. 20.
(٤) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٢٠
(٥) aliver,R.: The down of African history.P. 61.

وأن السلاطين برنو وداربور من ناحية ومملكة الفونج من ناحية أخرى تفسله وثيقة توجيهها الحقائق . اذ نجد أن لقب السلطان في برنو هو الماى وهو نفسه لقب السلطان . الذى يستخدم في السودان وأن لفظ الفونج مرتبط بلقب سلطون وهو أحد سلاطين برنو . الذين حكموا البلاد . ومن المعروف أن العرب في اقليم برنو أطلقوا على القبائل غير العربية اسم الفونج . وأن الفونج في مدلول سكان وادى النيل كانت تعنى هذه الجماعات التى يسلطنها الفونج سلطانهم (١) .

وأن كثيرا من علماء الفونج يرجع أصلهم الى المغرب والاندلس ، ولكن هؤلاء العلماء الذين هاجروا من شمال افريقية الى السودان ، قد استقروا بعض الوقت في برنو . ثم رحلوا الى السودان الشرقى . والظاهر أن الفونج قد حملوا معهم من غرب افريقيا المذهب المالكى وكانوا من أوائل الذين نشروه في منطقة الجزيرة وكذلك فان طلاب من دارفور قد اختلطوا بزملاء لهم من برنو وواداى وغيرهم وتتلمذوا معا في الجامع الازهر . ولا شك أن هذا الاختلاط قد تحرك أثرا قويا في كليهما . وأنه من بلاد البرنو قد تخطت حركة الجهاد السلمى نشر الاسلام في الشرق وأن نفوذ برنو الثقافي قد وصل حتى حدود بلاد النوبة ومن ناحية فان الاسلام والثقافة الاسلامية

---

(١) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ٥٠ — ٥١ .

لابد أنها تسربت الى منطقة دارفور من سنار وبفضل هذه الرحلات [1] .

وكان السودان طريقا هاما للتجارة بين البحر الاحمر ، وغرب افريقيا وهكذا انتشر الاسلام والثقافة العربية فى السودان . ولا غرو فان التجار العرب خير دعاة للاسلام فى هذه البلاد . وما سبق الثقافة الاسلامية والثقافة العربية . فقد تم وفود اسلامية من شمال القارة . وبلاد العرب والسودان النيلى وكل هذه الوفود كان لها تأثير قوى على أرض السودان [2] .

على أن هناك أراء تذكر أن التيار الاسلامى والثقافة الاسلامية . قد اندفعت من السودان الشرقى الى الغرب نحو كردفان ودارفور ومنها الى البلاد التى تجاورها غرب [3] .

وان كان هذا الرأى لا ينفى أن التيار القوى للاسلام جاء من الغرب ، ذلك أن عرب جذام قد ساهموا بقسط فى نشر الثقافة الاسلامية العربية فى البلاد بين لانهم مضوا فيها واختلطوا بمملكة الزغاوة وسيطروا على دارفور واتخذوا من هذه المنطقة قاعدة لغاراتهم . على ما جاورهم من الاقاليم ووصلوا حتى برنو . وأيضا

---

(١) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٠٤ .
(٢) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ، جـ ٢ ص ٢٥٠ .
(٣) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣١ .

كان هناك طلابا من السودان قد جاءوا للدراسة في مدينة تمبكتو ولا شك أن هؤلاء الطلاب وهم في طريقهم الى تلك المدينة قد مروا ببرنو ، وأحتكوا بها فترة من الزمن ونالوا قسطا من الثقافة الموجودة في برنو في ذلك الوقت (١) .

ومن أجل الروابط التي ربطت بين دارفور وبرنو ، أن دارفور كانت على أيدي الكنجارة الذين قدموا الى دارفور من اقليم بحيرة تشاد وعبروا الصحراء الليبية ثم اخترقوا برنو وواداي ووصلوا الى دارفور ولا شك أن هؤلاء القوم قد أحضروا معهم بعض المؤثرات الثقافية التي تركت طابعها على الحياة الثقافية في دارفور (٢) .

وكان الشيخ السوداني حمد بن ام مريوم ، والذي شدت اليه الرحال في علم التوحيد والتصوف ، والذي بلغ عدد طلبته الف طالب جاءوا ، من دار الفونج الى دار برنو ، وبذلك كان طلابا من برنو قد رحلوا الى السودان طلبا للعلم على أحد علمائها وفقهائها ، وتقول الاساطير أنه كان يوجد في شمال دارفور مسجدا اتخذ مكانا للعبادة والتدريس (٣) .

---

(١) حسن احمد محمود ، نفس المرجع ، ص ٣٢٥ .

(٢) عبدالمجيد عابدين : نفس المرجع ص ٤٨ .

(٣) Arkell, A.J.: A history of sudan P. 191.

وأن هذا المسجد لا شك قد ساهم بدور كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في دارفور ، وأن انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية قد زاد وتوسع في السودان الغربي في عهد السلطان ، محمد بن ادريس الذي كان رجلا متدينا وعمل على توثيق الروابط الثقافية بين برنو وبلاد السودان (١) .

وأن قبائل جهينة التي هاجرت الى جنوب الهضبة ثم الى شمال كردفان واتجهت الى دارفور ، ثم منها مباشرة الى برنو ، قد تركت اثرها الثقافي والحضاري في المناطق التي مرت بها ولو لفترة قصيرة (٢) .

واستمر تأثير الحضارة الاسلامية والثقافة العربية والديانة الاسلامية في كردفان ودارفور ووداي وبرنو ، وأما واحات الصحراء وشواطئ النيجر وفولتا العليا فانتشرت اللغة العربية وتكلم بها سكان تلك الاقطار مثل العرب لانها لغة الدين والقرآن وتأثروا الى درجة كبيرة بالحضارة العربية (٣) .

وتدل القرائن على أن بعضا من عرب الهلالية قد مروا في طريقهم من المغرب الى السودان بارض برنو ، وأن هؤلاء قد أقاموا بها بضعة أجيال ثم اخذوا يهاجرون الى كردفان ودارفور ، ومن كل هذا نستطيع أن نستخلص أن السودان الغربي قد ارتبط بروابط ثقافية قوية مع بلاد برنو (٤) .

(١) Arkell, A.J.: OP. Cit. P. 213.

(٢) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص٢٣٢ .

(٣) Johnoston, H.: A history of conslisation of Africa P. 70.

(٤) محي الدين خليل الريح : لغة البقارة في غرب السودان ص ٩ .

ثالثا : العلاقات الاقتصادية

((أ ـ العلاقات الاقتصادية مع مصر))

اذا كانت الفنون الاقتصادية في خدمة العلاقات الانسانية ، فان التجارة وهي تؤدي مهمتها الجليلة في تبادل السلع وتداولها تعد مرآة تعكس اوضاع العمران الرئيسية وهذا هو ما يظهر في الدول الاسلامية المحيطة بهما وذلك لان العلاقات الاقتصادية بين مصر ومالي يترك لمصر دورا هاما في بناء الروابط وتوثيقها . فالتجارة في العصور الوسطى ، والتجارة الكارمية قد ساهموا في بناء ذلك العصر ونقلوا من الافكار والعادات فضلا عن السلع والمنتجات بين الشرق والغرب (1) .

ولقد اتيح لمصر أن تلعب دورا هاما في الاقتصاد العالمي في العصر المملوكي وأن يكون التجار الكارمية وطبقة من الدعامات الكبرى في بنائها الاقتصادي ونموه ونشاطها في الشرق والغرب وازدهرت الكارمية في مصر حتى أصبحوا أعظم طبقة تتحكم في أهم تجارة عالمية في ذلك الحين وهي تجارة التوابل وسلع الشرق وأما عن اسم الكارمية هؤلاء فاننا لم نصل بعد الى تفسير جازم لتسميتهم بهذا الاسم وقد تعددت محاولات تفسير هذا الاسم وان كان هذا الاسم مأخوذا

---

(1) صبحي لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى ، المجلة التاريخية ، العدد الثاني ، ص ٥ .

عند الكانم ، وأن هذا الاسم قد اشتهر بين من اشتغلوا بتجارة البهـار (١) .

وقد أصبح لهم في مصر ، وسائر بلاد العالم الاسلامي نواحي نشاطهـا وأسلوب تجاري معلوم وأن نشاط الكانم في افريقيا قد اتخذ مركز انطلاق آخـر غير بلادهم الاصليـة ذلك المركز هو مصـر (٢) .

وأبلغ دليل على العلاقات الوثيقة بين مصر وبلاد برنو تلك الطائفة مـن التجار الكارمية الذين هاجروا الى مصر وأقاموا بها وأشتركوا بنصيب موفور فـي تجارتها الخارجية وأشتغلت هذه الطائفة بتصريف الحاصلات السودانية وتجـارة الرقيق ومارسوا التجارة البهار من اليمن والهند برا وبحـرا (٣) .

وأن طريق التجار لاستجلاب الفلفل قديما هو بلاد الكانم ، الا أن الكارمية هم تجار التوابل وغيرها من سلع الشرق بين المحيط الهندي والبحر الاحمـر بمصر ، وأن مصر كانت السوق الرائجة لسلع بلاد السودان لا سيما بدويـة وتجاريـة (٤) .

كذلك فان خوامس التجار المصريين والمغاربة ، كانوا يرحلون كل عام الـى برنو ، وذلك لكي يقوموا بعمليات استبدال للخيول بالرقيق وأيضا الاقمشـة

---

(١) عطيه القوصي : تجارة مصر في البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى سقـوط الدولة العباسية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص٦٢ .
(٢) عبد المجيد عابدين : تبادل بين السودان الاوسط والسودان الشرقي ص١٠٢
(٣) حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، ص٢٦٠ .
(٤) ابراهيم طرخان : امبراطورية غانا الاسلامية ، ص١ ــ ١٠

القاهرة والأسلحة وأيضا للتجار في الذهب (١) .

وأن حركة التجارة كانت نشطة بين مصر وبلاد برنو ، وأن القوافل التي كانت تعمل بينها في حركة التبادل التجاري تقدر بأكثر من عشر الف جمل كانت تسلك طريق كاكا Sakedda في طريقها الى القاهرة وكانت اهم هذه التجارة النحاس الذي يأخذ منه الصحراويون والتبو والبرنو ومالي وامارات الهوسا (٢) .

وقد أصبح هؤلاء التجار الكارمية اهم طبقة تجارية في الامبراطورية المصرية ، وذلك بما أصبحوا به من أجل البقاء على نفوذها وتفوقها (٣) .

وكانت محاصيل افريقيا الوسطى وبلاد السودان الغربي مادة من مواد التجارة التي احتكرت عليها حكومة الدولة المملوكية ومنحتها للتجار الكارمية ويدعوهم بالقى الاعيان ، وكان الملح أهم صادرات تلك الجهات الى مصر ، ومهما يكن من أمر فيظهر أن تلك الطائفة من التجار لم تقتصر على محاصيل بلاد هنا فحسب بل مارسوا أيضا تجارة البهار ولعل معيشتهم الاولى ببلاد السودان الغربي ، ادت بهم على تحمل الجو في البلاد الاخرى وأن اسم الكارمية لم يقتصر على تجار افريقيا الوسطى بل شمل كل تاجر من الكانم وغيرها فحسن

---

(١) Larroy, Y.: Histore du l'empire du Bornu. P. 147.

(٢) Borill: Car ans of the old shara. P. 75.

(٣) صبحي لبيب : نفس المرجع ، ص ١٠ – ١١

يشتغلون بتجارة افريقيـــــا الوسطى وغيرها (1) .

وشهدت مصر نشاطا تجاريا كبيرا لهؤلاء التجار ، وراجت التجارة مـــع بلدان السودان الغربى وأفريقيا الوسطى ، وكان هؤلاء التجار يجلبون الى المماليك محاصيل بلادهم ومحاصيل البلاد الاخرى ، وهى التى كان الاوربيون يبذلون كل جهد للحصول عليها (2) .

ولقد أثر هؤلاء التجار تأثيرا قويا فى حياة مصر حتى أن بعض سلاطين المماليك عندما كانوا يضطرون لخوض الحروب والتجهيز لها كانوا يقترضـــون منهم الاموال وأيضا كلما أحاطتهم الظروف الى ذلك (3) وقد ساعد اتصالهم بالسلاطين ، ودفع الضرائب والتبرعات لهم الى أن توطدت أقدامهم فى ميدان التجارة الخارجيـــة (4) .

وقد وجد لهم فى القاهرة فندق أطلق عليه فندق الكارم ، وهذا الفندق هو وقف الامير عمر بن أخى صلاح الدين الايوبى ، وقد بنى هذا الفندق العظيم فى الفسطاط على نيل مصر حيث ترسو مراكبهم المحملة بالسلع (5) .

---

(1) حامد عمارة : علاقات مصر بالبلاد الافريقية فى العصور الوسطى ص ٧ ــ ٨ .

(2) نعيم زكى سليمان : طرق التجارة الدولية ومكانتها بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ص ١١٨ .

(3) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ٣ ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(4) صبحى لبيب : نفس المرجع ، ص ١١ ــ ١٢ .

(5) ابن دقماق : الانتصار بواسطة عقد الامصار ص ٤١ .

وأن هذا الاتفاق على سكن التكارير، ومنذ ذلك استقر نشاط هذه الطائفة لأول مرة داخل الأراضي المصرية، ومنذ ذلك صار طبيعيا أن ينتظم نشاطهم في مصر وأن تمتد لهم الفنادق لاستقبالهم من قوص والاسكندرية وغيرها من مدن مصر التجارية الكبرى [1] .

واتخذت هذه الطائفة مدينة قوص مركزا لهم فأصبحت سوقا تجاريا هاما لمنتجات افريقيا الوسطى والمغرب واليمن وكونوا لهم نقابة قوية هيمنت على التجارة واحتكرتها وأقاموا على نقابتهم رئيسا معترفا به من قبل الحكومة ونمت ثروة بعضهم نموا عظيما بحيث أصبحوا يقومون في عالم التجارة بما تقوم به البنوك الحديثة اليوم [2] .

وقام هؤلاء التجار بدور عظيم في مصر وتركيا بجانب سد الاحتياجات المحلية تجاريا مع امارات السودان وارتبطوا بتجارة عظيمة وواسعة مع الاسواق الاجنبية [3] .

ولقد زاد نفوذهم المالي في مصر ، وأن السلطان منسى موسى سلطان مالي عند زيارته لمصر وهو في طريقه الى الحج استدان من احد هؤلاء التجار، وأثناء عودة السلطان من الحج الى بلاده ، أرسل هذا التاجر مع السلطان وكيله ليرد الدين وفوائده [4] .

---

(١) صبحي لبيب : نفس المرجع ، ص ١٢
(٢) حسن احمد محمود : نفس المرجع ص ٢٦٠ .
(٣) شوقي الجمل : علاقات مصر بالبلاد الافريقية ، محاضرات معهد الدراسات الافريقية . ١٩٢٢م .
(٤) الشاطر بصيلي : تاريخ حضارات السودان الشرقي والاوسط ص ٤٢٢ .

وجاءت القوافل من اقاليم القارة الافريقية الى مصر وكانت تحمل هذه القوافل على الطيور والياقوت والجلود وسن الفيل والذهب والرقيق وريش النعام وبعض المنتجات النباتية (١) .

واستوردت برنو المصنوعات القطنية والحريرية والاسلحة النارية من مصر (٢) وكانت البرنو - كانم - سوقا لتبادل السلع . وانتقل اليها التجار حيث انتشروا في مختلف الاقاليم بها وكان سلاطين البرنو والاقطار المجاورة من السودان . الغربي والاوسط يتنزلون عند هؤلاء التجار عند مرورهم بالقاهرة في طريقهم الـــى الحج . وكثر تردد التجار المصريين الى بلاد برنو والتكرور وكانوا يذهبون في قوافل كبيرة وذلك لانهم كانوا قد عرفوا طرق المعاملـــة مع أهالى تلك البلاد والمسالك التي تسلكها القوافل حتى الوصول الى برنو (٣) .

وقد عملت مصر من جانبها على رعاية شئون هؤلاء التجار في البحـــــر الاحمر وبلاده واستغلالها لسلطتها على ثغر العدل حتى تحفظ لكل تاجر حياتـــه وماله وكان لهم في بلاد البرنو اسواق كبيرة قاموا فيها بنشاط تجاري واســع النطـــاق (٤) .

---

(١) Bovill,: OP. Cit. P. 257.

(٢) Urroy,Y.: Histore du l'empire du Bornu. P.149.

(٣) حامد عمارة : نفس المرجع ، ص ٥٨ .

(٤) صبحي لبيب ، نفس المرجع ص ١٢ .

ويشير القلقشندى الى أن تجارة الذهب أصبحت رائجة بين مصر وبلاد السودان ، وذلك لان بلاد التكرور كانت أهم منطقة يستورد منها الذهب الذى يجلبونه الى الديار المصرية (١)

وكان التجار المصريين يذهبون الى هذه البلاد لجلب الذهب وأنهم كانوا يمرون فى ذهابهم ببلاد برنو ، وأن نطاق التجارة المصرية قد اتسع بالنسبة لهذه البلاد فأصبح كبار التجار المصريين يمشون بممالكهم ووكالاتهم وذلك حتى جمعوا ثروات طائلة (٢) وقامت التجارة بتوثيق الصلة بين مصر وبلاد برنو فى خلال العصور الوسطى (٣) .

وأدى هؤلاء التجار الكارمية دورا هاما فى الذود عن ديار الاسلام بما قدموه من مساعدات للسلطات الحاكمة ، وبلغ هؤلاء القدرة المادية على البناء والتعمير ، فبنوا المساجد والمدارس والخوانق وغيرها بمصر كما عمروا المكية نفسها ، وبلغ من ثرائهم أنهم كانوا ينثرون الذهب والفضة على مواكب السلاطين وكانوا يتخذون الاسلام شعارا لهم التجارى ، وبذلوا جهدا فى نشر الاسلام والعلوم الاسلامية وثقافتها (٤) .

ومن هنا يمكن القول أن مصر قد ارتبطت بروابط اقتصادية مع برنو ، وساهم فى تلك الروابط التجار المصريين الذين رحلوا الى تلك الديار والتجار الكانميين الذين استقروا بالقاهرة ، وقوص والاسكندرية .

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٦٥ .

(٢) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، جـ ٥ ، ص ٢٠٢

(٣) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى ص ١٠٩

(٤) صبحى لبيب : نشر التجارة ، ص ٢٢ ـ ٢٩ .

ج/ (العلاقات الاقتصادية مع دول الشمال الافريقي)

لقد تجاوز نشاط البرنو حدود بلادهم الى البلدان المجاورة والبعيدة فامتدت دائرة هذا النشاط التجاري نحو الشمال الى بلاد المغرب وبلغ نفوذهم التجاري شأن كبير وزاد النشاط التجاري بين برنو وبلاد الشمال الافريقي بسبب الطرق الصحراوية التي تربط فيما بينهما .

وساعد التجار الكانميون على ازدهار تجارة البحر المتوسط الى حد كبير وذلك بسبب ارتباطهم الروحي والتجاري ببلاد ساحل البحر المتوسط وبما كانوا يقدمون من منتجات بلادهم[1] .

ولقد كان الدخول الى داخل القارة الافريقية حيث بلاد برنو وباقي بلاد السودان الاوسط والغربي أيضا للتجار المسلمين الذين كانوا يذهبون بتجارة الشمال ويعودون بتجارة البرنو وكان هؤلاء التجار يعبرون الممرات الصحراوية الى الداخل وكان الطريق الشرقي الذي يبدأ من طرابلس ـ فزان ـ كوار ـ تشاد ثم برنو ، يلعب دورا هاما في نقل التجارة والتجار[2] .

ويشير ابن خلدون الى أن بلاد البرنو من أهم بلاد السودان وانتي كان يسافر اليها تجار المغرب وذلك لكي يقوموا بشراء الرقيق الذي يجلبونه معهم الى بلاد المغرب[3] .

---

(١) عبدالمجيد عابدين : تبائل السودان الاوسط والسودان الغربي ص٢ ، ١ـ٥٠١

I.M.Lewis: Lewis:L.: Islam in trapical Africa P. 21.(٢)

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ١ ص٤٣ .

ولقد كانت البلاد الاسلامية ولا سيما بلاد المغرب وكل الشمال الافريقي السوق الرائجة لبلاد السودان . ويعني هذا ارتباط بلاد السودان واتصالها بالشمال . وقد تحكم المسلمون في المسالك الصحراوية وحموها . واحتكروا عملياً الاتصال ببلاد السودان لاسباب دينية وتجارية واستقر عدد من تجار المسلمين في تلك البلاد ونشطت حركة التجارة بين بلاد السودان وشمال افريقيه . عبر الطرق الصحراوية (١) .

وكان التجار المغاربة يقومون باستيراد العبيد والاواني الخشبية والاغنام والعاج والجلا من الصمغ وجلود الاسود من برنو وكانت حركة التجارة بين برنو وطرابلس دائما مستمرة وكان تجار الشمال يصلون الى فزان ثم منها يذهبون الى برنو يحملون معهم الهدايا للسلطان (٢) .

وبعد أن يدفع هؤلاء الهدايا الى السلطان . فانه يترك لهم حريـــة التنقل عبر الطرق الصحراوية بين طرابلس وفزان وبرنو وكانو . وذلك لان هؤلاء . كانوا يملكون ثروات ضخمة وطائلة من جراء قيامهم بأعمال التجارة وقد قضى رابح الزبير عند استيلائه على برنو على معظم التجار الطرابلسيين . الذين كانوا يقومون بالتجارة مع برنو . والذين كانت تأتي قوافلهم كل خريف الى برنو (٣) .

---

(١) ابراهيم طرخان : امبراطورية غانا الاسلامية . ص ٤٢ .

Lyon,G.: Anarrative of travels in Northern Africa P.P. 128. (٢)

Vischer,H.: Across the shara from tripoli to Bornu.P. 148.

وقد سيطرت بعض قبائل البربر على الطرق الصحراوية الموصلة الى برنو في فترة ضعف الدولة ، وسلطت على اشاعة الاضطراب والفوضى في الحياة الاقتصادية وقد أدى هذا الى أن هجر التجار الطريق الاول ، والذى كان يعرف بطريق فزان كانم — برنو ، وذلك بسبب خوف التجار على أنفسهم وممتلكاتهم (١) .

لكن في فترات قوة الدولة فكان قوافل التجار كانت تدخل بلاد برنو ، بأعداد كبيرة من الجمال التى تحمل القناطير من أنصاف الاحمر والملون والاكسية وثياب الصوف والعمائم والخز والزجاج والاصداف والاحجار الكريمة والالات الحديدية المختلفة (٢) .

والاتصالات التى تقع بجنوب الصحراء تتطلبها التجار التى كانت تعبر الصحراء ولقد كان لمجيء التجار من الشمال أثر كبير على الحياة الاقتصادية في برنو ، وذلك أن هذه البلاد بفضل هؤلاء التجار قطعت شوطا كبيرا للامام في استخدام العملة والموازين والمقاييس (٣) .

كذلك كان من اثر العلاقات التجارية بين الشمال والجنوب السودان والاحتكاك بينهما أن تسرب الاسلام الى هذه البلاد ، بعد أن حمله التجار أيضا لأن شعب البرنو لم يكن أبدا عدوا لغزوات أهل الصحراء أو المغاربة فالفرد

---

(١) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٨٧ .

(٢) نقولا زيادة : الرحالة العرب ، ص ٩٣ .

(٣) عبدالله زكى : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ص ٦٢ .

بالسيارة على طرق القوافل المارة بكوار على طرق الصحراء الكبرى وبين البحر المتوسط وبحيرة تشاد وكذلك وادي النيل وعلى ذلك ، فقد استطاع أهلها أن يضموا أو يخضعوا جزء كبير من الصحراء ، وكان لهم الاشراف المطلق على مسالك التجارة إلى الشمال في كوار ولقد لقي السلطان ادريس الوما صعوبات كبيرة في السيطرة على طرق الصحراء حتى تم له احتلال واحة كوار في طريق فزان وكانت غنية بمناجم الملح والنطرون (١) .

ولقد تمتعت مملكة برنو نمواً اقتصادياً هائلاً وذلك بسبب موقعها التجاري بين افريقيا الغربية والشرقية واتصالها تجارياً عن طريق طرابلس وبلاد الشمال الافريقي التي يفد إليها التجار بالاقمشة والمصنوعات الاوربية ويعودون بالعاج والجلود وريش النعام والرقيق (٢) .

ولقد ذكر الدمشقي عن أهل برنو ، أنهم يأكلون الذرة ويمر على أحدهم العمر الطويل ولا يرى على بدنه خيطاً إلا ما يحمله التجار الواردون عليهم من بلاد المغرب (٣) .

ولأهلها تجارات يسيرة وصنائع يتعاملون بها بين أيديهم مع أهل المغرب الذين يفدون إليهم (٤) .

---

(١) عبد الرحمن زكي : نفس المرجع ، ص ٦٩ .
(٢) نعيم قداح : افريقية الغربية في ظل الاسلام ص ٨٦ .
(٣) الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٣٩ .
(٤) الادريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ص ٢٢ .

وكانت أهم القوافل التي تأتي من برنو هي قوافل العبيد التي كانت تصل الى الاقطار الشمال الافريقي . أن أي شخص يعبر جنوب فزان يصطدم بجثث الزنوج الموجودين في القرى الجنوبية وذلك يبين كيف كانت أعداد العبيد تأتي من برنو (١) .

وما يدل على استقرار الامور التجارية بين برنو والشمال الافريقي ودوام الاتصال واستمرار الطرق الصحراوية في تأدية رسالتها في الحركة التجارية ما ذكره دنهام وكلابرتون ، من أن الطريق بين برنو ودول الشمال الافريقي يسوده الامان واستقرار الاحوال كما هو الحال في انجلترا وذلك رغم الضرائب التي كان يفرضها السلطان برنو الا أنهم عملوا على اتساع التجارة وحسنها وذلك لكي يعم الرخاء شعب برنو ولكن كان التجار العرب الطرابلسيون هم الوحيدون الذين تركت لهم حرية الاتجار والتقدم الى برنو وذلك لان كثيرا منهم كانوا معروفين لرجال السلطان وأنهم كانوا يحضرون معهم المنتجات الاوربية التي كانوا يشترونها من طرابلس (٢) .

---

(١) Johnoston,H.: OP. Ci . P. 160.

(٢) Denham and clopportor.: P. 329.

هـ/ العلاقات الاقتصادية مع غرب افريقيا

ارتبطت برنو بعلاقات اقتصادية قوية مع البلدان المجاورة لها وكانت البلاد التي تقع الى الغرب منها ترتبط معها بروابط اقتصادية قوية . ويرجع هذه الروابط الاقتصادية الى أن برنو كانت تعرض نفوذها السياسي على امارات الهوسا . وتدخل في صراع عسكري مسلح مع سلطنة سنغاي وامارة كبي . وأن هذا الاحتكاك السياسي . كان يؤدي الى احتكاك اقتصادي في تبادل السلع بين برنو وجيرانها وذلك بان يأتي التجار من امارات الهوسا والامارات التي تقع الى الغرب منها والى اسواق برنو لكي يقوموا بشراء المواشي والمنسوجات التي تصنع في برنو وأيضا المنتجات التي تأتي الى الهوسا من الشمال وذلك لكي يتبادلوا السلع المتوفرة في بلاد الهوسا مع السلع الزائدة عن حاجة سكان برنو (1) .

وكان التجار يحمل من كانو . وهي غرب برنو الى برني العاصمة وذلك لكي يستفيد منه سكان برنو في مقابل ذلك يقوم أهل برنو بتبادل القيان والجواري الحسان والثياب (2) .

وأن أهل برنو اقاموا علاقات اقتصادية وتجارية مختلفة مع بلاد كانو ومدينة

---

(1) AlexandmsgB,: From Niger to Nike, vol. 2. P. 268.

(٢) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ص ١٩٨ .

تمبكتو وجنى وجاو وغيرها من مدن غرب افريقيا وعملوا على تشجيع الحركة التجارية مع تلك البلاد وعلى زيادة دخلها وايراداتها (١) .

وعمل سلاطين برنو على تشجيع قدوم التجار الى بلادهم والعمل على منح التسهيلات اللازمة لذلك والقيام بتأمين طرق المواصلات حتى تستطيع القوافل المضى فى أمان الى برنو ومن ذلك الرسالة التى أرسلها السلطان قاضى سلطان برنو الى عرب واحة تواث يطلب منهم الحضور الى بلاده ، دون أن يحملهم ضرائب او مكوساً أو جزية ، وأن أى تاجر يستطيع أن يحضر الى برنو ولا خوف عليه وانه سوف يجد الامان والطمأنينة (٢) .

ولقد كانت الطرق الموصلة بين برنو وبلاد غرب افريقيا تعج بقوافل التجارة المتبادلة بين برنو وبين جاراتها غرباً الى حوض السنغال ومن طريق واحات الصحراء الكبرى الى نهر النيجر (٣) وكل هذه التجارة كانت تعود بالنفع المتبادل على كل الاطراف .

ومن الثابت جغرافيا أنه لم تكن هناك حواجز طبيعية تقف حائلا دون انتقال القوافل بين برنو وبلاد غرب القارة ، ذلك أن صلة غرب افريقيا بالعالم الخارجى كانت تتم عن طريق القوافل الشمالية والتى كانت بدورها تمر ببلاد البرنو

---

(١) حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى أفريقيه ص ٢٦١ .

(٢) Hodghin,T.: Nigerian perspectives.P.P. 80 - 81.

(٣) محمود ابو العلا : دراسات فى جغرافية العالم الاسلامى ، ص ٢٣ .

وقائم . ومهما يكن من أمر فانه يبدو أن سلطنة برنو قد لعبت دورا كبيرا فى تجارة السودان الغربى وذلك لبسطها النفوذ السياسى والحضارى والاقتصادى على بعض الاقاليم (١) .

ولقد لعبت التجارة بين برنو وبلاد غرب القارة دورا هاما فى نشر الاســـلام فى بلاد الهوسا ونتيجة لهذه الصلات التجارية بين الامارات والبرنو . فلقـــد اعتنق بعض حكامها الدين الاسلامى وذلك أن الاسلام قد انتشر فى القارة كلها عن طريق التجارة والتجار الوافدين اليها من برنو ولقد كان من نتيجة الاتجـــار مع مدن الهوسا . أن اصبح لهذه المدن تجارة واسعة وكان بها الاسواق العامرة بشتى انواع السلع المختلفة (٢) .

أن أهل برنو كان يكثر عندهم الذهب والذى كان يجعلهم أصحاب ثروة مما كان يزيد من نشاطهم التجارية ويشجع على الاتجار معهم ولقد كانت الاقاليم التى تقع الى الغرب منهم تجارى تعاطيا تجاريا ملحوظا معهم (٣) .

وقد ذكر بارث أن سوق برنى عاصمة برنو كانت تفد اليه القوافل مـــن البلاد المجاورة وذلك لكى يقوموا بتبادل المنتجات والبضائع معهم ولقـــد

---

(١) سبنسر ترمنجهام : نفس المرجع ، ص ٥٥ .

(٢) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Africa .P. 18.

(٣) Bovill, E.: The golden trade of moors. P. 130.

أكسبت ذلك برنو شهرة عظيمة (١) . ولقد نتج من جراء هذه الاتصالات الاقتصادية بين برنو وكانو ان شهدت تلك المدينة توسعا تجاريا هائلا منذ القرن الخامس عشر الميلادى . على الرغم من أنها كانت تدفع الجزية لبرنو . الا أن التجارة وطرقهـــا كانت مفتوحة ومتصلة بين الطرفين . وأيضا فان كاتسينا بعد أن استقلت من سنغـاى ارتبطت بروابط تجارية قوية مع برنو . على الرغم من انها كانت لا تزال تدفــــع الجزية لها (٢) .

وعمل سلاطين البلاد على حماية الطرق التجارية فى السودان الاوسط والغربى وقد ساعد ذلك على تدعيم التجارة واستمرارها ولكنه بمرور الوقت فان الطوارق دعموا نفوذهم على هذه الطرق من الساحل حتى وسط النيجر والى بحيرة تشاد . وأنـــه فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى فانه لم تكن توجد قوة تحول دون تحكمهـــم فى الطرق الصحراوية وقد أدى ذلك الى تدهور اقتصاد برنو وكساد الحركة التجارية بينها وبين بلاد غرب القارة الافريقية (٣) .

وقد يحدد القبائل التى كانت تأتى الى كانو من الشرق من برنو وشمال القارة الافريقية فى بداية القرن التاسع عشر بحوالى ٢٠ الف رجل (٤).

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 52.

(٢) Craw er,M.: The story of Nigeria P. 45.

(٣) Trimingham,J.S.: A history of islam in west Africa P. 151.

(٤) صلاح صبرى : افريقيا وراء الصحراء ، ص١٦٢ .

د / العلاقات الاقتصادية مع السودان

ليس من السهل القول أنه كانت هناك علاقات اقتصادية قوية بين برنو وبلاد السودان مثل تلك العلاقات التي كانت بين برنو ومصر وبلاد الشمال الافريقي إلا أنه هناك احتمال بأن التجار الكانميين قد اتخذوا من وادي النيل الجنوبي ومنطقة البحيرات مجالاً لنشاطهم التجاري ، ذلك لأنه من المعروف أن طرق القوافل منذ أزمنة طويلة قد امتدت بين ساحل البحر الاحمر وبين بلاد السودان الاوسط (برنو) ولا يعتقد أن الممالك المسيحية التي قامت في وادي النيل الجنوبي كانت تقف عقبة في سبيل نشاط الكانميين أو الكانمية التجاري بحيث تحول دون وصول التجار من الواسط الغربية إلى البحر الاحمر ، فقد كانت مسار ونقطتها معبرا تجاريا منذ عهد قديم ، ولا يستبعد أن يكون ، وادي النيل الجنوبي ، خلو من الآثار الكانمية أو الكانمية ، إذ يرجح أن هذا الوادي كان يقع في ملتقى نشاط التجار الذين جدوا في توسيع دائرة تجارتهم بإمكانياتهم الهائلة على سواحل البحر الاحمر وبلاد الحبشة (1) .

واستخدام التجار الكانمية أرض السودان الشمالي معبرا لتجارتهم فإنهم عملوا الحبشة تحت ستار التجارة ، ووجدوا من الامراء والحكام ترحيبا بسبب نشاطهم الاقتصادي الضخم واشتغالهم بتجارة الرقيق بمساعدة ملوك الحبشة أنفسهم (2) .

---

(1) عبد المجيد عابدين : القبائل من السودان الاوسط والسودان الغربي ص ١١٠-١١١

(2) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في شرق القارة ، ص ٥٠ .

وكان لهؤلاء التجار القادمين من السودان الشرقي صلة بأمراء الحبشة المسلمين الذين كانت ممالكهم تطوق الكتلة الاثيوبية الجبلية المسيحية من الشرق والجنوب حتى تصل جنوبها الى اقليم البحيرات . وهذا يحمل الدليل على الصلة بين برنو وهذه السلطنات الاسلامية الحبشية . ولما كانت برنو قد مارست نفوذا سياسيا في مناطق دارفور وكردفان فمن الواضح أن هذين الاقليمين قد كانت بينهما وبين البلاد صاحبة السيطرة حركة تجارية نشطة وذلك من الآثار التي عثر عليها في هاتين المنطقتين والتي يتضح منها أنهما كانتا تخضعان للامبراطورية البرنوية . حيث كانت امبراطورية برنو تتمتع بنفوذ سياسي واقتصادي وثقافي على جيرانها (١) .

وقام التجار القادمين من غرب بلاد السودان الشرقي بدور عظيم في نشر الاسلام بين سكانه اذ نجد أن السودان بحكم موقعه الجغرافي قد تعرض لتيارات اسلامية وافدة من الشمال الشرقي الى دارفور وكردفان وأن التجار كان لهم أكبر الآثار في نشر الاسلام (٢) .

ولكن في الفترات المتأخرة من تاريخ برنو كان برنو قد أغلقت أبوابها في وجه التجار النيليين منهم وهنا حاول التجار أن يتوغلوا في وسط القبائل التي تسكن شرق برنو ولكنهم فشلوا ولا يهتم النيليين بالاتجار مع اهل وداي وبرنو وكذلك لم يعثر على أي اثر لتجارة منتظمة للقوافل تقوم بين شرق السودان والاقاليم الواقعة وراء باجرمي . وأما القلة التي تسافر من برنو الى دارفور من

(1) Arkell, J.S.: A history of the sudan P. 213.

(٢) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٩ .

عن طريق بحر الغزال فلم يكن يفيد من التجارة (١) .

ومع ذلك فان القبائل القليلة التي كانت تستطيع أن تتوغل غربا الى برنو فانها كانت تقوم بالتجارة مع القبائل التي تصل اليها . ومهما كانت الظروف السياسية تحول دون تدفق التجارة واستمرارها ، فانها لم تكن تنقطع نهائيا اذ نجد أن ترمنجهام يذكر أن التجار التونسيين قد توغلوا غربا في الأقاليم التي تقع غرب الحوض حتى وصلوا الى نيجيريا ، بينما البربر وأهالي السودان الشرقي انتشروا في الاتجاه الشرقي وأصبحت برنو وداي متصلة بدارفور وكردفان وذلك يرجع لجهود التجار القادمين من الغرب (٢) .

ومهما يكن من الظروف السياسية التي كانت تقف حجر عثرة في سبيل الروابط الاقتصادية بين برنو والسودان الشرقي فان الروابط قد تمت بين السودان وبرنو وأن كثيرا من تجار برنو كانت لهم مراكز تجارية هامة وطيدة في مصر والسودان وتخوم البحر الاحمر (٣) .

وأنهم ساهموا بنصيب كبير في أنشاء المدن الساحلية على شواطئ

---

(١)

(٢) Trimingham,S.J.: Islam in the sudan.P. 99.

(٣) عبد الرحمن زكي . الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ص ١٧ .

البحر الاحمر مثل سواكن ، وزيلع ، وبربره وبلد بحير ولكن أصبحت هذه المدن الساحلية مراكز تجاريه هامة تقوم بحمل متاجر افريقية الى أسواق آسيا وحمل متاجر آسيا الى افريقيا ومن ثم أصبحت هذه المراكز التجارية ، مراكز هامة لنشر الاسلام ، اذ قام أثرياء كانم ـ برنو في هذه المدن التجارية بفتح المدارس وتشجيع الطلاب على الدرس وتحصيل والتبحر في العلوم الاسلامية ، وهذا خير دليل على وجود روابط اقتصادية قوية وصلت بين بلاد برنو وبلاد السودان (١) .

---

(١) حسن أحمد محمود ، نفس المرجع ، ص ٩٥ .

((الفصل الرابع))

الإسلام والثقافة العربية

أ - انتشار الإسلام وأثره

من المعتقد أن الإسلام دخل بلاد الكانم الإمبراطورية القديمة في ركابها الاسرة الحاكمة وأن ادخال هذا الدين الى هذه البلاد هو الذي مكن للاسرة الحاكمة من السيطرة على البلاد ، والوصول الى العرش وحكمهم البلاد (١) .

وأن الاسلام جاء اليها أولا من الشرق من مصر وكان ذلك في القرن الحادي عشر الميلادي أو قبل ذلك بقليل وانتشر بعد ذلك وثبتت دعائمه في البلاد ، وأصبح أهل الكانم والبرنو مسلمين ويذكر الرواة المحلية أن أول من بث الاسلام فيها هو الهادي عثمان ، الذي ادعى أنه من ولد عثمان بن عفان (٢) .

وبعد ذلك ثبتت دعائم السلطنة وزادت علاقتها بإسلامها وبعد نفوذها على من جاورها وزادت هيبتها وأن الذين نشروا الاسلام في تلك الديار هم الافريقيين وخصوصا الحاجين الذين تجرى في عروقهم الدماء العربية ، ومعظم الممالك الاسلامية في السودان ، كواداي وبرنو وكانم ودارفور ، قد أسست على أيدي بعض

---

(١) حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، ص ٢٥٦ .

(٢) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ص ٥٤ ، ص ٥٥ .

المتحدثين باللغة العربية السواحيلية والذين جاؤوا اليها للاسلام والتجارة وأصبح الاسلام افريقيا في افريقيـــا (١) .

وإن كان الاسلام قد جاء اليها أولا من مصر الا أن دول الشمال الافريقي قد شاركت بدور فعال في نشر الاسلام ، اذ نجد أن الاسلام بعد أن استقر وثبتت مبادئه في شمال افريقيا ، فان وسط وغرب القارة الزنجي فرســـه الثقافة العربية الاسلامية التي تعتمد على التوحيد ، لكن على الرغم من أن الاسلام قد بدأ بغزو البلاد ، الا أن تقدمه كان بطيئا أولا ، ولكنه زاد سرعة انتشار بين الافريقيين بعد ذلك بقيام الامبراطوريات الاسلامية مثل غانا ومالي وسنغاي في تلك المنطقة من السودان الافريقي والتي كان لها الفضل الاكبر في نشر العقيدة الاسلامية في تلك الارجاء (٢) .

وكان الاسلام ينتشر بالتسرب البطيء السلمي من قوم الى قوم ، فاذا مـــا أعتنقته النخبة الارستقراطية وهي هدف الدعاة الاول تبعتها بقية القبيلة وقد يحدث أن تتلقى الدعوة الاسلامية من الطرف ، كأن يعتنقها كاهن الرئيس الديني في عشيرة وقبيلة ليكون بمثالها الاجتماعي ، ويستجيب افرادها لدعوة الاسلامية ، مؤيـــــد

---

(١) Trimingham, J.S.: islam in the sudan P.P. 91 - 100

(٢) Trimingham, J.S.: The christion church and islam in west Africa P. 9.

بدأ الاسلام فى كانم باعتناق أحد ملوكها الاسلام . ولعل الصلات التجارية وطرق القوافل الممتدة من بحيرة تشاد الى طرابلس عن طريق فزان ، كانت عاملا هاما فى اعتناق الاسلام وانتشاره فى تلك الجهات [١] .

ولقد لعبت التجارة دورا كبيرا فى نشر الاسلام بمنطقة السودان الاوسط التى تضم برنو وكانم ونتيجة لهذا الدور فان الاسلام تغلغل فى نفوس الرعية وكان له اثر كبير فى توحيد القبائل تحت سيادة سلطنة البرنو [٢] ، وكان له فى جمع شمل الشعوب فى أمة واحدة وخضوعها لتعاليم الاسلام وعقيدته [٣] .

ومن هنا فان القبائل التى كانت متناحرة قبل الاسلام أصبحت بالاسلام قوة واحدة تخضع لزعامة واحدة .

وكان السلطان أومى أول سلاطين البرنو الذين اعتنقوا الاسلام (١٠٨٥ — ١٠٩٧ م) وهو الذى أسس الدولة الاسلامية فى البلاد وأن الشيخ محمد بن مانى هو الذى أدخل الاسلام فى بلاد كانم والبرنو كما جاء فى محرمة السلطان أومى [٤] .

وهذه الوثيقة التى نشرها السلطان أومى على رعيته وأعلنها فى بلاده والتى

---

(١) د. حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام فى افريقيا السوداء ، ص ٢٢٩ — ٢٣٢ .

(٢) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٨٩ .

~~TTiminghamJR.: The Bornu shoun and sudan. P. 14.~~ (٣)
Trimingham,J.S.: islam in west Africa P.P. 16 – 17(3)

Palmer,R.: The Bournu shoun and sudan .P. 14. (٤)

يذكر فيها أن برنو هي أول بلاد السودان التي دخلها الاسلام وأن انتشار الاسلام بسرعة في هذه البلاد يرجع الى اعتناق هذا السلطان لتلك العقيدة، وعمله على نشرها بين رعيته (١) .

وجاء بعده السلاطين حكموا البرنو وعملوا على نشر الاسلام بين الرعية وذلك بحث أتباعهم على عبادة الله والقيام بالصلاة والصوم وتطبيق التعاليم الاسلامية بكل حذافيرها والعمل بما جاء في الكتاب والسنة . (٢) .

وعمل هؤلاء السلاطين على توطيد العقيدة الاسلامية بين شعوبهم ومن هنا كان الاسلام أخذ في التوسع والانتشار ومما يدل على انتشار الاسلام وتعمقه في نفوس الرعية والطبقة الحاكمة والعلماء ما جاء في رسالة السلطان عمر بن عثمان الى السلطان برقوق سلطان مصر والتي يشكو فيها عرب جذام وذلك قوله أن هؤلاء الاعراب قد افسدوا ارضنا كلها في بلد برنو كافة وسبوا احرارنا وقرابتنا من المسلمين ويطالب برد هؤلاء الى حريتهم واسلامهم ووصفه هؤلاء الاعراب بأنهم الجاهلون بالله وسنة رسوله والى ما جاء في هذه الرسالة آيات قرآنية وأحاديث نبوية يدل دلالة كبيرة على عمق العقيدة الاسلامية في نفوس الحكام والرعية وبذلك بحفظهم لكتاب الله وسنة رسوله (٣).

---

(1) Trimingham, J;S.: A history of islam in west Africa P. 115.

(٢) Trimingham, J.S.: The ingluence of islma open Africa .P. 34.

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٨ ص ١١٦ـ ١١٧ .

الاسلام في برنو بعد رحيل الاسرة الحاكمة اليها

في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، كان شعب الكانوري والسو يعيشون في برنو حيث بدأ نشر الاسلام ولم يجد اعداء في سكان برنو الوثنيين ، وكذلك لأن بلاد برنو تصلح أرضها للزراعة ، أكثر مما تصلح أرض بلاد الكانم . ولكن شعب السو ، الذي كان يسكن برنو رفض الاستسلام والدخول في الاسلام ، وعلى هذا فقد وقعت في خلال القرن الرابع عشر الميلادي ، عدة حروب بين قبائل السو وبلولا وسيف ، ومن ثم فأن القبائل المسلمة ، أخذت ترحل الى اقليم البرنو ، والذي كانت تسكنه أيضا قبائل الكوارا والما ، بجانب شعب السو . وبدأ هذا الشعب بعد أن رأى زحف القبائل المسلمة من الشمال بعد هزيمتها على يد شعب البلالة ، بدء يتجه شرقا الى أرض بيمتوى ، وعملت الشعوب الاسلامية على دخول القرى والمدن التي كان يسكنها شعب السو ، والكواراوا والاستيلاء عليها وهدموا حصونهم في تلك الارض (١) .

على أنه يمكن أن نلاحظ أنه بالنظر الى انتشار الاسلام في البلاد ، فان انتشاره كان بسرعة في الجزء الشمالي من السودان في المنطقة الواقعة جنوب الصحراء .

---

(١) ابراهيم بن صالح ، تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو ، ص ٢٥ ـ ٢٧ .

وشمال منطقة الغابات الاستوائية في هذا الاقليم كان أغلب السكان قد اصبحوا مسلمين على الرغم من ان الجزء الجنوبي من برنو والذي كانت تسكنه تلك الجماعات الوثنية ، قد تأثر قليلا بالاسلام وأن كان الاسلام قد بدأ يخطو خطوات فيما بعد الى الجنوب (١) .

ولم يكن انتشار الاسلام يسير بسرعة في عهد السلاطين الذين حكموا جميعا وذلك بسبب انشغالهم بالقتال ضد السلالة ، وبقايا اتباعهم ، وقد عاق ذلك حركة الدخول في الاسلام على نطاق واسع الى أن جاء السلطان علي غازي ، والذي عمل على تعميق المفاهيم الاسلامية الكفيلة برفع مستوى البلاد الى حياة افضل ونصب الشيخ عمر مسابيا واعظا للامة البرنوية ؛ وكان السلطان يحضر بنفسه دائما مجلس وعظه وكان يستمع اليه في خشوع وهدوء وهو يعظ الناس (٢) .

وكان هو الشيخ من سلالة الفلاتة وقد عاش في برنو خمسة عشر عاما ، ثم سافر الى الشرق الاسلامي وذهب الى الازهر بالقاهرة ، ومكث هناك ليتعلم وتفقه على رجال الدين ثم بعد ذلك ذهب الى مكة ليؤدي فرائض الحج ومناسكه ، وبقي في المدينة

---

(١) Trimingham, J.S.: The christian church and islam P.10.

(٢) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٨١ .

المنورة لمدة شهرين ثم من المدينة ذهب الى بغداد واستقر بها ستة شهور مزوداً بالمعارف الدينية والعلمية ثم أخيرا عاد الى بلاده برنو واستقر في عاصمتها برني وقام بتدريس العلوم الاسلامية (١) .

وعندما قام السلطان علي غازي ، ببناء العاصمة الجديدة برني ، فانه بنى له قصرا فخما لكي يمارس فيه شئون الحكم ، وبنى بهذا القصر مسجدا فخما وعين له الشيخ عمر بن عثمان إماما له ، وكان هذا المسجد خاصا بالاسرة الحاكمة يقوم بالصلاة فيه السلطان وعمال البلاط السلطاني ، والنبلاء وسيدات القصر الملكي ، وكان عدد المصلين به سبعة وعشرين شخصا منهم سبع سيدات وعشرون رجلا (٢) .

كذلك فانه قام ببناء أربعة مساجد كبرى ليؤدى الصلاة بها باقي افراد الشعب وعين لكل مسجد اماما ليقوم بتأدية الصلاة يوم الجمعة ويؤم المصلين الذين يقتدون به اثنى عشر شخصا يؤدون الصلاة كل يوم جمعة ، وأطلق على المسجد اسم عرف به فكان المسجد الاول يعرف بمسجد جاباجا ، والامام الذى كان يقوم بالصلاة به الشيخ محمد مجرى ، وسمى المسجد الثاني " كالوسو " والامام الذى يصلى بالناس فيه هو الشيخ " سونواى " ، والمسجد الثالث سمى مسجد

---

(١) Palmer,R.: The Bournu shara and sudan. P. 53.

(٢) Palmer,R. ibid. P. 34.

" اوامو " والامام الذى كان يؤدى الصلاة بالقوم هو الشيخ كاواجوانا " والمسجد الرابع سمى مسجد " واوامو " واسم امامه الشيخ أحمد بوكتو (١).

وعمل السلطان على غازى على نشر الاسلام بين رؤساء القبائل الوثنية وكان يخير رؤساء القبائل التى يتم قهرها بين اعتناق الاسلام أو القتل وإذا كان هؤلاء يقبلون الدخول فى الدين الاسلامى تم تثبيتهم بعد ذلك قبائلهم .

وكان للعقيدة الاسلامية أثر كبير فى هذه البلاد وذلك لوجود صلات وثيقة مع مصر وطرابلس والمغرب وكل هذه البلاد ساعدت على انتشار الاسلام والثقافة والحضارة الاسلامية العربية . وكان من جراء اعتناق شعب الكانورى للاسلام وصبغة قيادة لهم والعمل على نشره بين القبائل الوثنية أن اعطاهم اعتناق الاسلام قوة سياسية فى السلطنة (٢) .

وبناء على تلك القوة فانهم عملوا على نشر الاسلام على نطاق واسع بين أهل البلاد والبلاد المجاورة وذلك أيقظ انطلاقة جديدة نحو العلاقات الدولية . أن تطور الاسلام فى تلك الارجاء كان فى برنو قد بدأ يدخل عهد النمو والنضج (٣)

---

(١) Pelmer,R.: The Bornu shara and sudan .P. 34.

(٢) colmen;J.: Nigeria .P.P 22 - 26.

(٣) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٥٧ .

وليس هناك شك في أن التآلف الروحي الذي ولدته وحدة الشعائر الاسلامية بين جميع الشعوب التي بدأت تعتنق الاسلام ، كان له اثر بعيد في حياة الشعب الكانوري ، فالمسلمون في جميع البلاد يلتفون حول شعائر واحدة ، كالاعتقاد بأركان الاسلام الخمسة (١) .

ويلاحظ أن قبائل الكانيمبو والكانوري التي انتشرت في تلك المنطقة يسمون السكان المحليين بصفاتها المؤثرة في تلك المنطقة على الرغم من أنهم لم يكونوا رجال بعثات أو دعاة دعوة للاسلام (٢) .

ورغم ذلك فان ليو الافريقي كتب في بداية القرن السادس عشر الميلادي فانطباعه في القارة الافريقية وزيارته لبرنو ، يقول أن سكان برنو لا والو ثنيين ، ولكن هذا يختلف في القول عن أن الاسلام ، قد جاء الى هذه المناطق منذ أربعمائة قرون وقد يبدو قول ليو أن عامة الشعب لم تعتنق الدين الاسلامي وأن انتشار الاسلام في هذه المنطقة لم يكن انتشارا واسعا (٣) .

ولكنه اشارة ليو اشارة واضحة بذلك بقوله أن أكثر قبائل برنو لم تزل على الوثنية وأنهم لم يعتنقوا الدين الاسلامي وأنما تحيا حياة بدائية وأنه ليس لهم عقيدة ولا دين فهم ليسوا مسلمين أو نصارى أو يهود ، وأنهم يحيون

---

(١) عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الشرقي ص٢٠١

(٢) Lewis,?.: islam in trapical Africa P. 132.

(٣) Hodgkin,T.: Nigerian perpectives. P. 27.

حياة البهائم ولا يعرفون فكرة الزواج [1] ، على أن ما ذكره ليو هنا لا ينطبق على الجزء الشمالى من البلاد ، والذى كان قد تقدم فيه الاسلام وسمعت أركانه أصبح عقيدة لغالب السكان وبما يكون حديث ليو فى الجزء الجنوبى لـ........ سرب شعـ.....ب البوكين .

وليس أدل على عمق السنين الاسلامى وأيمان الشعب والحكام والسلاطين به لكل ما جاء فى القرآن الكريم والسنة والعمل بهما ، تلك الصحيات التى كـ..... ان السلاطين يقومون بأصدارها وذلك باعطاء بعض الامتيازات والمنح للمقاسـ..... ـيخ والائمة المسلمين ورجال الدين الذين يؤدون خدمات جليلة للسلطان والسلطنة وكان هؤلاء السلاطين يعتبرون هذه المحيا على الشعـ.....ب [2] .

والسلطنة هناك اراء تقول أنه رغم أنتشار الاسلام بين شعب الكانورى فانــه لم يتغلغل فى النفـ.....وس ، فليس فى لغة الكانورى كلمة تعبير عن التوحيد ، ولا يعرف جمهور الناس عن العقائـ.....ـد الاسلامية سوى مظاهر العبادات ، وبعض الافكار المبهمة عن الجنة والنار ، وعلى ذلك فان اسـ.....ـلام البرنويين اسـ.....ـلام محرف بل اسلام لا حماس فيـ..... [3] .

ولكن استطيع القول أن الاسلام تعمق فى نفوس شعـ.....ب برنو ولكن هـ.....ـذا

---

(١) You Africanes: The history and discription of Africa. vol. 2. P.P. 832 - 833.

(٢) Palmer, R.: The Bornu shara and sudan P.P. 21 - 46.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

الرأى القديم على جانب من الصحة بأن الشعوب الاسلامية التى لا تتخذ اللغة العربية لغة التخاطب والقرآن لغة لها انه لا يتحمسون للدين الاسلامى والعقيدة الاسلامية مثل الناطقين باللغة العربية لغة القرآن الكريم .

وإن كان هذا القول لا ينفى انتشار الاسلام انتشارا واسعا فى انحاء الاقليم من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ، بل أنه تجاوز حدود برنو ووصل الى بلاد الهوسا غربا والى دارفور شرقا وذلك نتيجة لتأثير برنو(١) .

وتم ذلك خلال القرن السادس عشر الميلادى وأوائل القرن السابع عشر ، وذلك أثناء فترة حكم السلطان ادريس الوما ، والذى كان سلطانا متدينا حاول أن يطبق العقيدة الاسلامية وأن ينشرها فى كل أرجاء الامبراطورية الواسعة ، وقد بذل جهودا عظيمة لكى يدعم الاسلام ويرسخه فى نفوس رعيته وأن يكون كل فرد فى هذه الامبراطورية مسلما مخلصا وأن يخلص الدين الاسلامى من البدع والخرافات التى لحقت به ، وعمل بما جاء فى الشريعة الاسلامية بالدعوة الى الدخول فى الاسلام بين الاعداء ، وكانت حروبه للجهاد فى سبيل الاسلام وفى سبيل توسيع رقعة العقيدة الاسلامية (٢) .

---

(١) Cra[illegible]er,M.: The story of Nigeria P. 42.

(٢) Ahmed ibn Fartua: Mai I[illegible]is Alooma of BornuP. 20.

وعمل على دخول كثيرا من البلاد المجاورة في الاسلام وجاء كثيرا من حكـام هذه البلاد الى بيرنى عاصمة بورنو ، يقدمون فروض الطاعة ويطلبون دخولهم فـــى الاسلام واتخاذه عقيدة لهم ولشعوبهم (١) .

على أنه مما ساعد على انتشار الاسلام وتعمقه في نفوس شعوب البرنـــو ، أنه بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية على أيدى التتار ، اضطر كثيـــرا من العلماء والفقهاء ، ورجال الدين الى النزوح من بلادهم الى القارة الافريقية ومما لا شك فيه أن بعضا من هؤلاء العلماء قد وصلوا الى بورنو بعد أن نزحـــوا من الشمال الافريقي وأن بعضا منهم قد طاب له المقام في أرضها ، فقام بدعـــوة الناس الى فهم الدين الاسلامي على أسس سليمة وعمل على تخليص القوم من الافكار التي لا تتفق مع طبيعة الدين الاسلامـــى (٢) .

ومن ذلك يمكن القول أن تلك الديار قد صبغت بالصبغة الاسلامية البحتـــة وأن كل القبائل مثل الكانورى والكانمبو قد صارت عقيدتها الاسلامية أعمق مما كانـــت عليه عند دخول الاسلام تلك الديار وأن الاوربين كانوا يعتقدون أن بلاد برنـــو باقى دول السودان الاسلامية جزء من العالم الاسلامي ، وذلك لان سكانها اصبحوا مسلمين متحمسين لديانتهم ، عاملين على التمسك بكل ما جاء بها من تعالـــيم وأصبح يشار الى سلطنة برنو في كتابات الرحالة المتأخرين على أن برنو سلطنـــة اسلامية (٣)

---

(١) Trimingham,J.S.: Ahistory of islam in west Africa. P. 125.

(٢) Hogben,S.J.: The Mahammadan emites of Nigeria.P.57

(٣) The Columbia encyclopedia. Art? P. 249.

ب ـ اللغة العربية وأثرها في حركة التعريب في البلاد

يمتاز انتشار الاسلام في تاريخ برنو بطابع واضح فقد تم فيه الامتزاج الكامل بين التقاليد الاسلامية الوافدة ، وبين التقاليد الوثنية المحلية السائدة في البلاد ، وظهرت بعد ذلك تقاليد اسلامية افريقية ، اسلامية الشكل والطابع ، افريقية الروح ، ولم يقدم الامر أن يتخلص الشعب من التقاليد الناقصة في الحياة الاسلامية المعاصرة لهم ومن هنا فانه يمكن القول عن الثقافة العربية انه كان ، طابعها عربيا صرفا لم تداخله آية تأثيرات أخرى ، وذلك لسبب واضح هو أن هذه الشعوب الوثنية الاسلامية في برنو ، والتي أعتنقت الاسلام وتشربت ثقافته الاسلامية العربية لم تكن لها تقاليد ثقافية عريقة ، وكانت الثقافة التي انتشرت في البلاد يغلب عليها ثقافة التقاليد المالكية الدينية ، على أنه يلاحظ بالضبط تحديد مدى انتشار الثقافة العربية الاسلامية بين عامة الناس ، ذلك أنهم كانوا لا يستخدمون اللغة العربية في حياتهم الخاصة كلغة لهم ، انما كانوا يستخدمون لغاتهم الاصلية ثم يستخدمون اللغة العربية في تعبيرهم الثقافي وفي صلواتهم وأحاديثهم الدينيـــة [1] .

---

(١) حســن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص١٦٦ ، ١٦٩ .

على أنه يلاحظ أن الاسلام قد تطور في مناحيه ، ليلائم أحوال تلك الشعوب ، وأن هذا التطور ، قد صاحبه تطور أيضا في الثقافة الاسلامية العربية ولغتها (١) .

ولقد تسربت بعض القبائل العربية الى تلك المناطق مثل قبائل الشو وغيرها من القبائل العربية التي أستقرت في اقليم البرنو ، ولم تكتف هذه القبائل بادخال الاسلام الى تلك المناطق ، بل أنها طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية لغة القرآن في تلك الاقطار ، ومن ذلك فانه يمكن القول أن الجزء الشمالي من اقليم البرنو لا ينطبق عليه القول بأنه جزء من بلاد الزنوج لان به كثيرا من القبائل التي تنطق لغة الضاد وتستخدمها في كل أمورها (٢) .

وأن ظهور الاسلام واللغة العربية بنجاح كبير في ذلك الاقليم يبين لنا الدور العظيم الذي قام به هذا الدين ولغته الغراء في تلك البلاد وتطورها ، فلقد أصبحت عن طريق الاسلام والعلوم الاسلامية العربية عظيمة الحضارة والتقدم . .
وسرعان ما نقل الاسلام عادات السكان وطور حياتهم حتى صار مستوى التفكير والثقافة بها يضاهيه في الدول الاسلامية المعاصرة لبرنو في ذلك الوقت ، سواء في الشرق الاسلامي أو شمال القارة الافريقية .

ولقد كان الاسلام والعلوم العربية الاسلامية هي التي أدت الى تسلم

Trimingham, J.S.: The christiam cherch and islam in west Africa P. 32. (١)

(٢) ليفتسان أحمد : نفس المرجع ، ص ١٤٠ .

هذه السلطنة الكبرى ، وسارت نهضة الاسلام مع انتشار اللغة العربية في شتى انحاء السودان الاوسط والشرقي ، وأصبح المذهب الغالب في تلك البلاد هو مذهب الامام مالك ، على أن سيادة هذا المذهب لا تنفي وجود بعض الشافعية في البلاد مما يؤيد ، أثر الشيخ المصري للثقافة العربية الاسلامية التي سادت تلك البلاد (1) .

والواضح أن الدعوة الاسلامية في تلك البلاد كما في غيرها من البلاد الاسلاميه قد ارتبطت باللغة العربية لغة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية التي تفسر القرآن والاحاديث النبوية وتعاليم المذهب المالكي ولقد سارت الاسلام واللغة العربية جنبا الى جنب مع الجهاد في نشر الاسلام وتوسيع رقعة البلاد الاسلامية في أفريقيا ولقد أحترم الافريقي في برنو وغيرها من البلاد الاسلامية الافريقية ، اللغة العربية ، أحترامًا يقترب من التقديس باعتبارها لغة القرآن الكريم فيها يؤدى الصلاة ، كما يتلو بها القرآن الكريم ، وبواسطتها يلم بعلوم الدين الاسلامي (2) .

على أن اعتناق تلك الشعوب للدين الاسلامي وتمسكها بالروح الاسلامية العربية قد ترك اثرها على حضارتها وثقافتها ، بل أن الاسلام ولغته ظهرا

---

(١) ابراهيم طرخان : الاسلام واللغة العربية في غرب افريقيا ، ص ٥٧-٥٨ .

(٢) ابراهيم طرخان : المرجع السابق ، ص ٥٩-٦٣ .

بصورة واضحة وجلية في حياة تلك الشعـــوب (١) .

وساعد هذا التأثير على انتشــار اللغة العربية والتمسك بها والمحافظـة عليها وعلى تعلمها وذلك فضلا عن الجانب الدينى المرتبط بها ، ونجد أن كثيرا من الشعوب الافريقية في السودان الاوسط والسودان الغربى ، قد أدعى الاصول العرقية والانتســاب الى الاســر العربية ذات التاريخ العريق في تاريخ الامــة العربية الاسلامية ، وأن هذا الادعاء لم يظهر أو لم يعرف الا بعد انتشـــار اللغة العربية والاسلام في تلك البلاد ، وهذا دليل على حرص هذه الشعـــوب على التمسك بكل ما هو عربى ودينى ، كما يدل على الترحيب والرضى والقبـــول الذى ظفر به الاسلام ولغته ، فقد أدعى ملوك تلك السلطنــة أنهم ينحدرون من أصل عربى قرشـــى وأن اسلافهم من نسل سيف بن ذى يزن (٢) .

بل أكثر من ذلك أن كلمة الكانورى معناها أصحاب العربية والتى معناهـــا أصحاب النور أو جملة الشاطئ ، اشارة الى الدور العظيم الذى لعبته هـــذه القبائل في نشر الاسلام والثقافة العربيـــة الاسلامية ، وكما ذكرت اساطيرهـــم فان هذه السلطنة الاسلامية العظيمة قد قامت على أيدى العرب الوافديـــن من الشـــرق (٣) .

---

(١) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Afric. P. 96.

(٢) القلقشندى : صبح الاعشــى ، جـ ٨ ، ص ١١٧ .

(٣) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٦٩ .

وكان للحركة التجارية دور كبير في نشر اللغة العربية وثقافتها وقد وجدنا في برنو وغيرها كثيراً من الشواهد التي تدل على عمق اللغة العربية والعروبة في تلك الديار، رغم محاولات الاستعمار في محو الطابع العربي من تلك البلاد ولا يستطيع أحد أن ينكر دور العرب في أقاليم البرنو فقد تأثرت بهم شعوب تلك البلاد إلى حد كبير وبقيت مظاهر الثقافة العربية بين هذه الشعوب المحلية، ولم يقف دور العرب عند الاقامة في هذه البلاد فحسب، بل كان لهم دوراً بارزاً في تعمير البلاد وتطويرها، وأن العرب أقاموا مجموعة من المدن الهامة في البرنو ولا سيما في الغرب والشرق والشمال، فقد إستقرت أعداد كبيرة منهم، وكان لاختلاط العرب مع سكان البلاد أثر كبير في نشر اللغة العربية، بل أن الأجزاء الشمالية قد تعربت على مستوى الجنس واللغة وانتشرت اللغة العربية على نطاق كبير، وإن كانت اللهجات المحلية منتشرة في بعض الأنحاء في البلاد، إلا أننا نجد أن اللغة العربية والنظم العربية أصبحت هي السائدة في البلاد (١).

وكان تأثير العرب فيها قد تعربت بعض القبائل في برنو وأن كان تأثير اللغة العربية قليلاً على بعض القبائل مثل الشيوا والطوارق، ولكن كثرة

---

(١) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى، ص ٨٩٠

العرب في سلطنة برنو حاولت أن تصبغ الاهالي بالصبغة العربية الكاملة ، حيث دخلت بعض القبائل العربية من سودان وادي النيل الى برنو والذين يقدر عددهم بحوالي مائة الف نسمة ويوجد من بينهم أولاد سليمان والشوا ، والبقارة وكل هؤلاء يتكلمون اللغة العربية (١) .

ويبدو أن الهجرات العربية الرئيسية التي أثرت في برنو ولغتها وثقافتها العربية الاسلامية قد جاءت من مصر وشمال افريقيا عبر السهول والبراري الواقعة بين النيل وإقليم بحيرة تشاد وأنهم تركوا أثرهم الثقافي والحضاري في المناطق التي استقروا بها (٢) .

ويوجد في برنو أيضا بعض العرب الواكشين وأنهم يتكلمون اللغة العربية ويعتمد عليها وسيلتهم في كل أمور حياتهم وكذلك القوم الذين يختلطون بالعرب فانهم يتكلمون اللغة العربية أيضا ولقد تأثروا بالعرب الذين يعاشرونهم ويتصلون بهم وكان لهم نفوذ قوي في برنو (٣) .

وعلى الجانب الاخر فان اللغة العربية قد أغنت لغة الكانوري بمفردات من الالفاظ الدينية والسياسية والاقتصادية وكان لهذه الهجرات العربية أثر كبير في

---

(١) Trimingham, J.S.: Islam in west Africa P. 112.

(٢) مصطفى مسعد ، سلطنة دارفور ، المجلة التاريخية عدد ١١ ص١١٧

(٣) ابراهيم طرخان ، الاسلام واللغة العربية وغرب افريقيا ، ص ٦٩ .

انتشــار اللغة العربية في تلك البلاد واستقرارها بها . وهذه الهجرات العربية قديمة وسابقة على دخول الاسلام ولكنها ادت بانتشار الاسلام . وأطفال هــذه السلمون للاسلام تمثلا مجموعة القبائل العربية المعروفة باسم الشوا . السابق ذكرهــا فان هذه التسميــة التي أطلقها عليهم البرنويون . قد وصلوا من وادي النيل ومــن الشمال واستقروا في جمهورية الكاميرون بالقرب (١) .

وقد فسر بعض الباحثين . بأن أهل هذه التسميــة عربي وأنها كانت الاصــول فيه . مجموعــة عربية كما أن القبائل العربية . قد احتفظت باسمها الاصلي مثــل جذام . هذا وساهمت العرب والشو وغيرهم من دعاة المسلمين العرب مع القبائــــل الافريقية . ساعدت على انتشار اللغة العربية بجانب الاسلام . ويحرص المتكلمــون باللغة العربية في برنو مثلا على الاحتفاظ بها حتى لا تطغى عليها اللغــــات المحلية ولا سيما لغة الكانوري . كما أن اللهجة العربية السائدة في برنو يغلــب عليها اللهجــات الحجازيــة (٢) .

والمسلمون في تلك البلاد متشبعون بالحضارة الاسلامية العربية . وذلــــك لان العرب كانوا يختلطون برجالهم ونسائهم وحضارتهم وهكذا تطبع البلاد بالطابــــع العربي الاسلامي ويتم تداخل القبائل العربية مع القبائل المحلية في السودان الاسلامي

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجــــع . ص ٢٢١ .

(٢) ابراهيم طرخــان : نفس المرجـــــع . ص ٧ .

في قلب افريقيا فقد دخلت في الاسلام وطبعت بالروح العربية طوعا لا قسرا وقامت حضارات اسلامية وطبعت اللهجات الوطنية الاصلية بجانب لغة الضاد لغة القرآن الكريم كدليل على أن الحضارة العربية تقوم على محاولة التآسي بالحسنى وقد وجدت الشعوب الافريقية في الاسلام والحضارة الاسلامية العربية ضالتها ، فقد ظهر في برنو وعلى هذه كثير من المظاهر عليها شواهد باللغة العربية (١) .

وعلى هذا فان التعريب في سلطنة برنو ، قد اتخذ مظاهر متعددة اهمها اللغة والنسب والتاريخ . ولكي تحقق الاسرة الحاكمة هذه المظاهر ، ، شجعوا كثيرا من العلماء والفقهاء الذين اخذوا بنصيب من العلم في مصر وغيرها من البلاد الاسلامية ومنحوهم مكانة مرموقة وأحاطوا انفسهم بعدد من كتاب اللغة العربية وعلمائها وجعلوا اللغة العربية اداة للكتابة الرسمية الموجهة الى الاقطار الاسلامية مثال ذلك رسالة صاحب برنو الموجهة الى سلطان مصر (٢).

وأيضا في سبيل هذا التعريب فانهم نحوا النسب العربي القديم وذلك بأن عمل اهل برنو هذا النسب العربي الى نسب عربي ملكي بالقرشية

---

(١) مجلة منبر الشرق : الافريقيون والعرب ، ص ٦ .

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٨ ، ص ١١٦ .

(أهل قريش) والاسلام وفي سبيل هذا التعصب عدلت أسماء ملوكهم التي كانت تحمل دلالات وثنية الى أسماء عربية اسلامية مشتقة أصلا من بـلاد الشرق الاسلامي (١) .

وأيضا مما قوى اللغة العربية وسهل انتشارها على نطاق واسع ، اتصال هذه الدولة الاسلامية بالدول الاسلامية المعاصرة " مصر وشمال افريقيا " ، واتساع بعض النظم بها واتخاذها اللغة العربية وسيلة في كل أمورها الحكومية وتشجيع الحركة العلمية وتقريب العلماء والفقهاء وبناء المساجد ، وتأسيس المدارس ، والترحيب بالعلماء من العالم الاسلامي ، فأدى ذلك الـى ازدهار الدراسات الاسلامية العربية في المراكز التي قامت في برنو ، كما رحل الطلاب الى المراكز الاسلامية الثقافية في العالم الاسلامي ، في مصر وبلاد المغرب والحجاز والعراق وغيرها من البلاد الاسلامية الاخرى (٢) .

فالى جانب اللغة العربية التي انتشرت انتشارا واسعا في البلاد ، فان أهل برنو يتكلمون عدة لغات محلية بلغة الكانوري ، أوسع هذه اللغات انتشارا ولكن لاتوجد مؤلفات بهذه اللغة ، وان كانت تسعى الى أن تحمل محل اللغة العربية التي هي اللغة الرسمية وان كانت بعض القبائل الافريقية في تلك البـلاد

---

(١) عبد المجيد عابدين : قبائل السودان الاوسط السودان الغربي ص ١٠٠-١٠١

(٢) مصطفى محمد : الاسلام وحركة الثقافة في غرب افريقيا ، ص ١٢٢ .

تتمسك بلغتها المحلية وتسعى بكل الوسائل في المحافظة عليها (١) .

ولقد ظلت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في سلطنة الكانم والبرنو لمدة قرون ولقد عمل الاستعمار الفرنسي والاستعمار الانجليزي عندما دخل هذه البلاد على احلال لغته محل اللغة العربية ، وبذلك أنزل اللغة العربية الى الدرجة الثانية ، وهذا اكبر دليل على انتشار اللغة العربية وحفظها في نفوس الاهالي وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم (٢) .

ورغم محاولات الاستعمار ، فان اللغة العربية ظلت في انتشارها وزيادة المتحدثين بها ، وذلك بسبب ما أتفق عليه أغلبية المسلمين من عدم جواز ترجمة القرآن الكريم الى أي لغة أخرى ، فكان كل من يريد أن يتعلمه ويحفظه أن يقبل على تعلم اللغة العربية ويبدو أن الاحجام عن ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الاجنبية كان من أهم الاسباب التي حافظت على اللسان العربي وصانته ، ونستطيع أن نتبين عمق وأثر اللغة العربية في تلك البلاد ، في وجود كثيرا من الكتب في المكتبة الملكية في هذه البلاد وعنايتها باللغة العربية ، وتشجيع ارسال البعثات الطلابية

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

(٢) علي ابوبكر : الثقافة العربية في نيجيريا ، ص ٢٠٣ .

وكان المتعلمون يعودون من مصر ليحتلوا مراكز القيادة في بلادهم وكانوا يحملون روحا اسلامية حيث تقوم على أدوات الحياة الاسلامية العربية التي شاهدوها في مصر وباقي بلاد الشرق الاسلامي (١) .

وليس أدل على انتشار اللغة العربية مما قاله توماس (بوتالد) من أن اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم قد بلغت درجة عظيمة من الذيوع والانتشار حتى غدت لغة التخاطب فيه قبائل نصف القارة السوداء ، ثم يردف ويقول وهذا تقدم كبير في الحضارة الافريقية (٢) .

ولكن رغم انتشار اللغة العربية " برنو وباقي دول السودان الاوسط فانها لم تعن القبائل الوطنية الافريقية لغتها أو تقضي عليها بل ظلت هذه اللغات بجانب اللغة العربية التي هي لغة الدين والثقافة والدعوة والحكومة والتجارة .

وقد تركت هذه اللغة العربية وأثرها في اللغات المحلية ، لدرجة كبيرة وظهر هذا الاثر واضحا في لغة الكانوري (٣) .

كما أن اثر التعريب في المدن الاسلامية في برنو واضح جدا بل أكثر وضوحا منه في المدن الاسلامية الاخرى في بلاد السودان الاوسط والغربي

---

(١) عبد الفتاح عثمان : نفس المرجع ، ص ١٩٧ .

(٢) أرنولد ، توماس : الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرين ص ٩٧ .

(٣) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٧١ ــ ٧٢ .

ويوجد في لغة الكانوري كثيرا من الكلمات ذات الاصول العربية ومتعددة فـــي شـــتى مظاهر الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية ، وفي الحرب والسياســـة ونظم الحكم والقضاء ثم في لغة المكاتبات الرسمية بين الدولة وبين العالم الاسلامي الخارجي ولقد وجدت في الدواوين المصرية زمن سلاطين المماليك صيغ عربيـــة خاصة لمخاطبة ملوك تلك البلاد وكانت المكاتبات التي ملوك وسلاطين البرنـــو باللغة العربية تدل على مدى تقدم الاسلوب العربي وفن الكتابة العربية والمراسلات في برنو [1] ، وهذه النماذج التي احتفظ بها ديوان الانشاء في مصر [2] ، تدل دلالة واضحة على أن اللغة العربية قد فرضت سلطانها في بلاد برنو وسادت على كل اللغات المحلية السائدة في البلاد وأنها أصبحت منطوقة ومفهومة ، لاغلـــب طبقات الشعب في برنو وليس للحكام والسادة ، وذلك لان كثيرا من القوانيـــن والمراسيم التي كانت تصدرها الحكومة الاسلامية في برنو لرعاياها كانت تصـــدر باللغة العربية ، مثل دعوة بعض القبائل بالانخراط في الجيش ، أو لاصدار ، المراسيم السلطانية لتعيين القضاة والائمة والعلماء ، ورجال الادارة في مناصبهم ، وأيضا المحرمات التي كان يحرص على اصدارها كل سلاطين برنو باللغة العربية وتذاع على الشعب لكي يعرف ما جاء بها ويعمل على احترامها وتنفيذها وأكبـــر دليل على ذلك المحرمة التي أصدرها السلطان ادريس الوما عام ١٠٠٠ هـ ــ

---

(١) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٢٣ــ٢٥ .

(٢) القلقشنـــدي : صبح الاعشى جـ ٨ ص ٢ .

- ١٥٩١ م ، والتى يبين فيها أصل بعض الملماء من بنى حبيب والذيـــــن ينحدر نسبهم من على بن ابى طالـــــب (١) .

وأيضا فانه فى المراسلات الداخلية التى كانت تتم بين السلطـــــان وحكام اقاليمه والتى كانت تصدر باللغة العربية والتى يتضح فيها مـــــدى قوة الاسلوب العربى وبلاغته (٢).

كذلك وقف الباحثون على بعض المعلومات المهمة عن الحضارة الاسلامية الافريقية فى تلك البقاع وكان تأثير العرب واضحا قويا من ذلك الاتصال الدائم مع السودان وليبيا ومصر وباقى دول الشمال الافريقى ، وكانت عاصمة البلاد مركزا لجالية عربية كبيرة من التجـــــار والعلماء (٣) .

ومن هنا يمكن القول أن الحياة الاسلامية والحضارة الاسلامية التى يحياها العرب الاوائل تركـــــت اكبر الاثر فى نفوس الافريقين وأن الفضـــل فى انتشار الاســـــلام واللغة العربية فى البدو اى والقرى الصغيرة ، فى برنو يعود الى هؤلاء العــــرب الفاتحين (٤) .

---

(١) Palmer, R.: The Bornu shara and sudan. P. 30.

(٢) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٧٥ .

(٣) نعيم قداح : افريقية العربية فى ظل الاسلام ص ٧٢ .

(٤) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ١٦ .

ب ـ أثر المعاهد العلمية والمساجد

في الحياة الثقافية في برنو

عندما انتقلت أسرة المالكة الى برنو ، تاركة وراءها ـ الكانم ـ أرض آبائها وأجدادها فانها كانت وشعبها قد تشبعت بروح الاسلام وحضارته وثقافته الاسلامية وأن اسلامها كان قد مر عليه اكثر من ثلاثة قرون ، فانها حملت معها المعتقدات ، الاسلامية الصحيحة الى أرض برنو ، ونشرتها بين القبول الرئيسين الذين كانوا يسكنون تلك الاراضي ، ومن ذلك فانها عملت على اقامة كثيرا من المراكز العلمية الاسلامية لكي تمارس دورها الهام في الحياة الثقافية في البلاد ، ولكي تنشر الثقافة العربية الاسلامية بين القوم ، وبذلك فقد انتشرت هذه المراكز والكتاتيب التي كان يؤمها كثيرا من التلاميذ لدراسة القرآن الكريم وتعلمه ولغته العربية أيضا ، ومن بين تلك المراكز الاسلامية التي انتشرت في برنو ، مركز اسلامي قوى كان يقوم بدور هام في نشر العلوم الاسلامية في شرق برنو ، ذلك هو مركز دمبالوا Dumbulwa وكان هذا المركز محط انظار القادمين من غرب القارة لتأدية فريضة الحج في الاراضي الحجازية ، حيث كانوا يتزودون بالتعاليم الاسلامية التي كان يقوم بشرحها لهم عدد من

---

(1) Trimingham, J.S.: islam in the sudan P. 160.

الآلة والمساني (١) ، بالاضافة الى أنه وجد في برنو ـ كانم ـ نظام ممتاز للتعليم ، يعتمد على نشر الثقافة العربية الاسلامية في أرجاء البلاد ، وذلك لمحاولة خلق دولة اسلامية قوية بين شعوب السودان الاوسط (٢) .

ولقد عمل سلاطين برنو على تزويد تلك المراكز العلمية في بلادهم بالكتب الدينية وخاصة كتب الفقه المالكي وكثيرا من المصاحف ، وأيضا دعوا العلماء من بلادهم للتدريس في هذه المراكز ، وفضلا استقدموا علماء كثيرين من القاهرة وفاس ، والقيروان وطرابلس وأيضا من بلاد الحجاز ، وغيرها من البلاد الاسلامية (٣) .

ولقد كان بعض العلماء يأتي الى بلاد برنو بمفردهم الشخصية وذلك صحبة قوافل الحجاج أو صحبة القوافل التجارية ، وذلك ليقوموا بالتدريس في المعاهد العلمية التي كان يشجعها السلاطين ومن ذلك نجد أن السلطان علي غازي ، الذي كان أول من أرسى قوة وعظمة برنو ، يقوم بتصحيب الشيخ عمر بن عثمان معهما وإماما للعاصمة برني ، وعين له مكانا يقوم فيه بالوعظ

---

(١) (٢) ديفار الكوبر ، القبائل العربية في السودان ، ص ١١ ؛ Trimingham, J.S.: Islam in the Sudan, P. 160.

(٣) Palmer, R.: OP. Cit. P. 33.

والارشاد لكافة المسلمين في العاصمة أو القادمين اليها ، وكان السلطان علي باشا بنفسه حريصا على حضور تلك المجالس ، وذلك لكي يعترف بالتعاليم الاسلامية العلمية (1) .

ولقد استفادت طرابلس كثيرا بعلاقتها العلمية بمصر وذلك لاعجابها بأهلها بالثقافة العربية الاسلامية الزاهرة بها القاهرة وتأثرهم بها دفعهم الى مساهمتها في بناء مدرسة في القاهرة عرفت باسم مدرسة بن رشيق ، وأصبحت هذه المدرسة من المدارس العربية المشهورة في العصور الوسطى ، وعمل سلاطين البلاد على تشجيع العلماء ، وأجزال العطاء لهم الامر الذي شجع بعض العلماء لهجرتهم ، وكان لهؤلاء العلماء أثر كبير في الحياة العلمية والاجتماعية في البلاد ، فقد كان يتم عليهم واجبا التوجيه الديني في البلاد ، وبالفعل فقد قام بعضهم بتسجيل التراث الادبي والفكري لعلماء البلاد ، مثل أحمد بن غلبون ، والشيخ عمر بن عثمان مسعود ، ولولا هذا الجهد لضاع تاريخ البلاد المجيد (2) .

وكانت المراكز العلمية المنتشرة في البلاد في المدن الكبرى والقرى

---

(1) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٨١ .

(2) عمر الفتح عثمان : نفس المرجع ، ص ١٢٥ - ٢٧ .

الصغيرة ، والبوادى بحركة يظهر واسعة للاسلام من الشوائب والبـدع ،
وقام بهذا الجهد الطلاب الذين درسوا وتعلموا فى الازهر الشريف وأتقنوا
اللغة العربية التى أستخدموها فى التخاطب مع القوم عرغم الجهود التى يبذلها
الاستعمار للقضاء على الثقافة العربية الاسلامية فى تلك الجهات من القارة
الافريقية ، وبعيد أنظار الافريقين عن القاهرة ولكن دعاة من تونس كانوا فشلـوا
فشلا ذريعا ، اذ أن المسلمين من الافريقيين يعتمدون الى انشاء مدارسهم
ومؤسساتهم الثقافية فى المناطق النائية من البلاد ، وذلك عملا على نشر اللغة
الثقافية العربية من خلال مساجدهم التى كانوا يقومون فيها بالتدريس للاطفال
من المسلمين والوثنيين (١) .

ويبدو أن المراكز العلمية قد أنتشرت انتشارا واسعا فى برنو ، ولهذا
فقد عاد العلماء بحالهم الى برنو وفد اليها علماء من القاهرة وتونس وفاس
ومالى وسنغاى ، ومن ذلك ما ذكر أن كثيرا من العلماء قد وفدوا الى برنو
فى عهد السلطان محمد بن ادريس الذين كان من بينهم الشيخ الفلاكى
الجوسى ، والذى ظل طوال عمره يدعو الى الله ويشرح للناس التعاليم

---

(١) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٧٠ .

الاسلامية ويرشدهم الى الخير ، والعمل بالكتاب والسنة ، ولم يخف على الناس في برنو الا بعض عصر حتى دخل في طاعته واتباعه عدد كبير من اهل برنو ، الامر الذى أثار سخط السلطان عمر بن ادريس (١٦٢٥ - ١٦٤٠ م) والذى أحضره الى مجلسه وسأله عن عمله فأخبره بأنه يقوم بارشاد الناس الى الطريق السليم والسلوك بهم نهج السنة المحمدية (١) .

ولكن السلطان رأى ازدياد نفوذ هذا الشيخ وكثرة اتباعه ، فأمر بقتله وأيضا قتل بعض اتباعه ولكن بعض الاتباع استطاع الفرار وأشار الى ذلك محمد بن بلو ، وذكر أن الشيخ الجبرى مع الشيخ ولد يره ، وقعت عليهما المحنة ولكن الشيخ ولد يره استطاع الفرار من برنو ، وقتل الشيخ الجبرى (٢) .

وقام كثير من العلماء بدور فعال ونشط في مجال التعليم على أساس التعليم الديني الاسلامي وحفظ القرآن وتفسيره ، ودراسة اللغة العربية والعلوم الاسلامية وقد حرص أهل البلاد جميعهم على حفظ القرآن والتزامهم الشديد في ذلك (٣) .

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٩٢ .

(٢) محمد بلو : نفس المرجع ، ص ٧

(٣) حسن احمد محمود : نفس المرجع ص ٢٦٩ .

وكان كثيرا من السلاطين متخصصون في العلوم الاسلامية ، فضلا عن الجانب السياسي ، ومن ذلك أن السلطان حمودين بن عودنان (١٧٢٣ — ١٧٣٦ م) كان أحد العلماء الصالحين ، والذى لم يمنعه اشتغاله بالسياسة عن مواصلة حياته العلمية ، وأعتاز عصره بازدهار العلم والعلماء ، فقد قرب اليه العلماء ، ورجال الدين ، وداوم معهم على قراءة الكتب الدينية وطالعتها وايجاد الحلول للمشاكل الفقهية التى تعترضهم[1] .

وأيضا كان السلطان أحمد بن علي (١٧٩٣ — ١٨١٠ م) كان من السلاطين الصالحين المتعبدين ، وكان محبا للعلماء ومقربا اياهم كما كان يحب جميع المسلمين ، وعليه خوف من الله تعالى فى كثير من الامور[2] .

وقد ساهم العلماء البرنيون من خلال المراكز الاسلامية في اصدار كثير من المؤلفات التى غطت فنون المعرفة المختلفة من تاريخ وآداب الى علوم لغوية وفقهية وحديث ، وهذه تعد بالالاف ، وقد عثر على كثير من المخطوطات التى نجت من التدمير في عهد السلطان عمر بن محمد الامين الكانمي

---

(١) Palmer, R. : Op.cit . P . 252.

(٢) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٩٢ .

وأن كانت كثيرا من المخطوطات قد تعرضت للتدمير على أيدى الهلالية عندما دخلوا تجهى عاصمة البلاد القومية فى كانم ، وقد عثر بارت خلال رحلته (١٨٤٩ — ١٨٥٥) على مخطوطة بها أسماء سلاطين برنو القدماء ومنها ديوان مايات برنو وبعض المراسيم التى كان يصدرها السلاطين (١) .

وليس هناك شك فى أن كثيرا من المخطوطات العربية فى برنو ، كان يقوم العلماء بتدريسها فى المراكز الثقافية للطلاب ، وعلى هذا فانه يمكن القول أن برنو كانت من أكبر مراكز العلم والثقافة العربية فى السودان الاوسط والغربى ، وقد أنجبت برنو عددا من علماء تفخر بهم السلطنة ومعظمهم تلقوا تعليمهم فى الازهر الشريف ، والذين كان لهم الفضل فى تأسيس المعاهد الرئيسية فى البلاد ومنهم الشيخ سليمان الباجرى والشيخ الجرى ، والشيخ محمد الوالى ، والشيخ محمد الطاهر بن ابراهيم والشيخ محمد البكرى ، وغيرهم من العلماء .

وقد أستمر هؤلاء والمهذ هم من بعدهم فى اداء رسالة نشر

---

(١) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٧٦ — ٧٧ .

الثقافة الاسلامية واندرس الاسلامي ، حتى جاء رابح الزبير ، فقضى على جميع المعاهد العلمية بقتل علمائها وتشتيت شملهم فأصبحت برنو مثل تمبكتو بعد احتلال الجيش المراكشي لها في أواخر القرن السادس عشر[1] .

ولكن العمل الذي قام به رابح ، أفقدنا كثيرا من المعاهد الدينية التي كانت تقوم بدور هام في نشر الاسلام والثقافة العربية ، فقد أصبح الحصول على تاريخ أي معهد مستحيل أثناء استقصائنا قليلا من المعاهد ، مثل معهد الشيخ الكانمي الذي أسسه بنفسه وكان مؤسسه قد درس في كل من المدينة النبوية والازهر الشريف واستقبل رجوعه الى وطنه وقبل أن يقوم بأي دور سياسي في البلاد وكان ذلك في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي (١٧٩٦ م) . وكان الكانمي عالما متفقها ، مما أكسبه عددا كبيرا من الطلبة ، وكان نفوذه في سلطنة البرنو ، لا يقل عن نفوذ عثمان دن فوديو في غرب القارة وأكبر دليل على ذلك هو قدرته على تجهيز جيش استطاع به أن يهزم الفلاته ، بعد أن عجز سلاطين البرنو عن ذلك وقد أعطى الشيخ الكانمي كل

---

(١) علي أبو بكر : الثقافة العربية في نيجيريا ، ص ١١٢ .

اهتمامه لمعهده ، تاركا أمور الدولة كلها للسلاطين .

وكان هذا المعهد يضم العديد من الطلاب الدارسين ، وأيضا عددا من الاتباع للشيخ وكان يساعد الشيخ بعض العلماء والاتباع في التدريس في هذا المعهد (١) .

على أنه في أواخر عهد الاسرة السيفية فقد أصبح هناك عدد قليل جدا من أفراد الاسرة الحاكمة يهتمون بالثقافة العربية الاسلامية ، ويعملون على تشجيع العلماء وتقريبهم اليهم وأيضا تشجيع الطلاب وبذل العطاء لهم والمحافظة على المؤسسات العلمية أو على الأقل محاولة مساعدتها في تأدية رسالتها (٢) .

وقد وجد غير هذا المعهد ، معاهد أخرى كثيرة مارست دورا هاما في نشر الثقافة الاسلامية العربية والحضارة الاسلامية بين القوم ، ومنها المعهد الذي أسسه الشيخ عبد السلام بن حبيب ، والذي درس فيه النحو والفقه ، والتفسير ، وهي العلوم التي كان بها يحف ونشر الثقافة العربية في أرغيرنو وأيضا الاديب الحاج ابوبكر ، وهو من سلالة السلاطين

---

(١) علي ابوبكر : نفس المرجع ، ص ١١٨ .

(٢) علي ابوبكر : المرجع السابق ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

المثقفون ويعد ... بعد من أكبر المعاهد العلمية في برنو ، ويوجد غير هذا المعاهد كثيرا من المعاهد التي كانت تنتشر في القرى الصغيرة وفي البوادي وفي أي مكان كان يوجد فيه مسلمون كان العلماء والفقهاء يعملون من خلال تدريسهم ومواعظهم على نشر الثقافة العربية في البلاد [١] .

وكان لمصر دورها في نشر العقيدة الاسلامية وكان للتعليم الاسلامي أثر في تدعيم هذه المراكز الاسلامية ، ذلك أن مجموعة من العلماء والفقهاء قد حملوا مشاعل العلم والمعرفة الى تلك البقاع من القارة الافريقية ، بعد أن تلقوا تعليمهم في مدارس مصر العلمية وفي أزهرها الشريف ومن هنا فقد صحب النهضة الاسلامية في برنو ، تطور ثقافي يتمثل في انتشار الثقافة العربية الاسلامية [٢] .

وساعد على انتشار هذه الثقافة العربية الاسلامية في برنو ، تلك الكتب التي تفسر المذهب المالكي ، والتي صحبها العلماء معهم الى برنو ، وقد ساهمت هذه الكتب والافكار الاسلامية المصرية ببرنو عن الطريق .

---

(١) علي أبو بكر : نفس المرجع ، ص ١٢٠ .

(٢) عمر أحمد عثمان : نفس المرجع ، ص ٧٩ .

والمحن التى مرت بها فى ادوار تاريخها على أن تظل باقية كمركز اشعاع للحضارة الاسلامية والثقافة العربية فى وسط السودان (١) .

قام العلماء العرب القادمون من دول الشمال الافريقى بدور هام وفعال فى الحركة العلمية والثقافية فى برنو . فقد تثقف العلماء من برنو والبلدان الافريقية . واتصلوا بأهلها ونشروا العلم بينهم ثم عادوا الى اوطانهم بعد أن كانوا قد اقاموا فى تلك البلاد واشتهروا بالعلم والتف حولهم تلاميذ كثيرون ولم يعد يألفون العنصرية . فقد انتظموا جميعا ابناء دين واحد . ولغة واحدة على تراث فكرى وحضارى . وقد كان لهؤلاء العلماء أثر عظيم فى تنمية الروح العلمية وتدعيمها على مر الاجيال كما كان لهذا التعاطف اثر فى سرعة الاستجابة لهذه الافكار والاهتداء بها . وقد قام هؤلاء العلماء بدور كبير فى انهم هيؤوا مراكز العلم والتعليم فى افريقيا العربية الاسلامية (٢) .

وكان لهذه المراكز العلمية شأن كبير فى برنو . اذ كانت عاملا من عوامل التحضر كما أنها رفعت مستوى أهل برنو الفكرى وما جاورهم من شعوب السودان على أنه جاء فترة اضمحلت فيها الثقافة فى برنو . وقلت المراكز العلمية فلم يعد بها الا عدة مكاتب ضعيفة تعلم فيها الصبيان وهى مقصورة على المدن .

---

(١) Hodgkin, T.: OP. cit. P. 35.

(٢) عبد المجيد عابدين : صور من وحدة الفكر العربى فى افريقيا ، ص ٢٣-٢٤

الكبرى ، ويصح انه كانت في العاصمة ما يشبه الجامعة التي كان يؤمها الفا أو ثلاثة الاف من الطلاب ، يجلسون على الصلاات وعلى هيآت الاعراف الذين يتعلم ابناؤهم فيها ولكن التعليم كان مقصورا على الكتابة العربية وتحفيظ القرآن الكريم أو سور قليلة منه ، ويذكر أن الاساتذة لم يكونوا اعلم من تلاميذهم وانه ليس هناك تقدم في الحياة التعليمية وقد حدث ذلك التدهور في التعليم في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، عندما تعرضت البلاد للتدهور والانهيار(١)

وذكر دنهام وكلابرتون أثناء زيارتهما لبرنو أنهما سمعا الاطفال الصغار في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر مباشرة وهم يتلون الآيات القرآنية بصوت جهوري عال ، ويتدارسون هذه الآيات القرآنية فيما بينهم وحتى التي كان يطلب منهم الشيخ تلاوتها في الصباح عند الذهاب الى الكتاب ، وكانوا يلتفون حول النار المشتعلة وهم يمارسون هذه القراءة عادة كل يوم حول النار المشتعلة (٢) .

ولا شك أن هذه العادة كانت متوارثة منذ فترة طويلة ، وأن هؤلاء الصبيان قد ورثوا هذه الطريقة في حفظ القرآن الكريم من أسلافهم

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

(٢) Den ban and clepperton : OP. cit. P. 98.

ويلاحظ أن مكاتب تحفيظ القرآن الكريم لم تكن فى العاصمة برنى فقط أو فى المدن الكبرى فى برنو ، بل أنه من دون شك أن هذه الكتاتيب قد انتشرت فى كل مكان دخله الاسلام (١) .

وقد ساعد على تطوير الحياة الثقافية فى البلاد ، أن الاطفال كانوا ينتقلون من مكان الى آخر طلبا للعلم فى هذه المراكز الثقافية التى انتشرت فى برنو وأنهم كانوا يقطعون مئات الاميال على الاقدام طلبا للعلم وللالتحاق بالمدارس والمعاهد التى كانت تدرس القرآن الكريم واللغة العربية وعلومها المختلفة ، وذلك لكى يكتسبوا المزيد من الثقافة العربية الاسلامية .

---

(١) حسن احمد محمود : الثقافة العربية فى أفريقية ، ص ٢٢ .

دور المساجد في الحياة الثقافيــــــة

اذا كان للمعاهد والمراكز العلمية وكتاتيب تحفيظ القرآن دورا هاما في الحياة الثقافية في برنو ، فأن المساجد لا تقل اهمية عن دور هذه المؤسسات الثقافية أن لم تكن مارست أهم الادوار في نشر الثقافة العربية الاسلامية ، بــل كانت مصدرا من أهم هذه المصادر ، ذلك لان المساجد كانت هي أحــــدى ملامح انتشار الاسلام في البلاد لانه كلما انتشر الاسلام في مكان ما ، فان الحاجة تدعوا الى ضرورة وجود المساجد لكي يمارس المسلمون شعائرهم الدينية ويقومون بتأدية الصلاة في تلك المساجد ، وعلى الرغم من المساجد لم تكن تحظـــى بعناية كبيرة في برنو في بادئ أمر الاسلام بها ، اذ نجد أن المساجـــد في المدن والقرى كانت تبنى من الطين والعروش والقنا ، او الطوب اللبن[1] .

وكانت المساجد مكانا استطاع من خلاله رجال الدين أن يقوموا بدورهم العظيم في المجتمع ، وكان دورهم في المساجد هو تأليف القلوب حول الشعائر الدينية وذلك بالاضافة الى أن الاسلام يفرض على أتباعه أن يحملوا رسالتـــه الى كل بقاع الارض من فوق منابر المساجـــد كان يحض علماء الجهـــاد

---

(1) Trininqlam, J.S.: The christian church and islarn in west Afrca. P. 31.

في نشر الاسلام وثقافته وكان ذلك من غير شك بمثابة وقفة قوية . أشـــارت في شعب برنو . شعروا فيها بأنهم قوة متماسكة من ناحية ومن ناحية أخرى بأنهم جزء من كيان عالمي اوسع بكثير من حدود بلاده هم انفسهم وكان دور المسجد هنا قويا في تعميق هذا الشعور لدى مسلمي برنو (1) .

ولقد صارت المساجد في برنو مراكز اسلامية قوية ومنابع للاشعاع الاسلامي والحضاري وبرز دورها وتركت تأثيرها في حياة السكان وطبعت البلاد بالطابع الاسلامي وازداد عدد الداخلين في الاسلام . وظهرت آثار الحضارة الاسلامية العربية واضحة قوية من جراء ممارسة المساجد لدورها في نشر الاسلام والتعاليم الاسلامية وحضارتها (2) .

وكانت تدرس في المساجد كتب الحديث والتفسير وذلك على مذهـــب الامام مالك وهو مذهب الاغلبية في البلاد . وهذا يدل على الدور الهام الـــذي كانت تمارسه المساجد وما زالت تمارسه في نشر الثقافة العربية الاسلامية . وذلـــك ما ذكره استاذي الدكتور حسن احمد محمود . بأنه اثناء زيارته لنيجيريا وتأديته صلاة الجمعة في أحد مساجد العاصمة أن شاهد الخطيب يلقي خطبة الجمعـــة

---

(١) عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الغربي . ص١٠٣

(٢) Lewis, M. : islam in tropicol Africa.P. 23.

بلغة اليوربا وعلموا آيات من القرآن الكريم والاحاديث النبوية وكان ذلك باللغة العربية [1] .

واهتم السلاطين اهتماما كبيرا ببناء المساجد وذلك لايمانهم بالدور العظيم الذى تلعبه المساجد فى نشر الاسلام وتعميق الثقافة الاسلامية بين قلوب الرعية وتوجيه المسلمين وقبائلهم فى برنو على هدف واحد ، فنجد أن السلطان علي غازى ، بعد ما قام ببناء عاصمة بلاده بيرنى ، فانه قام ببناء اربعة مساجد كبيرة ، وذلك بالاضافة الى مسجد القصر الملكى ، الذى كان يؤدى الصلاة به جميع الامراء والنبلاء وسيدات القصر ، وعين لكل مسجد من هذه المساجد اماما ، لكى يؤدى الصلاة يوم الجمعة بالمصلين وكان كل مسجد من هذه المساجد يسع أثنى عشر الفا من المصلين [2] .

وكان السلاطين يختارون ائمة المساجد من بين الذين يتمتعون بسمعة طيبة ويكون لهم تأثير قوى فى نفوس الشعب وكذلك من المعلمين الذين درسوا خارج برنو ورحلوا الى مكة والازهر الشريف ونالوا قسطا وافرا من الثقافة العربية الاسلامية

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٢٠ .

(٢) Palmer, R: OP. cit .P. 34

(٣) Trin qham , J.S.: AAthstory of islam in west Africa.P. 117.

وقد استطاعت مساجد برنو ، ومدارسها أن تجذب اليها طلابا من شتى بلاد غرب القارة الافريقية ومن السودان الشرقى جنوب خضع لبرنو ، ومن ذلك ، نجد أن الحاج عمر أحد زعماء الحركات الدينية فى غرب افريقيا ، والذى لعب دورا بارزا فى تاريخ السودان الغربى ، مكث فترة ليست وجيزة فى برنو لكـــى يتزود بالتعاليم الدينية وليتردد على علمائها ويسمع من قضاتها ويدرس فى معاهدها ويسمع خطبائها فى المساجد وذلك الذى يوسع مداركه ويعمق مفاهيمه الدينيـــــة ويعى ثقافته الاسلاميـــة (1) .

ولقد تركت الثقافة العربية الاسلامية طابعها واضحا فى البلاد ، بل أكثـــر من ذلك فانها تخطت حدود برنو الى الجنوب حيث مملكة الجوكون ، فنجـــد أن قبائـــل الجوكون ، قد تأثرت من تقاليد شعب البرنو ، والذى نال قسطا وافرا من الثقافة العربية الاسلامية وذلك لان هناك فرسان البرنو وأمراء عائلتها قد عاشوا بين الجوكون ومن هنا فقد تأثروا بالحضارة الاسلامية العربية التى تلقاها أفراد شعب برنو فى المساجد ومن الائمة . (2)

ولقد بذل السلاطين كل جهودهم ، على العمل فى نشر المساجد فى ، القرى والمدن ومبانيها وتجميلها فنجد السلطان ادريس الوما بعد أن تولـــى

---

(1) Trimingham, J.S.: OP. cit .P. 181.

(2) Meek, C.K. : Asudonese kindyoms .P. 22.

أمر البلاد بترميم المساجد القديمة ، وذلك لانها كانت مبنية من القش والطين ولم تكن تتناسب مع عظمة امبراطورية برنو ومكانتها في القارة الافريقية ولا مع النفوذ السياسي والثقافي الذي بلغته برنو في عهده ، فأمر بأن تكون كل مساجد العاصمة والمدن الكبرى من الطوب الاحمر الآجر " والحجارة وذلك لكي يتمكن المسلمون من تأدية شعائرهم الدينية والقيام بالصلاة على خير اداء ولا سيما في فصل الامطار الغزيرة ، وزاد اهتمامه بالمعاهد الاسلامية ، فعين الائمة والعلماء لتلك المساجد وبذل جهودا جبارة لكي تقوم تلك المساجد بدورها الهام في نشر الاسلام وثقافته العربية الاسلامية [1] .

وكانت المساجد بالنسبة للمسلمين الذين يسكنون بالقرب منها بمثابة بيوت أخرى لهم اذ كانوا يلوذون بهذه الندوة وكانوا يستخدمونها في منافع أخرى كثيرة [2] .

ومن هنا فانه يمكن القول أن المساجد في بلاد برنو قد قامت بتأدية رسالتها في نشر الاسلام والثقافة الاسلامية وفي نشر الحضارة العربية وثقافتها ، وذلك لان القائمين على أمور هذه المساجد من الائمة والوعاظ والعلماء كانوا قد

---

(1) Ahmed Fartua: Maildris Alloma. P. 39.

(٢) متز ، آدم : الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري جـ ٢ ، ص ٨٧ .

تلقوا تعليمهم الاسلامى ، فى مدارس القاهرة ومعاهدها ، وفى القيروان وما سوطرابلس ثم عادوا الى بلادهم لينقلوا هذه الامور وكان هذا من بين الاسباب التى جعلت المساجد منارة للعلم والمعرفة فى هذه البلاد الافريقية والتى كانت شعوبها تنظر الى المساجد نظرة مقدسة .

الحج وأثره في نشر الثقافة العربية

الحج هو أحد أركان الاسلام الخمسة المفروضة عليها العقيدة الاسلامية ومن هنا فقد حرص شعب البرنو وكانمه على أداء تلك الفريضة وزيارة الاماكن المقدسة في المدينة ومكة . وذلك لما كان يضفي لقب الحاج من احترام وهيبة وقد يسر على الشخص الذي كان يقوم بتأدية هذه الفريضة . والذي كان يتحمل أهوال الطريق ومخاطره في الذهاب والعودة الى تلك الاماكن المقدسة . ولقد كان سلاطين كانم - برنو . من أحرص الناس على تأدية تلك الفريضة . وليس أدل على ذلك من أن السلطان أومي (١٠٨٥ - ١٠٩٧) وهو أول سلطان يعلن اسلامه في كانم وبرنو ويتخذ الديانة الاسلامية عقيدة له . يحرص على تأدية تلك الفريضة حرصه على تمسكه بالدين الجديد الذي أعتنقه وحض رعيته على الدخول فيه افواجا . ولكن القدر شاء له الا يكمل رحلته الى الحجاز اذ أنه مات في الطريق (١) .

ولقد كان من صفات الذين يتخذون الدين الاسلامي عقيدة لهم . ويتمسكون بها هو أن يذهبوا الى الاماكن المقدسة لتأدية فريضة الحج وكانت الدعوى التي الذهاب الى الاراضي المقدسة خاصة بالحكام وعلية القوم في المراحل الاولى لانتشار الاسلام في البلاد . اذ كانوا هم الذين يؤدون الفريضة ومعهم عدد قليل

---

(١) Barth, H. OP. cit. P. 582.

من رعيتهم وكان حكام البرنو — كانم هم أول من ادوا فريضة الحج من سلاطين السودان الاوسط والغربي (١) .

وكان الطريق بين مصر وبرنو حافلا بالنشاط والحركة ولا تنقطع عنه القوافل معظم شهور السنة وذلك لقدوم الحجاج المسافرين الى الاراضي الحجازية ، ولقد مات من سلاطين برنو سلطانين في مصر وهما في طريقهما الى أرض الحجاز (٢) .

ولقد كان الحج من الاسباب الرئيسية في انتشار الثقافة الاسلامية في برنو اذ نجد أن كثيرا من علماء مصر وطلابها كانوا يأتون الى برنو من اجل العمل على نشر الثقافة الاسلامية ، صحبة قوافل الحجاج القادمة من مصر الى بلادها (٣) .

وليس هناك شك في أن الحجاج ، قد تأثروا بالبلاد التي مروا بها ، وهم في طريق الذهاب والعودة الى الاراضي المقدسة ، وأنهم اقتبسوا كثيرا من مظاهرها الثقافية والحضارية وأنهم احضروا بعض الكتب الدينية التي تشرح وتفسر المذهب المالكي ، الذي كانوا يعتنقونه مذهبا لهم ، وأنهم قاموا بشراء نسخ من القرآن الكريم من مصر أو الحجاز أو طرابلس ، لكي يقوموا

---

(١) Trin inqhan, J.S.: The inflence of islam open Afica.P.64.
(٢) الفاطر بسيوني : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والاوسط ، ص٢٢٢ .
(٣) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ص١٢٢

بالقاهرة فيها طوال رحلة الطريق التي كانت تستغرق وقتا طويلا في الذهـــاب والعودة وأن الحجاج كانوا يعودون بكثير من الفوائد الادبية والثقافية والدينيـة التي كانت تنتشر في البلاد التي يمرون بها (١) .

ولقد حرص السلاطين اشد الحرص على تأدية هذه الفريضة لما لها من اثر ثقافي وحضاري وكسبا للعلم والمعرفة . فنجد السلطان علي بن الحاج عمر (١٦٤٥ – ١٦٨٤) يقوم بتأدية فريضة الحج ثلاث مرات اثناء فترة حكمه وهذا يؤكد مدى الاهتمام والرغبة في تأدية تلك الفريضـة (٢) .

وكذلك السلطان ادريس الوما رغم انشغاله بالحروب التي كان يخوضهـا ضد أعدا برنو من بعض الوثنيين فانه استطاع أن يحصل على فسحة من الوقـت لكي يقوم بتأدية فريضة الحج وذلك لايمانه العميق بأهمية تلك الفريضه . وقـد عادت هذه الزيارة التي قام بها الى الاراضي المقدسة بالنفع الكثير على البـلاد وكانت سببا في الحصول على الاسلحة الحديثة التي ادخلها السلطان ادريـس الوما في جيشه . وكان اول من ادخلها بلاد السودان (٣) .

بل انه مما يذكر أن البرنويين انفسهم كانوا يدعون للاسلام ويحضرونه أبناءه وحثهم على الاقدام لتأدية فريضة الحج وكانوا يستغلون اجتيازهم للقبائل الافريقية من الغرب الى ساحل البحر الاحمر في الدعوة للاسلام (٤) . فالمسلمون

---

(١) Trimingban, J.S.: Abistory of islom in west Afric P. 115.

(٢) Bentb, H. : OP. cit. P. 598.

(٣) Ahmad ibn fertua. : OPt. cit. P. 38

(٤) محمد عبده محلوف : الاسلام في غرب افريقيا : نهضة افريقيا [illegible]

جهودهم العظيمة على ادخال كثيرا من أهالى البلاد التى كانوا يمرون بها وهم فى طريقهم الى السودان الشرقى حيث القبائل الوثنية التى كانت تقطن هذا الطريق ولا سيما القبائل التى كانت تسكن جنوب بحيرة تشاد و وادای ودارفور .

ويشير وثائق برنو المحلية الى رحيل بعض العلماء الى الجامع الازهر وتوجيههم الى مكة وبرقيهم بغداد وتزودهم بالعلوم الاسلامية والثقافية العربية ثم عودتهم الى بلادهم واشتغالهم بتدريس القرآن وعلوم الحديث وشرح القاسير . وذلك بعد تأديتهم لفريضة الحج وتزودهم بالمعرفة والتعاليم الاسلامية بعد مقابلتهم للعلماء فى مكة والمدينة والقاهرة (١) .

وكذلك فانه أثناء حج السلاطين فانهم اتصلوا اثناء مرورهم بمصر بالسلاطين المماليك . وبوجوه القوم والعلماء والفقهاء . وكانت لهم معهم اتصالات قوية ولمدة كل موسم حج كان سلاطين برنو . يرسلون الهدايا الى سلاطين مصر (٢) .

ومن أثر الاتصال بين اهالى تلك الديار وبلاد الحجاز وغيرها من الدول الاسلامية العربية واختلاطهم بالعرب فى موسم الحج . أن تمكن العرب من حمل تلك الشعوب على أتخاذ لغتهم وحضارتهم . وكان من جزء هذا الاتصال بين

---

(١) Palrer, R. : OP. cit .P. 33.

(٢) حسن احمد محمود : نفس المرجع . ص ٢٠٨ .

ولوه برنو الداعية لتأدية فريضة الحج أن احتك هذا الشعب بمعتقدات العرب وعاداتهم وطباعهم وفن عمارتهم ، وقد ظل نفوذ العرب الحضارى والثقافي مسيطرا على البلاد التى عرب اليها وكان هذا التأثير قويا (١) .

ومن طريق الحج وصلت تآليف المصريين الى بلاد السودان ومنها برنو ، وكانت اغلب هذه التآليف تدور حول فقه المالكية ، وأن مؤلفات السيوطي وغيره من العلماء المصريين عامة فى هذه البلاد ، وكان طلاب برنو الوافدين الى الازهر الشريف ومدارس مصر يأتون صحبة قوافل الحجاج ، وكانوا به يدرسون فقه الامام مالك والعلوم الاسلامية العربية ، ويذكر أن أعظم نشاط قام به أفراد من ميدان الدعوة الدور العظيم الذى قام به أفراد أكسبوا حظا من التعليم الدينى والثقافة العربية الاسلامية أو حجوا الى مكة وجاوروا فى أماكنها المقدسة ، فقد كان هؤلاء الحجاج بعد رجوعهم الى بلادهم يفتتحون المدارس ويقومون بتحفيظ القرآن الكريم ، ويعلمون الاطفال ، مبادئ الدين الاسلامى واللغة العربية وبعض السور القرآنية (٢)

واستفاد هؤلاء الحجاج القادمين من برنو ودول غرب القارة الافريقية لتأدية فريضة الحج استفادة كبيرة وعظيمة من مصر ومن مرورهم بها ، الا أن الثابت تاريخيا أن اختيارهم طريق مصر لم يكن لمجرد العبور أو المرور الى الاراضى الحجازية ، بل لاحساسهم العميق بأهمية مصر فى حياتهم فقد قصدها الحجاج متطلعين وشغوفين لمشاهدة هذا المركز الحضارى والتزود بالثقافة العربية الاسلامية (٣) .

---

(١) لوبون ، جوستاف : حضارة العرب ، ص ١٠٩

ومن هنا يمكن القول أن مصر ، وحتى في هذا الموقع لتلقي تواصل الحجاج القادمين من الشمال الافريقي وبلاد السودان الغربي والاوسط قد ساهمت بدور هام في نشر الثقافة العربية الاسلامية في برنو وتركت تأثيرها القوي على الحياة الثقافية بها .

كذلك فان الحج كان احدى الوسائل الهامة في تعميق العقيدة الاسلامية لدى شعوب تلك المنطقة وأيضا عاملا قويا في نشر الثقافة العربية الاسلامية اذ أن الحجاج كانوا يعودون الى بلادهم وهم أكثر حماسا للعمل من أجل العقيدة الاسلامية ومن أجل نشر الثقافة العربية الاسلامية والمحافظة على الدين القويم وطرح البدع والخرافات التي علقت بالدين الاسلامي الحنيف .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٦٢ .

(٢) سر الختم عثمان : نفس المرجع ص ٣٨ .

ج ـ الطرق الصوفية وأثرهـــــا في الحيـــاة الثقافيـــة

لقد كان للطرق الصوفية أثر كبير في نشر الاسلام وثقافته العربية الاسلاميـــة في برنو بل أن أثرها فاق كل المؤسسات الثقافية والمساجد في نشر الاســـلام وبالذات الصحـــراء ... اذ نجد أن تلك الطرق قد عملت بمختلف الوسائل على نشر الثقافة العربية الاسلامية بين مواطني برنو وذلك بما وفرتها ضـــمن بعض المهديين والانصار والدعاة الذين كانوا يعيشـــون فترة من الزمن في زواياها المنتشرة في الصحراء ، والذين كانوا يعتنقون أفكارها ويعملون علـــى نشرها . ولقد تأثرت برنو في تاريخها المتأخرة بعدة طرق صوفية منها الطريقـــة السنوسيـــة ، والقادرية ، التيجانية والمهدية وقد تركت كل هذه الطـــرق الصوفية بصماتها في الحياة الاسلاميـــة في برنـــو .

أ ـ الطريقة السنوسيـــــــة

تنتسب الطريقة السنوسية الى مؤسسها الشيخ محمد على السنوسي ، وهو الزعيم والمصلح الذي استلهم تعاليم الدعوة الوهابية في محاربتها للبدع ، وقـــد استمد الشيخ السنوسي مؤسس الطريقة هذه التأثيـــرات الدينية ، أثنـــاء

أقامته بمكــــة لطلب العلم وقت استيــــلاء الحركة الوهابية عليها ، فما هرهــم وعلمه على أيدى علمائها وتأثر بمذهبهــم (١) ولما عاد الى بلاده عمل مــن خلال وعظه على أن يقوى المسلمين فى النواحى التى أقام فيها تلك الزاوية وعمــل على أن يضم اليه كثيرا من الانصار ، وأن ينشر تعاليمه بين السكان (٢).

لذا فان طريقته قد أثرت تأثيرا قويا واسعا وسط الصحراء ، وانتشرت الزوايا الـ التى تدين للسنوسية فى برنو ، وتركت تأثيرها على الحياة الثقافية والدينية علـى الالاف من الموالين لها فى تلك البلاد بل أكثر من ذلك أن هؤلاء الموالـــين للطريقة السنوسيــة كانوا يحاولون كل يوم كسب الانصار للطريقة والعمل على تشجيع انتشارها بين أهالى برنو وخاصة فى الجزء الشمالى من البلاد ، والقرب من الزوايا زاد لا لأن هذه الطريقة تباحا عليها وساهمت فى نشر الثقافة العربية الاسلامية بـــين السكان (٣)

وكانت تأثيرها فى بادئ الامر محدودا ، اذ أنها لم تؤثر الى فـــى الاجزاء الشمالية من كانم ــ برنو ، وهى الاجزاء التى تجاور الصحراء الليبيــــة والواحة التى كان يقيم فيها صاحب الطريقة وهى واحة جغبوب ولكنها سرعان ، مــا انتشــرت الطريقة فى برنو وانضم اليها اعداد كبيرة من المريدين والدعاء (٤).

---

(١) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، ص ٢٢

(٢) Trimingham ,J.S. : Ahistory of islam in west Africa P. 159.

(٣) Trim ingham, J.S.: Ib Id.P. 160.

(٤) Trimingham, J.S.: The influence of islam open Africa.P. 122.

ولم يتوقف نشاط الطريقة في كسب المريدين والاتباع والموالين لها ، بل أنها عملت من خلال الزوايا التي انتشرت في أنحاء متفرقة في الصحراء على نشر الاسلام وثقافته بين القبائل الوثنية التي تقع الى الجنوب من المناطق الاسلامية والتي لم يصل اليها الاسلام بعد ، ومن خلال نشر الاسلام فانها كانت تنشر الثقافة العربية الاسلامية واللغة العربية ، وتخليص الاسلام من الشوائب التي علقت بين القبائل ، وقد ساعدهم على ذلك ، ما أجمع عليه أغلب ائمة المسلمين من عدم جواز ترجمة القرآن ، فكان لابد لمن يتعلمه ويحفظه أن يقبل على تعلم اللغة العربية والتي كان يقوم بتعليمها المريدين وأيضا عدم القراءة بغير اللغة العربية في الصلاة وعلى ذلك فقد كان كل داخل في الاسلام أن يتعلم حفظ ما يقوم به صلاته ثم يمضي الى تعلم اللغة العربية ليزداد تفقها في الدين (١) .

وعمل انصار الطريقة على ادخال الاعداد الكبيرة من الوثنيين في الاسلام وتعليمهم اللغة العربية ، وان كان نفوذ الطريقة السنوسية لم يصل الى مثل نفوذ الطرق الاخرى التي وجدت لها أنصار كثيرين في البلاد ، ولكن ليس هذا يعني أن تأثيرها كان ضعيفا في البلاد ، ولكن أنصارها لم يكونوا

---

(١) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٥١ .

من الفترة بالقياس إلى الطرق الصوفية الأخرى التي تنافسها (١) .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أنها كانت من الطرق الغالبة في البلاد وأنها كانت تتمتع بنفوذ روحي على كثير من المريدين وأنها ساعدت على تعميق الشعور الإسلامي لدى الوطنيين وساعدت على نشر الثقافة العربية الإسلامية (٢) .

على أن الطريقة كانت كل يوم تكسب لها أنصارا جددا ، وذلك بالعمل الدؤوب والنشاط الذي لا يكل ، والذي كان يقوده شيخ الطريقة وبذلك فإنها نجحت في أن تضم إلى صفوفها رؤساء القبائل وزعمائها (٣) .

ولكن قبل سقوط الأسرة السيفية كان هناك عوامل ساعدت على انتشارها في برنو - كانم ووداي ، ذلك أن أمير وداي محمد الشريف ، والذي كان قد تتلمذ على السنوسي وصادقه أثناء إقامته الأولى في مكة ، ثم أنه لما عاد إلى بلاده وتولى السلطنة ومن ثم فإنه قام بالعمل على نشر الطريقة السنوسية بين قومه (٤) ، واستخدام كل الوسائل الممكنة للعمل على نشرها خارج نطاق وادي والتوسع في نشرها غربا في كانم - برنو ، وباجرمي ، ولكن الفرنسيين بدخولهم إلى وسط افريقيا ، وضعوا حدا لنشاط الطريقة السنوسية في وسط الصحراء ، بل عملوا على محاربتها ، وتدمير الزوايا التي كانت منتشرة في صحراء كانم (٥)

---

(١) ديهان ، هوبير : نفس المرجع ، ص ١٤٠ .
(٢) عبد الرحمن زكي : المسلمون في العالم ، ص ١٣١ .
(٣) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٦٢ .
(٤) أحمد صدقي الدجاني : الحركة السنوسية رسالة ماجستير ، غير منشورة آداب القاهرة ، ص ٧٠ .
(٥) Trimingham, J.S.: Islam in west Africa P. 101.

ذلك أن هذه الزوايا التي كانت تنتشر على عرض الصحراء ، قاومت الاستعمار الفرنسي وتقدمه داخل القارة الافريقية ، وحاولت ان تمنع تقدمه ولذلك حدثت بينهما عدة حروب ، واستطاع الاستعمار أن يرضخ تعليمة لزحف الزوايا وانحصارها نحو الجنوب ، وأن يحصر نشاطها ، وبذلك فان انصارها لم يعد يمثلون ثقلا سكانيا منسجما ، بل صاروا عبارة عن مجموعات قليلة من السكان متناثرة وسط الصحراء [1] .

ولكن الطريقة عادت ووجدت طريقها الى برنو واستطاعت أن تكسب ارضا جديدة ، وذلك عندما استرد سلاطين برنو الكانميين عرش بلادهم المفقود ، وكانت هذه الاسرة الحاكمة في برنو قد لاذت بالفرار بعد سقوطها على يد رابح الزبير ، واستقرت بين قبائل التبو ، بعد أن طرد من عرشها وفي الفترة التي قضتها بين هذه القبائل وهي فترة تناهز عشرة سنوات ، انضمت هناك الى الطريقة السنوسية السائدة ، ولما تغيرت الظروف السياسية في برنو وعودة الاسرة الحاكمة الطريق مفتوحا امامها عادت الى برنو ، وفي ركابها الطريقة السنوسية ويعتبر سلطان برنو الشيخ البكري أول من أدخل الطريقة السنوسية الى برنو ، وأن كانت الطريقة قد انتشرت منذ فترة طويلة

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٢ .

من افراد المصريين كانو أقامت لها عدة زوايـــــا ولا سيما في الشمال [1] .

وليس هناك شك في أن الطريقة السنوسيـــة ، قد عملت بكل الطرق والوسائل على نشـــــر الاسلام بين القبائل الوثنية التي كانت لا تزال تسيطر على الفطـــرة ، بل انها عمقت المفاهيم الاسلامية في نفوس المسلـــمين ، وعملت على تخليــــص الدين الاسلامي الحنيف من الشوائب والبدع التي علقت به ، وأيضا من خـــــلال هذا كله يأتيها عملت على نشر الثقافة العربية الاسلاميـــة في كل مكان وصلـــت اليه تعاليمهـــــا .

---

(١) على ابوبكر : نفس المرجـــــع ، ص ١٢٠ .

ب / الطريقــــة القادريــــة

أسس هذه الطريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وكان ذلك في نهايـــة القرن الثامن عشر الميلادي ، وقد أنتشرت الطريقة القادرية انتشارا واسعا فـــي مساحة تمتد من برنو شرقا الى مصب نهر النيجر غربا ، وقام انصارها بنشـــاط عظيم وبجهود هائلة في أنشاء الزوايا والربط والمدارس ، وإرسال البعـوث ، والتبشير بين الوثنيين ، وقد انطلقت في تأدية رسالتها بالجهود السلمية ، وعملت على نشر الاسلام والثقافة العربيـــة [1] .

وكان لهذه الطريقة الدينية ، الفضل الاعظم في نشر الدعوة الاسلاميـــة في السودان الاوسط والغربي ، وذلك للجهود الموفقة التي بذلها دعـــاة الاسلام من الموريتانيين في تلك المنطقة واغلبهم من اتباع الطريقة القادرية [2] .

وقد عمل الاتباع على كسب الانصار للطريقة ، ونشر التعاليم الاسلاميـــة والثقافة الاسلامية العربية ، وقد كانت هذه الطريقة من اشهر الطرق الـــتي انتشرت في البلاد ، وكانت تقوم على مذهب الامام مالك ، وهو المذهـــب السائد بين شعب البرنو والكانم [3] .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجـع ، ص ٢٩٦ .

(٢) ديفان ، هوبير : نفس المرجع ، ص ٢٣٦ .

(٣) ابراهيم طرخان : نفس المرجـع ، ص ٦٢ .

وكان لها الفضل السبق في البلاد ، اذ كثر انصارها دون الطرق الاخرى ، وأصبح كثيرا من التلاميذ والعلماء والائمة والفقهاء من انصار الطريقة القادرية ، وحاولت أن تجد لها انصارا هناك (١) .

على أن هناك اشارات تشير الى أن الطريقة القادريه لم يكن أنصارها وحدها من الكثرة في برنو ، وذلك بالنسبة الى الطريقة التيجانية ، الا أنها كانت تحاول أن تكسب كل يوم انصارا جدد لها (٢) .

على أنه لا يستطيع أحد أن ينكر فضل الطريقة القادرية في نشر الاسلام وثقافته الاسلامية في مجاهل القارة الافريقية ، فلقد كان لها نشاط عظيم في التبشير في مجاهل القارة وخاصة المناطق التي كانت تقع الى الجنوب من برنو ، حيث استطاع الاسلام أن يجد صدى لها في نفوس كثيرا من أبناء القارة لدرجة أن الوثنيين عندما اعتنقوا هذه الاجزاء عملوا على التقرب الى رؤساء الطرق الصوفية ، وذلك لكي يستتب لهم الامر ، وذلك لما يتمتع به هؤلاء الرؤساء من احترام ونفوذ كبير لدى شعوبهم ، (٣) .

---

(١) Trimingham, J.S.: islam in west Africa P. 96.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

(٣) محمد عبده مغلوف : الاسلام في غرب افريقيا ، نهضة افريقيا ، عدد ٤٩ ، ٥٥ .

وقد انتشر دعاة الطريقة في المراكز التجارية ، والمدن الكبرى ، حيث قاموا بفتح المدارس لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية والثقافة الاسلامية ، وذلك في اقاليم الوثنيين التي كان الاسلام لم يصل اليها بعد (١) .

وعملت الطريقة على نشر عقيدتها وفلسفتها بين الافريقيين في تلك المناطق واستطاعت أن تكسب اعدادا كبيرة من الانصار ، وبذلك فانها استطاعت ان تقوم برسالتها في نشر الاسلام وتحسين طاهيته لدى شعب برنو ، بل أنها استطاعت أن تساهم مساهمة كبرى في نشر الثقافة العربية الاسلامية وبذلك فانها اثرت في الحياة الثقافية لشعب برنو ، تأثيرا قويا وساهمت بجانب الطرق الاخرى في نشر الثقافة العربية الاسلامية لدى سكان البلاد .

---

(١) Trimingham, J;S.: A history of islma in west Africa P. 159.

ج/ الطريقـــة التيجانيـــة

أ/ كانت الطريقة السنوسية والقادرية قد أثرت في الحياة الثقافيـــة بشعب برنو وساعد على نشر الثقافة العربية الاسلامية ، فانه كان بجانـــب هاتين الطريقتين طريقة أخرى صوفية استطاعت أن تنتشر في البلاد ، تلك هـــي الطريقة التيجانية ، والتي أصبحت هي السائدة دون الطريقتين الاخريين [1] .

وقد اتخذت هذه الطريقـــة طابعا حربيا في نشر رسالتها ومن هنا فانهـــا استطاعت أن تكسب لها انصار كثيرين وأن يكون نفوذا واسعا في بلاد الســودان الاوسط والغربي [2] .

وكانت الطريقتين السنوسية والقادرية في برنو ضعيفتين الى جانبها ، وذلك أن أكثر أهل البلاد ، كانوا من أنصار الطريقة التيجانية حتى لقد أصبحت هـــي المذهب الشائع في البلاد واعتنق مذهبها معظم الاهالي وكثر الدعاة لها بيـــن القبائل والمدن والقــرى [3] .

وذلك لان مبادئها كانت تدعو الى الشدة في نشر الاسلام وثقافته بعكـــس القادرية التي كانت تدعو الى التساهل والتسامح في نشر طريقتها بين الاهالي [4] .

---

(١) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Africa P. 122.

(٢) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٩٤ .

(٣) ديشان ، هوبير ، نفس المرجع ، ص ١٣٦ ــ ١٣٩ .

(٤) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٨ .

ورغم أن الطريقة التيجانية ، لاتت تدعو الى الشدة فى نشر مطالبهــا وفى جعل مريديها يخضعون لنظام صارم من الانضباط والخضوع فى تنفيــذ الاوامر وما يطلب منه من أعمال ، فان أحد سلاطين بورنو قد أعتنق هــذه الطريقة ادخلها فى البلاد وأطلق العنان للمريدين لكسب انصارا لهـــا وساعدها بكل الوسائل وذلك لزيادة انتشارها فى البلاد [1] .

على أنه مهما يكن ، فان الطرق الصوفية التى أنتشرت فى البلاد قد عملت على نشر الديانة الاسلامية وثقافتها التى كانت تعتمد على اللغة العربيــة فى تحفيظ القرآن وقراءته ، وفى رواية الاحاديث وفى تفسير الايات القرآنيـــة وفى القاء الاحاديث والمواعظ ، وفى شرح المسائل الفقهية ، وكل هــذه الامور ساعدت على نشر الثقافة الاسلامية العربية فى البلاد وأصبحت الاجــزاء التى انتشرت فيها تلك الطرق اسلامية عربية ولكن هذه الطرق الصوفيــة صحبها نهضة شاملة مهدت الى الانتشار ، وزاد نشاطها واتخذت أحد انهــا فى نشر رسالتها واستطاعت هذه النهضة الاسلامية التى صاحبت هــذه الطرق تخليص الدعوى الاسلامية من الركود [2] .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة بورنو ، ص ٧٨٣ .

(٢) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٤ .

د / الطريقة المهديـــــة

بجانب هذه الطرق التي انتشرت في البلاد ، وجدت المهدية طريقها الى برنو في ركب رابح الزبير ، الذي دفعته انتصاراته الى أن يقوم بالدعـــوة للمهدية في البلاد التي أخضعها لنفوذه وحكمه ، وكان أن بث بين القبائـــل أنه ورث سيف النصر من المهدي وصدقته القبائل التي أصبحت تحت سيادتـــه وانتشرت الطريقة في برنو (١) .

وإن هذا لا ينفي أن المهدية دخلت برنو قبل دخول رابح اليهـــا ، وذلك بين القبائل التي أعجبت بطريقة وكيفية استيلاءه على مقاليد الامور فـــي السودان وكثرة أنصاره وبذلك فان الطريقة تخطت حدود السودان الشرقـــي الى الاقاليم الواقعة غرب مثل وادي ودارا وبرنو ، وساعد على ذلك أن خليفـــة المهدي عبدالله التعايشي كانت اسرته اصلا من بلاد التكرور ، وقد دخـــل في المهدية بعضا من أهل التعايشي (٢) .

ولقد عملت كل هذه الطرق الصوفية ، على نشر الاسلام وثقافته بـــين شعب برنو ، بل أنها وقفت في وجه الاستعمار الغربي الذي حاول أن ينزع العقيدة الاسلامية من نفوس أهالي البلاد ، ومن هنا فانه يمكن القول أن برنو

---

(١) علي أبوبكر : نفس المرجع ، ص ٢٤ .

(٢) Trimingham, J.S.: The influence of islam open Africa P. 78.

قد وصلت الى مملكة السودان ، جعلتها اساسا للحضارة السودانية ، اذ أنها اخذت من العرب ، ليست عربية ، وأخذت من زنوج الزنج ولم تكن زنجية ، تختلف عن كليهما وتتميز بطابعها الفريد [1] .

وعلى هذا فان بربر وصلت الى مرحلة من التقدم الثقافي والحضاري الاسلامي جعلتها رائدة الحضارة الاسلامية في بلاد السودان .

---

(١) شريف محمد شريف : نفس المرجع ، ص ٢٤ .

((الخاتمة))

في هذه الدراسة يتضح أن سلطنة برنو الاسلاميه ، والتى كانت كانم ـ برنو قبل القرن الرابع عشر الميلادى ـ ثم صارت بعد ذلك برنو ـ كانم ـ فبعد أن كانت برنو جزء من الكانم أصبحت الكانم جزء من برنو ـ كانت سلطنة طبعت بالحضاره العربيه الاسلاميه وكان لها طابعها المميز في ملائمة هذه الحضاره العربيه الاسلاميه الوافده من الشمال والشمال الشرقى مع تقاليدها وبيئتها الأفريقيه ، فعلى الرغم من أنها أخذت عن العرب ثقافتهم الا أنها لم تكن عربيه وأختلفت عن زنج الزنوج ، ولم تكن زنجيه بل كانت لها حضارتها وثقافتها المتميزه ، على الرغم من أن الحضاره العربيه تركت بصماتها القويه والواضحه في تلك البلاد .

وقد ساعد على ذلك اتصالها المستمر بالعالم الاسلامى والهجرات العربيه الواسعه واستقرار الأعداد الكبيره في القبائل العربيه وأنصارهم في برنو وعملهم على نشر الاسلام وحضارته .

وكانت هناك عده عوامل ساعدت على صبغ البلاد بالصبغه العربيه الاسلاميه وتأثرها بالحضاره الاسلاميه منها أن برنو ، قد ارتبطت بعده روابط قويه مع كل البلاد الاسلاميه المعاصره لها ، وأنها قد نوجئت وجنت ثمرات هذا الاتصال مكان من جراء اتصالها بمصر أن رحبت مصر بطلاب برنو في الجامع الأزهر وأفردت لها رواقا عرف باسم رواق البرنيه وأجزل لهم السلاطين العطاء والمنح وساعدوهم على اكتساب المعرفه والحضاره الاسلاميه العربيه وذلك حتى اذا ما عادوا الى بلادهم فانهم يحفظون لمصر كرمها وفضلها العلمى والحضارى وكان هؤلاء يتولون قياده بلادهم فمنهم

من يتولى الأمور القضائيه والاداريه والتنظيميه ، ومنهم من يتولى شئون التعليم والأمامه والوعظ والافتاء .

ورحبت برنو بتلك الثقافه الاسلاميه العربيه وعملت من جانبها على أن تشارك مصر فى أداء رسالتها الثقافيه والحضاريه والقائمه على مذهب الامام مالك . وتجلى ذلك واضحا فى قيام أهل برنو بانشاء مدرسه بالقاهره كانت من أشهر المدارس بها . وعرفت بمدرسه بنى رشيق . وذلك لكى تؤدى هذه المدرسه رسالتها الاسلاميه ولكى تشارك قلعة الحضاره العربيه ومناره الموقع من تثقيف أبناء السودان الذين يوفدون اليها بالتزود للثقافه العربيه الاسلاميه .

ولم يقف حكام مصر وسلاطينها موقفا سلبيا من أهل برنو بل عملوا على توفير الراحه والاستقرار للتجار الكارميه فنجد السلطان العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبى ، يأمر ببناء فندق للتجار الكارميه على ساحل نيل مصر ببولاق . وذلك لكى يكونوا لهم مقرا وكانوا يسترحون فيه . ولكى يستطيعوا أن يمارسوا نشاطهم التجارى . بل أكثر من ذلك فانهم منحوا التسهيلات اللازمه فى كل الموانى والبلاد الطلبيه المصريه مثل الاسكندريه وعيذاب ودمياط وغيرها من موانى البحر المتوسط والأحمر وسمح لهم باقامة نقابه تجاريه عليها رئيس منهم ليدافع عنهم وعن حقوقهم . وقابل التجار الكارميه هذا الكرم بالمساهمه فى بناء اقتصاد البلاد وذلك بما كانوا يدفعونه من ضرائب وتبرعات وما كانوا يقومون من أعمال التعمير والانشاء وفى المساهمه فى تحمل نفقات بعض الحملات الحربيه من أعداء مصر .

وذلك لما كانوا يمثلونه فى مصر وكونها قلعة الحضارة الاسلامية وحصن الاسلام والعروبة . وأيضا فقد حفظ ديوان الانشاء المصرى نماذج لمكاتبة سلاطين برنو وهذا دليل قوى على عمق الصلات والروابط بل ان السلاطين مصر كانوا يتابعون الأحداث التى تجرى فى برنو وفى غيرها من بلاد السودان الغربى والأوسط وذلك لما كان لهم من نفوذ سياسى واسع فى تلك البلاد . ومن هنا فان مصر استحقت النظرة الوقورة والعظيمة التى كان ينظر بها اليها سكان برنو . وليس أدل على ذلك الرسالة التى بعث بها سلطان برنو مع ابن عمه صحبة قافلة للحج الى سلطان مصر المملوكى السلطان الظاهر برقوق فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى (١٣٩٣) يشكو فيها عرب خدام . وهجومهم على بلاده وساعدتهم أعداء البلالة على قتل السلاطين وطردهم من ديارهم ودور أجدادهم . ولهذا كانت الدافع الى ارسال تلك الرسالة ما كانت تتمتع به مصر فى مكانة عالية وقدرة على تأديب هؤلاء الأعداء الذين نشروا الفساد على أرض برنو كما جاء فى رسالة سلطان فى البلاد .

وكان لموقع مصر فى طريق الحج دور هام فى الاتصال مع برنو ذلك أن سلاطين برنو وحكامها وأمرائها كانوا يخرجون كل عام فى موكب حافل الى الأرض الحجازية وأنهم كانوا يمرون بمصر ويستقرون بها فترة من الزمن ينالون فى ثقافتها وحضارتها وذلك لأن الحجاج برنو وبقية بلاد السودان يقصدون مصر متطلعين ومتشوقين لمشاهدة ذلك المركز الحضارى المشع من جميع جوانبه وكان المرور بمصر والاستقرار بها من احدى الدوافع على حرص سلاطين برنو على القيام بتأديتهم فريضة الحج وذلك لأن برنو كانت

من أول البلاد السودان التي دخلها الاسلام وكان سلاطينها أسبق سلاطين السودان الى تأديه فريضه الحج كانوا أسبق من مالى وسنغالى وغانا .

وليس أدل على حرص سلاطين برنو على تأديه تلك الفريضه فى وجود بعض السلاطين قاموا بتأديه جزء الفريضه ثلاث مرات منهم السلطان ٠ ٠ على بن الحاج عمر (١٦٤٨ ـ ١٦٨٤ م) والذى قام بتأديه تلك الفريضه فى أعوام ١٦٤٨ ، ١٦٥٦ ، ١٦٦٧ م وكان من جراء تلك الاتصالات أن وفد على برنو كثيرا من العلماء المصريين صحبه القوافل الحجاج وحلت الكتب الدينيه والاسلاميه التى كانت تدرس فى مصر الى مدارس ومراكز برنو العلميه .

ولم ترتبط برنو بمصر فقط بل ارتبطت لكل من ليبيا وتونس ومراكش وذلك لأن هذه البلاد كانت منفذها الى العالم الخارجى وكانت الطرق الصحراويه الممتده عبر الصحراء هى حلقه الاتصال والتى ساعدت على قيام الصلات وطيده بينهما وقد تجلى على ذلك اتصال سلاطين برنوا لهدايا و السفارات الى كل من حكام ليبيا وتونس والمغرب .

وارتبطت بلاد غرب القاره ووفد اليها العلماء من مالى وسنغاى ومارست برنو دورا سياسيا ونفوذا قويا على امارات الهوسا ووسعت حدود غرب وفرضت سيطرتها على كثيرا من الاجزاء التى نفذتها سنغاى ومالى وأدت دورها فى مساعده تلك الشعوب ولم تقف مكتوفه الأيدى أمام الزحف المراكشى فى الشمال والذى أنهى وجود سنغاى عام ١٥٩١ م . وذلك بقيام السلطان ادريس الوما بارسال قواته العسكريه لمساعده أقاربه حكام سنغاى .

وارتبطت برنو بالأقاليم الشرقيه وادى وباجرى وسودان وادى النيل ووجدت تثار

تدل على أن برنو فرضت نفوذها على دارفور وكردفان ، واتصلت ببلاد العراق والحجاز وتركيا .

وقام جيشها بفرض سيطرة برنو على الأقاليم المجاوره وذلك عن طريق الحملات العسكرية الكبيرة التي كان يقوم بها السلاطين وكذلك فان برنو ساهمت بجزء من قواتها العسكرية في الصراع الدائر في اقليم الأندلس بين المسلمين والمسيحيين وعبرت مضيق جبل طارق وقاتلت الى جانب قوات المسلمين .

وعملت برنو على نشر الاسلام ورسالته السامية بين الشعوب الوثنية التي كانت تسكن الى الجنوب والشرق منها . ورغم أن سكان برنو لم يكونوا أصل دعوة للاسلام الا أن تاريخهم كما أشار الى ذلك أحمد بن فرطو يشهد على أنهم بذلوا جهودا جبارة في نشر الاسلام وثقافة الاسلامية بين القبائل التي كانت تجاورهم وخاصة سكان الغابات الوثنيين وان الحملات التي كان يقوم بها سلاطين البلاد لم تكن من أجل جانب الرقيق كما أشار الى ذلك الكتاب الفرنسيين المسيحيين . بل ان كل هذه الحملات كانت من أجل نشر الاسلام ورسالته السامية وليس أدل على ذلك من أن السلطان على غازى أول سلطان بدعم قوة برنو يخير أحد زعماء القبائل تبهرها بين أعناق الاسلام أو القتل ذلك الزعيم الذى الاسلامى عقيدة له ولقبيلته كذلك ألم يقبل السلطان ادريس الوما أقوى سلاطين برنو على يد أحد الوثنيين وهو يجاهد الكفار بكلاب سكان الغابات ولن يكن هو الذى أرسل للبا السلطان المغرب الأقصى يطلب الأسلحة النارية كن أجل نشر الاسلام عقيدتنا وجاهده الكفار كما أشار الى ذلك في رسالته المرسلة عام ٩٩٠ ق . هـ ١٥٨٢ م .

كذلك ألم يكن نظام الحكم القائم في برنو نظام حكم شورى قائم على أساس الشورى وذلك عملا بما جاء في القرآن الكريم وقوله تعالى . وأمرهم شورى

بينهـم وقولـه تعالى • وشاورهـم فى الأمر وأيضا ألم تكن مكاتبـات السلاطـين ومراسيمهـم وقوانيهـم لتصدر باللغه العربيـه وألـم تكن نظم الضرائب والشئون الماليـه للبلاد قائمـه على ماجاء به الاسـلام من زكاه وجزيه وعشـر كذلك ألم يكن جيش برنو يسـير على نظم جاء بهـا قادتـه من الشرق والشمال الاسـلامى وألم تكن الأسلحـه والخيـول وكل معدات وأدوات الحرب قادمـه فى العالم الاسـلامى •

من كل هذا تستطيع القول أن برنـو ارتبطت بالعالم الاسـلامـى العربى ولولم تكـن الظروف الصعبـه التى مر بهـا العالم العربى الاسـلامى وما أصابـه من ضربـات على أيدى المغـول • والتتـار والصليبيـون والمسيحيين فى الأندلس لكانت تلك المنطقـه محل الدراسـه اليوم جـزء من العالم العربى الاسـلامى الناطق باللغـه العربيـه لغه العبـاد •

وأما كان هذا لا ينبغـى وجود أعداد كـبيره جـدا اليـوم من المسلمين والناطقـون باللغـه العربيـه فى شمـال نيجـيريـا •

(الملحــــق رقم "١")

{ رســـم المكاتبة الى سلطان برنو }

القلقشندي : صبح الاعشـى في صناعـــة الانشـــــا

ج ٨ ، ص ٧

ادام الله تعالى ، نصر الجناب الكريم ، العالي الملك الجليــــل ، الكبير العادل ، الغازي ، المجاهـد ، الهمام ، الاوحـد ، المظفر ، المنصور ، عز الاسلام ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملـــوك والسلاطين ، ظهير الامام ، عضد أمير المؤمنين ، فـــلان ويدعى له بما يناسبـــــه .

((ملحـق رقـم " ٦ "))

نص الرسالة المرسلة من سلطان برنـــــو

" السلطان عمرو بن عثمان " الى سلطان مصــــر

المملوكي : السلطـــان الظاهـــر برقـــوق

القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشـا

ج ٨ ، ص ١١٦ ــ ١١٧

" بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، الحمد لله الذي جعل الخط ترسلا بين الاباعد ، وترجما بين الاقارب ، ومصافحة بين الاحباب ومؤنسا بين العلماء ووحشا بين الجهال ، ولولا ذلـك لبطلت الكلمات وفسدت الحاجات ، وصلوات الله على نبينا المصطفى ، رسولنـا المرتضى ، الذي أغلق الله به باب النبوة وختم ، وجعله آخر المرسلين ، بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، ما لمعت البرق وطالعت الشروق الجليل ، ثم بعد ذلك ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .

من المتوكل على الله تعالى ، الملك الاجل ، سيف الاسلام ، وربيع الايتام الملك القداع القائم بأمر الله ، المستنصر بالله ، المنصور في كل حين وأدان ودهر وزمان ، الملك العادل ، الزاهد ، التقي ، الانجد ، الامجد ، الشمشم فخر الدين ، زين الاسلام ، قطب الجلالة ، سلالة الكرماء ، كهف الصدور ، مصباح الظلام ، ابي عمرو عثمان ، الملك بن ادريس الحاج امير المؤمنين ، المرحوم

كرم الله ضريحه وأدام ذريته . هذا اللفظ وارد على لسان كاتبنا لا لغة ولا نحوا .

إلى ملك مصر الجليل . أرض الله المباركة . أم الدنيا . سلام عليكم . أعطر من المسك الأذفر . وأعذب من ماء الغمام واليم . وأد الله ملككم وسلطانكم . والسلام على جلسائكم وفقهائكم وعلمائكم الذين يدرسون القرآن والعلم وجماعتكم وأهل طاعتكم أجمعين .

بعد ذلك فإنا قد أرسلنا إليكم رسولنا وهو ابن عمي ادريس بن محمـــد . من أجل الجائحة التي وجدناها وملوكنا فان الاعراب الذين يسمون جذاما وغيرهم قد سبوا احرارنا من النساء والصبيان . وضعفاء الرجال . وقرابتنا وغيرهم مـــن المسلمين . ومنهم من يشركون بالله يمارقون للدين . فغاروا على المسلــــمين فقتلوهم قتلا شديدا لفتنة وقعت بيننا وبين اعدائنا فبسبب تلك الفتنة قتلوا ملكنـــا عمر ابن ادريس الشهيد . وهذا اخونا ابن ابينا ادريس بن ابراهيم الحجـــاج . ونحن بنو سيف بن ذي يزن . والد قبيلتنا العربي القرشي . كذا ضبطنـــاه من شيوخنا . وهؤلاء الاعراب قد افسدوا أرضنا كلها في بلد برنو كافة حـــتى الآن . وسبوا احرارنا وقرابتنا مـــن المسلمين ويبيعونهم لجلاب مصر والشـــام وغيرهم . ويختدمون ببعضهم . فان حكم مصر قد جعله الله في أيديكـــم من البحر الى اسوان . فانهم قد اتخذوا متجرا . فابعثوا الرسل الى جميع ارضكم

وأمرائكم وقضاتكم وحكامكم وعلمائكم . وصاحب اسرائكم يغطون ويحسنون ويكلسون فاذا وجدوهم فلينزعوهم حتى يبين أيديهم . وليقتلوهم . فان قالوا . نحن احرار نحن مسلمون فصدقوهم ولا تكذبوهم . فاذا تبين ذلك لكم . فاطلقوهم وردوهم الى حريتهم وسلامهم .

فان بعض الاعراب يفسدون في أرضنا ولا يصلحون . فانهم الجاهلون بكتاب الله وسنة رسوله فانهم يتبعون الباطل . فاتقوا الله وأخشوه ولا تعطوهم ليسترقوا ويأسروا .

قال الله تعالى " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " وقال الله تعالى لنبيه عليه السلام . فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم " وقال الله تعالى " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض " وكان عليه السلام يقول " السلطان ظل الله في الارض يأوي اليه كل مظلوم " وقال " المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا الى يوم القيامة " وقال " المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه الى آخره " وفي الحكمة ومن الفرائض الامر بالمعروف على كل من بسطت يده في الارض . أراد به السلطان . وعلى كل من تصل يده الى ذلك اراد بذلك القضاة والحكام والامراء . فان لم يقدر فبلسانه . اراد بذلك الفقهاء والعلماء . فان لم يقدر فبقلبه أراد بذلك عامة المسلمين " .

أطال الله بقاكم في أرضكم ، وجزاكم الله بالحسنيين عن جهدكم .

قال الله تعالى " الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين

وقال عليه السلام "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " وقال في الحكمة لولا السلطان

لأكل الناس بعضهم بعضا " وقال تعالى لنبيه داود عليه السلام " يا داود إنا

جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك

عن سبيل الله . إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد . بما

نسوا يوم الحساب . والسلام على من اتبع الهدى " .

((ملحق رقم "٣"))

برنـــو وســـكانها

• من كتاب انفاق الميسور بذكر بلاد التكــــرور
لصاحبه : محمـــــد بلـــــو ، ص ١٠ .

برنو هي بلدة ذات أنهار وأشجار ، وجبال واسعة عامرة بالمساكن قبل هــذا الجهاد ولم يكن في هذا القطر أوسع منها ، وأكثر عمارة ويسكنها البربر والعرب المذكورين والفلاتيين ، وفيها مماليك البرابرة الذين يعبدون (؟) والجوش ، وهم الذين طردهم حمير من اليمن بعد افريقين (؟) وسبب طردهم باليمن على ما زعموا ، أن افريقين (؟) ، استغاث به أهل الشام حين أكثر البرابرة الفســاد فيها واستنصره عليهم وغزاهم فشتت جموعهــم وسبا منهم ذراريهم ، ولما رأى نجدتهم استرق ذراريهم عنده مماليك ، يستخدمــون بهم فلما مات ... قاموا على حمير ، فاقتتلوا فطردهم حمير من اليمن ، واستوطنوا ... من أرض الحبشة ، ثم رحلوا كانم واستوطنوها ووجدوا في هذا البلد عربا تحــت حكم أخوانهم التوارك يقال لهم أمكيتا وغلبوهم على البلد ، وأقبلت دولتهم أيام استوطانهم البلد حتى ملكوا ، أقاصي البلاد من هذا القطر ، وكانت وادي ... قبل تحت سلطانهم وكذلك بلاد حوسه بفتح الحاء ... الا ها من بلاد بوشي بفتح الباء وإسكان الواو ثم عممت ملكهم ... من سلاطينهم كثيرون وتظاهروا بالخير والاسلام وإقامة الحدود والشريعة في أقاليمهم جدا ، وفيها آثار الاسلام كثيرة ، وقد انتشر فيها الاسلام انتشارا فــي سلاطينهم ووزرائهم وعامتهم ، بل لا يوجد في هذه البلاد طلبة محققون بقراءة القــرآن وتجويده ، وحفظه وكتابته مثلهم ، ولم تزل العامة هكذا حتى قام هذا الجهاد .

لكن حدثونا أن لسلاطينهم وأمرائهم اليوم مواطن يركبون اليها ويذبحون لها ويرشون بالدماء على أبوابها ولهم بيوت يحملون اليها حيات وأمياه يذبحون لها ، ويعملون للبحر كما كانت تفعل القبط ايام الجاهلية .

ولهم في ذلك أعياد يجتمعون فيها هم وقوادهم وسلاطينهم ومشايخهم ولا يحضرها الا غيرهم ويسمون ذلك عادة البلد ، ويزعمون ان ذلك صدقات يستعينون بها على جلب المصالح ودرء المفاسد ، فاذا لم تفعل تلك العادة بطلت ممالكهم وقلت ارزاقهم وضعفت شوكتهم وتوارثوا هذه العوائد ، كابرا عن كابر ، ولم يبلغنا عن أحد من سلاطينهم وعلمائهم بالقاما بلغوا ، أبطال تلك العوائد الا ماكان من المتقين عن لا يشاركهم في امورهم من الحرب والقلاقة ، فانهم لم يزالوا ينكرونهم على فعلها ويكفرونهم ، ولا شك في كفرهم وأن كان علماؤهم يدعون أنهم لا يعبدون بذلك الاشراك ، ولا يعتقدون ، التأثير لهم كفار لان هذه الاصنام من الاشجار والمياه والاماكن التي يذبحون لها ، كانت اصنام أجدادهم الذين لم يسلموا قبل فهم في ذلك مقلدون لانهم وأن تظاهروا بالاسلام والخير بعد ذلك لان الاسلام في هذه البلاد انما ورد به التجار والمسافرون ، فاخذه من أخذه منهم ، فمن الناس من خلص دينه كما يتخذون الناس من خلطه بما يخالفه وكان غالب ملوك هذه البلاد من هذه القبائل و لانهم اخذوا بالاسلام ويقرون بالتوحيد ويصلون ويصومون ، لكنهم لم يفارقوا ، احوال أجدادهم الاولين ولم يتركوا من عوائدهم شيئا فكل من خالطهم علم بالضرورة انهم يلتبسون بما لا يصدر الا عن كافر فبعضهم من قبل التقليد وبعضهم من عند نفسه ، قال شهاب الدين في نسيم الرياض شرح الشفاء ، من أهل السودان ، قوم مسلمون ، ومنهم قوم كفار ، يعبدون الاشجار ومنهم كفار يعبدون الماء . .

((ملحق رقم "٤"))

نص البيعة التي أرسلها السلطان

المنصور بالله أبو العباس ، سلطان المغرب الى سلطان

برنو السلطان ادريس الوما في عام ٩٩٠ هـ ١٥٨٢ م

من كتاب : الاستقصا في أخبار المغرب الاقصى ، لصاحبه

احمد خالد الناصري ج ٥ ، ص ١٠٦ - ١١٠

الحمد لله الذي أعلى كلمة الحق منارا ، ومساعي في مطالعها النجوم ، وأطلع بها من شمس الهداية الظهيرة ، غياهب الغباوة المدلهمة ، وسحائب الغواية المركوم ، وحمى على الفلاح بها داعي التوفيق الذي نشر للفلاح كتائب الموقنين واستنجز للسعادة وأجلها المعلوم وشرف هذا الموجود والعالم الموجود بالخلافة الهاشمية ، والامامة الحسنية العلوية التي حرك الوجوه الى قبلتها المشروعة واسعار الحق بطلع الصباح في سماء جابتها ونوالى قضاياه لدعوتها المسموعة ، ونسخ به رقابها الغراء دول السيف التي هي بسيف النبوة المرحلة مقطوعة ، ولسان الصدق مدلولة ، وتوخيها مباني الاحكام التي هي على خير اساس الشرع الصحيح مرفوعة ، وفرق بكلمتها المجموعة على التوحيد فرق التثليث ، التي هي على شاقة الله ورسوله تابعة وشيعة ، وخلع بظهورها على اعطاف الحنيفية السمحة رداء الفخر الفضفاض واستقل بتأيدها للدين الاحمدي ، سيف الانتقام والانتصار ، واطار للدعاوي بأسيافها المرهفة لسان الحجة القضاض ، وفجر للمؤمنين ينبوع رحمتها الجاري على حصا عدلها الرضراض ، ومهد بسبلها المقتضاة الافاق ، والاقطار فسيدا الاول من حكمه الامتزاز فهلا بأنوارها المتألقة سدف الجهالة

التي ألهم حبها وهم وأسعد الوجود بحبها والذي ليت في أكناف مجدها وخيم وتغنى لها بمزامير الارغونون عليها ان شاء الله الى عيسى بن مريم • والصلاة والسلام على مولانا محمد • الذي تضافرت البراهين القاطعة على صدق رسالته البارعة • ونهج للدين القويم طريق الحق الجلي • وبادئه القارعة موسوع لحق أمن به مناهل الهدى النميرة الزلال وموارده العذبة ومشارعه بفن الرحمة وشفيع الامة وعلى آله وأصحابه الكرام ائمة الهدى ومصابيح الظلام والدعاء لمولانا السلطان الهمام امير المؤمنين بن امير المؤمنين نجل سيد المرسلين وخاتم النبيين وسليل الوحي والمعطلين وبعد ......

فالله لما أذن الله في ليل الجهالة أن ينجاب • وفي شمس الحق الوهاجة أن يرفع عنها السحاب عن الفجر الفلق الجلباب • أن يعود الى الشباب في النجاح والاستقامة أن يفتح لها الباب • وفي الامارة أن تستند الى السنة والكتاب • وتتعلق من الشرع بأسباب تداركه الله • سبحانه الوجود • وأمر العالم الموجود • وأسطالت الاسوار المشيدة للانوار والتجوه بمطلع شمس الخلافة النبوية والامامة الهاشمية العلوية • فتنافس على أديم البسيطة أنوارها • وارتفع الى حيث الهدى والفرقدين منارها • وانبلج بالاصباح نهارها ولاحت في سماء المجد بدورها وأقمارها • وكادت تشبه بنجوم السماء اتباعها وأنصارها وانتشرت في الآفاق والاقطار على البعد والقرب منارها • وهزت عطف الزمان • انتماء مناقبها وأخبارها مفاخر ومراكبها على أكتاف العصور بعهدها الزاهر وتبارحها خالدة ينتهي الى النبوة عنصرها • وتتمسك من رسالة الوحي اسطرها وتناط بحرمها الوثقى خنصرها • وأمامه على وليها • والله نصيرها والمهيمن بدورها الذي حباه ظهيرها وسريرها •

والحمد لله الذي أعطاني من هذه الدوحة النبوية الغناء والشجرة الطيبة الهاشمية التي أصلها ثابت وفرعها في السماء • أماما التي الله له في القلوب حبا جميلا • وولي جعله الله على مرضاته سبحانه علامة ودليلا وخليفة أسعد به الزمان بحسن الرعي • لخلقه وجاه • كفيلا • وأغنى من بأسه وسطوته لحمايته حمى الشريعة حساما صقيلا • مولانا أمير المؤمنين وخليفة الله في الارضين وسليل خاتم النبيين ووارث الانبياء والمرسلين المفترضة طاعته على الخلق اجمعين والمنوه بامامته المقدسة على العالمين • بحسر الذي وليا حجة الله للناس • أمير المؤمنين • والمنصور بالله ابا العباس صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين • والائمة المهديين الطاهرين • وتهيب بأنفاس الفترة لحبوهم اجمعين أمامهم تهتز لذكره اعطاف المنابر • وتتقلد من شريف دعوته ابهى من تلك الجواهر • وتحتضن البلاد بالكيل غرفة الزاهر • وتسكن العباد تحت ظل رحمته الوارف الزاهر • أبقى الله أيامه الغر بقاء يصحب العصر دوامه • ويخلد له ولاعقابه هذا الامر الكريم الى يوم القيامة • ولما طلعت أيده الله على هذه الاصقاع الزنجية طلائع امامته البهية وخلافته ولاحت في سمائها شهب طاقته الشريفة الدالة على فخامة شرفه وأبانه وثبتت لمجده الايات البينات التي تشهد له بتراث الرسالة وتقضي له على الاسلام وعلى الانام بحكم الولاء والكفالة وأوضح الله سبحانه للناس من أعلام وجوب طاعته والاقتداء بامامته والانقياد لدعوته وتقليد بيعته ما جاء به كتابه الحكيم وورد به سنة نبيه الكريم • كما قال عليه السلام " لا تزال الخلافة في قريش ما بقي منهم اثنان " وكما ورد في صحيح الخبر ان الخلافة في قريش والقضاء في الانصار والحبشة الاذان ويدل على هذا تعاضد الخبر والعيان فلا ناكر أن ليس في المعمور على هذا الشرط غيره أيده الله في شأن تشخيصه لنيل الشرع أنه امام الجماعة حقا المتحقق

شروطها والوارث للخلافة النبوية والحريص على بيضة الاسلام أن يحوطها وأن القائم بهذا الامر على الاطلاق غيره هدى وسالك من اذن الشرع بهدى . ليعلن لذلك أن الرجوع الى الحق فريضة واستبان بها تقرر وعلم أن امارة الآفاق في الدين محلها المشروع منوطة ومفروضة . ويرتهنا لذلك خطوه ويطرنه . فانه بالسند الآثار صحيح الاخبار وستعرف الى ارضا الله العناية ويقف من الشرائع المشروعة حيث مراتب الراية ومنتهى الغاية .

الرئيس ابو العلاء ادريس ايده الله أنتداب من وضحت به محجة التوفيق على حضرة الاخلاص والتصديق وأخذ بحظه من السعادة وإلى حيث الفوز . برضا الله ورضا رسوله حقيق مولانا به صاحب وثيق ... الامال انيق . وباح الراحة والاطمئنان ... الى تقلد أمام بيعة الجماعة أمير المؤمنين المنصور بالله زاده الله تقديسا وتعظيما التي توسد أن علاه الله على تقوى الله ورضوانه وشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمن . وأمر اسعده الله أن يؤدى فرضها المسدد من ارضها عمان وحقها الذي توجه به خطاب الشرع العام الى القاصي والدان . وينشر سنتها المشروعة في مقعده وما يليه من الاصقاع والبقاع بالسودان تقليدا يستحق ان شاء الله بأنواره ويشرق به للعز المكين على مناره ويحمد به بالجميل جزوة ناره وتنتظم به في اتباع الحق زمر أنصاره ويجلى به صورة ايمانه ويعوض من الله عوارف صبغة وأحسن له ويرهف به للعدو على ... سيفه وسنانه ويشرع به لرضا الله بابها القبول ويضاعف له ببركته العمل الطويل . ويستنشق بمشهده عقد الكريم نواسم النبوة ويجد لديه الزمان للشباب والفتوة ويرفع ... الابا به على قواعد الشرع . الوثيقة ويعدل به في كل الاحوال عن المجاز للحقيقة . وتتسنى له ... المقصد والامنى

والخاتمة الحسنى ، الاسوة الحسنة بامام بنى العباس السفاح والمنصور ومهدى سنتها
التى نقلها ثقات الاعلام واصدور فى مابحثها الامام الخليفة المهدى الاكبر ، سليل
سيد المرسلين محمد مولانا امير المؤمنين الذى رأى امام دار الهجرة أنه يرث الخلافة
النبوية أدلى أحق فى منصب الامامة على شرطها اعرف ، ومسيرها ونصرها السيف منظاك
للمتقه باكيه الله بهذه الآثار الشريفه ، والمناصب المنصف العلم والقصد ، وأنجز لـه
فيها اراده صادق الوعد ، وساعد نيته الصالحة فيه السعد تياسيه اعلى الله يده على
الامن والامانة ، والعفاف والديانة والعدل الذى يشيد للمجد اركانه ، مبايعة شاهدة
على عهدها الكريم ، أكرم الله اتباعه وجمهور أشياعه بحكم الوفاق والاتفاق والمواثيق المشددة
الوثاق ، وجميع الايمان الصادقة الايمان ، أعطوا بها صفقة ايديهم ورفع بها الضمير
عادتهم ، عالمين ان يد الله فيها فوق ايديهم وأمضوها على السمع والطاعة والانتظام
فى سلك الجماعة ، أمضاء يدينون به فى السر والجهر ، واليسر والعسر ، والرخاء والشدة
والايمان المنعقدة ، والتزموا شروطها طوعا ، واستوعبوها جنسا ونوعا بنيات خالصة صادقة
وقد ذللن الله لهم بالخير سابقة وسعادة بالحسنى لا حقة ابرموا عقدها واحكموا
عهدها ، وعهدها ، على حكم الكتاب والسنة والجماعة والاخذ بمقتضيها واعطائها من اعقاب
واعقابها الى احقاب الى يوم القيامة واقتراب الساعة لا يلحق عقدها الكريم فسخ ولا يعقبه
بحول الله نسخ ولا يطرق اليه التغيير ولا نكث ولا يشوبه شوائب الشبهات بحث ، وأجمع
على هذا أشهده الله بالمواثيق المستفيضة والايمان اللازمة المغلظة هو واتباعه اجماعا
صريحا ، وحتموه على انفسهم حتما مقضيا وأخذوه واعتقدوه ابديا ورضوا على التراضى
بمشهد هذه المبايعة افرادا وأزواجا ، ووحدانا وأفواجا وأشهدوا على الوفاء به بايمانهم

الصادق البرور ، ومواثيقهم المثلجة للصدور ، قائلين بالله الذي لا إله إلا هو الملك
الحق وهو العليم بالخفيات والخبير بالآجال والوفيات وجميع الرسل الكرام والأنبياء وملائكة
الرحمن في الأرض والسماء على أنهم إن حادوا عن هذا السبيل وانقادوا عليه عاد واعي
التعديل ، أو انحرفوا عن المنهاج وسننه فهم براء من حول الله وقوته ومن دينه وصحته
ومستوجبون لعذابه وغضبه وسخطه ونقمته ، وبعداء من رحمته ومن شفاعة نبيه الكريم
يوم القيامة لاحقة ، وأنهم خالصون لربقة الإسلام وخارجون عن سنة الرسول عليه السلام ،
إذ لنا بهذا إعلانا لقصد التجوى وأدوم بشروطه الجارية ، على مذاهب التقوى وأحكامه
اللازمة لكلمة التقوى استرضاء للمولى الخلافة النبوية الإمامة العلية ورياضة للنفوس
على بيعتها المباركة الميمونة النقية واستيفاء لشروطها وإتمامها الواجبة المستحبة
والمنة وهم مبتهلون إلى الله بالقلوب الخاشعة ومتضرعون إلى بابه الكريم بالأدعية
الفائضة في أن يحرمهم خير هذا القصد الكريم والعهد العميم بدءاً وختاما وأن يمنحهم
بركته تصحيحهم حالا ودواما ، لا رب غيره ولا خير إلا خيره وأشهد على نفسه وعلى بيعته
الرئيس أبو العلاء ادريس ، أسعده الله وأكرمه ، بتاريخ المحرم الحرام عن
عام تسعة وتسعمائة من الهجرة النبوية ، انتهى .

المصادر العربيـــــة

١ـ الادريسي (محمد بن محمد ت ٥٦٠ هـ) نزهة المشتاق في اختراق الافاق ليدن ، ١٨٩٣ م .

٢ـ ابن بطوطه (ابوعبدالله محمد بن عبدالله . ت ٧٧٩ هـ) تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ٢ جزء . القاهرة، ١٩٣٨ م .

٣ـ ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين احمد . ت ٨٥٢ هـ) الدرر الكامنه في أعيان المائه الثامنه ،الهند ، ١٣٥٠ هـ .

٤ـ ابن حوقل (ابوالقاسم) . صورة الارض ، ليدن ، ١٩٣٨ م .

٥ـ ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد . ت ٨٠٦ هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ .

٦ـ ابن دقماق (ابراهيم بن محمد . ت ٨٠٩ هـ) الانتصار بواسطة عقد الامصار . القاهرة ، ١٣٠٩ هـ .

٧ـ ابن سعيد المغربي . بسط الارض في الطول والعرض . تطوان ، ١٩٥٨ م

٨ـ الاصطخري (ابواسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي) المسالك والممالك . القاهرة ، ١٩٦١ م .

٩ـ التمبكتي (محمود سعـــد) تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس . باريـــــس ، ١٩١٣ م.

١٠ـ التونسي (محمد بن عمر) تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل عساكر ، مصطفى مسعد ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

١١ـ الدمشقي (شمس الدين ابي عبدالله محمد) نخبة الدهر في عجائب البر والبحـــر . ليبزج ، ١٩٢٣ م.

١٢ـ الزياني (سليمان رصد الحنفي) كنز الجوهر في تاريخ الازهر . القاهرة ، ١٣٢٠ هـ .

١٣ ـ السلاوي (احمد خالد) الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى ،الدار البيضاء ، ١٩٥٥ م .

١٤ـ السيوطي (جلال الدين بن عبدالرحمن ، ت ٩١١ هـ)

حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

١٥ـ عبدالرحمن السعدي : تاريخ السودان ، باريس ، ١٨٩٨ م .

١٦ـ القلقشندي (احمد بن علي ، ت ٨٢١ هـ) .

صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ١٤ جزء ، القاهرة ، ١٩١٤م .

١٧ـ محمد بلو : انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور ، لندن ، ١٩٥١ م .

١٨ـ المسعودي (أبو عبدالله محمد الباجي)

الخلاصة النقية في أمراء افريقية ، تونس ، ١٨٦٦ م .

١٩ـ المقدسي (محمد بن محمد ، ت ٣٨٠ هـ)

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ، ١٩٠٦ م .

٢٠ـ المقريزي (تقي الدين احمد بن علي ، ت ٨٤٥ هـ)

السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .

المراجع العربية والمعربة

١ـ ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانا الاسلامية . القاهرة ، ١٩٧٠ م .

٢ـ ابراهيم على طرخان : الاسلام واللغة العربية فى غرب افريقيا (مقال) مجلة اداب القاهرة ، العدد ٢٧ .

٣ـ ابراهيم على طرخان : البرتغاليون فى غرب افريقيا (مقال) مجلة اداب القاهرة العدد ٢٥ .

٤ـ ابراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب فى أمبراطورية كانم ـ برنو . الخرطوم .

٥ـ أحمد سويلم العمرى : الافريقيون العرب ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

٦ـ أحمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية (رسالة ماجستير) . اداب القاهرة

٧ـ ارنولد توماس : الدعوة الى الاسلام ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون ، القاهرة ١٩٤٧ م .

٨ـ بوركهارت : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، ترجمة فؤاد اندراوس ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

٩ـ حامد عمار : علاقة مصر بالبلاد الافريقية فى العصور الوسطى (رسالة ماجستير) اداب القاهرة ، ١٩٤٥ م .

١٠ـ حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى أفريقيا ، القاهرة ١٩٥٨ م .

١١ـ حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

~~١٢ـ ديفان هيوبر : العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى~~

١٢ـ ديفان هيوبر : الديانات فى افريقيا السوداء ترجمة احمد صادق حمدى . القاهرة ، ١٩٥٦ م .

١٣ـ صر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى ، (رسالة ماجستير) ، أداب القاهرة ، ١٩٥٩ م .

١٤ـ سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عهد سلاطين المماليك . القاهرة ، ١٩٦٢م .

١٥ـ سلجمان : السلالات البشرية فى أفريقيا . ترجمة يوسف سعد ، القاهرة ١٩٥٩م

١٦- شوقى الجمل : تاريخ العلاقات العربية الافريقية ، محاضرات معهد الدراسات الافريقية ، القاهرة ، ١٩٧٢/٧١ م .

١٧- شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ، ٢ جزء ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

١٨- شريف محمد شريف : توطين المتاصر الافريقية فى السودان (مقال) مجلة اداب القاهرة العدد ٢٤ .

١٩- صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى (مقال) المجلة التاريخية العدد الثانى ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .

٢٠- صلاح صبرى : افريقيا وراء الصحراء ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

٢١- دائرة المعارف الاسلامية : مادة بربر .

٢٢- عبدالرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

٢٣- عبدالرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى شرق افريقيا ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٢٤- عبدالرحمن زكى : افريقيا الاسلامية ، القاهرة ، معهد الدراسات الاسلامية .

٢٥- الشاطر بصيلى عبدالجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ، القاهرة ١٩٧٢ م .

٢٦- عبدالرحمن زكى : جمهورية نيجيريا الجديدة (مقال) ، مجلة المجلة ، العدد ٤٧ ، ١٩٦٠ م .

٢٧- عبداللطيف حمزه : الحركة الفكرية فى العصرين الايوبى والمملوكى الاول ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .

٢٨- عبدالمجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الشرقى ، الخرطوم ١٩٧٢ .

٢٩- عبدالمجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .

٣٠- عبدالمجيد عابدين : صور من وحدة الفكر العربى فى أفريقيا ، القاهرة .

٣١- عطيه القوصى : تجارة مصر فى البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الدولة العباسية (رسالة دكتوراه) اداب القاهرة ، ١٩٧٢ م .

٣٢ــ على ابوبكر : الثقافة العربية فى نيجيريا (رسالة دكتوراه) ، اداب القاهرة ، ١٩٦٨م .

٣٣ــ ليون جوستاف : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

٣٤ــ محمد عبدالمنعم خفاجى : الازهر فى الف عام . القاهرة ، ١٣٧٤ هـ .

٣٥ــ محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

٣٦ــ محمود ابوالعلا : دراسات فى جغرافية العالم الاسلامى . القاهرة ، ١٩٦٥ م .

٣٧ــ مصطفى محمد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى . القاهرة ، ١٩٦٠ م .

٣٨ــ مصطفى محمد : سلطنة دارفور (مقال) المجلة التاريخية . العدد ١١ ، ١٩٦٣م

٣٩ــ مصطفى محمد : الاسلام وحركة الفلان ، الاصلاحية فى غرب افريقيا . (مقال) مجلة جامعة ام درمان ، العدد الاول ، ١٩٦٨ م .

٤٠ــ مكى شبيكه : السودان عبر القرون . القاهرة . ١٩٦٤ م .

٤١ــ مكى شبيكه : مملكة الفونج الاسلامية . القاهرة ، ١٩٦٣ م .

٤٢ــ محى الدين خليل : لغة البقارة فى غرب السودان (رسالة دكتوراه) اداب القاهرة

٤٣ــ محمد عبده محلوف : الاسلام فى غرب افريقيا (مقال) مجلة نهضة افريقيا ، العدد ٢٤

٤٤ــ نعيم زكى سليمان : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى (رسالة دكتوراه) اداب القاهرة ،

٤٥ــ نعيم قداح : افريقيا الغربية فى ظل الاسلام . ١٩٦٩٥م

٤٦ــ نقولا زياده : الرحالة العرب ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٤٧ــ آدم متز ، ادم : الحضارة العربية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة / محمد عبدالهادى ابوريده ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

٤٨ ــ وزارة الاوقاف وشئون الازهر : الازهر تاريخه وتطوره ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

*****

ثانيا : المراجع الأجنبية

1. Anderson, J.A., Islamic Law in Africa, London,1964.
2. Alexander, B., From Nigeria to Nile.
3. Arkell, A.J., A history of the Sudan.
4. Ahmed Ibn Furtua: History of Mai Idris Alooma of Bornu.
5. Barth, H.: Travels in North and Central Africa. 3 vols., London, 1965.
6. Bovill, E.W.: The golden trade of Moors, London, 1958.
7. Bovill, E.W.: Carvans of the old Shara, London, 1933.
8. Carbou, H., Le region du Tchad et du Ouadai, Paris,184
9. Coleman, J.: Nigeria, Back ground to nationalism, Berkeley, 1960.
10. Cooley, W.: The Negro land of the Arabs, London, 1891.
11. Columbia Encyclopaedia.
12. Crowder, M., The story of Nigeria, London, 1955.
13. Denhom, and Clupperton, Travels in Northern and Central Africa, London, 1926.
14. Encyclopaedia Britannica, Art. Kanem, Chicago, 1960.
15. Encyclopaedia of Islam, Art. Bornu.
16. Hodgkin, T., Nigerian perspectives, London, 1960.
17. Hogben, J., The Muhammadan Emirtes of Nigeria, London,1930.
18. Gervis, P, of emirs and pagans, London, 1962.
19. Johnston, H., A History of colonization of Africa.
20. Kuper, H., Urbanization and immigration in West Africa, Los Angelos, 1965.
21. Leo Africanus: A History and description of Africa.
22. Lyon, G., Travels in Northern Africa, London, 1821.
23. Macmichool, A.H., A history of the Arabs in the Sudan, 2 Vols., London, 1922.

24. Moewen, J.H., Africap from the early time to 1800.

25. Meck, C.K., A Sudanese Kingdoms, London, 1931.

26. Meeh, C.M., The Northern Tribes of Nigeria, 2 vols., London, 1952.

27. Meak, C.K., Tribal of Studies in Northern Nigeria, 2 vols., London, 1931.

28. Murdack, G.P., Africa, its people and their culture History, New York, 1959.

29. Halt, The Cambridge History of Islam, 2 vols., Cambridge,197

30. Mandour El Mahadi, A short history of the Sudan, London,196

31. Oliver, R., The dawn of African history, London, 1951.

32. Oliver, and Fage, A short history of Africa, London,1965.

33. Palmer, R., The Bornu Shara and Sudan, London, 1936.

34. Palmer, R., Sudanese memoires, London, 1967.

35. Shinnie, M., Ancient African Kindgoms, London, 1968.

36. Trimingham, J.S., A history of Islam in West Africa, London, 1962.

37. Trimingham, J., Islam in West Africap London, 1959.

38. Trimingham, J.S., Islam in the Sudan, London, 1949.

39. Trimingham, J.S., The influence of Islam upon Africa, London, 1968.

40. Trimingham, J.S., The Christian Church and Islam in West Africa.

41. Urvoy, I., Histoire de l'empire de Bornu, Paris, 1949.

42. Urvoy, J. Histoire des populations du Sudan central, Paris, 1936.

43. Lebouf, A., Les population du Tchad, Paris, 1959.

44. Vischow, H., Across the Shara from Tropli to Bornu.

45. Word, E.W., A history of Africa, London, 1960

46. Lewis, L. M., Islam in Tropical Africa, London,1966.